بين الحبشة والعرب

عبد المجيد عابدين

الكتاب : بين الحبشة و العرب

الكاتب: عبد المجيد عابدين

الطبعة: ٢٠١٧

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكو ر- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

عابدين ، عبد المجيد

بين الحبشة والعرب / عبد المجيد عابدين

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

.. ص ، .. سم .

الترقيم الدولى: ١- ٢٦٢ – ٤٤٦ – ٩٧٧- ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٢٢٨٤١ / ٢٠١٦

بين الحبشة والعرب





مقدمة

كانت فكرة إخراج هذا البحث للناس تتخالج في نفسي منذ ثماني سنوات، حين كنت طالبًا أدرس اللغة الحبشية القديمة وآدابها بمعهد اللغات الشرقية بكلية الآداب. فلما عقدت النية على إصداره، آثرت أن يكون موجزًا، فتحاشيت سرد النصوص الكثيرة، والنقوش التي تتعلق بالبحث، والآراء المختلفة في كثير من المسائل، والإفاضة في كثير من أجزاء البحث، وألمت إلمامًا سريعًا بأهم الصلات التي ربطت بين الحبشة والعرب منذ أقدم العصور حتى أوائل هذا القرن الذي نعيش فيه. وجعلت البحث قسمين:

تحدثت في القسم الأول عن تطور العلاقات منذ أن أسس العرب المهاجرون إلى الحبشة دولة أكسوم، إلى عهد انحلال هذه الدولة، الذي يقابل في التاريخ الإسلامي آخر عصر الخلفاء الراشدين أو ما بعده بقليل. وتناولت في القسم الثاني الحديث عن

تلك العلاقات منذ أن أخذت الحبشة في النهوض والازدهار على يد الأسرة السليمانية، حتى أوائل هذا القرن. وإنه لواجب على كل شرقي، يدرس الشعوب السامية وحضاراتها ولغاتها دراسة عميقة واسعة، أن ينير السبيل أولًا وقبل كل شيء، إلى تاريخ الأمة العربية وحضارتها ولغتها وأن يوسع من آفاق الدراسات العربية بما يفيده من البحث والاطلاع في سائر الدراسات.

لهذا عرضت لهذا البحث، راجيًا أن أكون قد أوضحت بعض ما استبهم من تلك الصلاة التي قامت بين الحبشة والعرب منذ أقدم العصور حتى العصر الحديث.

وإني لأشكر للدكتور مراد كامل ما بذله معي من جهد مشكور. كما أشكر الدكتور خليل يحيى نامي ما قدمه من معونة صادقة في حل النقوش السبئية التي ورد مضمونها في هذا الكتاب.

المؤلف

الكتاب الأول



تمهيد

١

يري بعض الباحثين أن لفظ (عرب) كان يطلق أول الأمر علي أهل البادية من شمال بلاد العرب وشرقها [١] فهؤلاء هم العرب الصرحاء أو العرب العارية كما يقولون وهؤلاء هم الذين يزعمون بحق أنهم أصحاب هذه البلاد وذوو القدم الراسخة فيها . ولهؤلاء طبائع وعادات وطقوس توارثوها وارتبطوا بها بحكم طبيعة بلادهم وظروف حياتهم .

إلي جانب هؤلاء، قوم غرباء نزحوا إلي هذه البلاد في أزمان سحيقة في القدم إلا أنهم في نظر أصحاب البلاد طارثون عليها، دخلاء عليهم، أولئك هم العرب المستعربة، الذين ليسوا عربا خاصا كالفريق الأول، والراجح أنهم نزحوا من بلاد عريقة في الحضارة، لعلها ناحية الشمال، أو لعلها علي وجه التحديد، منطقة العراق، وتعاقبت هجراتهم، علي فترات قاصدينإلي الجنوب حيث البقاع

[١] Hartmann p.3.

الخصبة والمناطق المطلة علي البحر التي تمكنهم من مزاولة التجارة والسيطرة علي منافذها .

وربما قامت هذه الأفواج، بعد أن استقروا في الجنوب، واشتدت شوكتهم، بتأسيس طرق ومستعمرات في البقاع الشمالية ليضمنوا سلامة تجارتهم من غارات الأعراب وعدوان المنافسين، والجنوب كلمة واسعة عامة وإنما المقصود هنا ذلك الجز الجنوبي الغربي الذي يمتد من خليج عدن جنوبا حتى نجران شمالا، ومن الحديدة ميناء صنعاء، حاضرة اليمن، غربا حتى حضر موت القديمة شرقا.

هذا الجزء بوجه خاص، كان مسرحا لحوادث جسام وآثار ضخام قام بها الأحباش في هذه البلاد . لهذا كان طبيعيا أن تخصه دون سائر أجزاء الجزيرة العربية بالحديث في هذا التمهيد.

وتختلف شعوب الجنوب عن شعوب الشمال بوجه عام في العناصر الثلاثة: اللغة والجنس والدين . فلغات الجنوب، علي اختلاف بسيط فيما بينها، تكون وحدة متماثلة في خصائصها وكتابتها تختلف عن لغات الشمال اختلافا بينا . والجنس وإن كان قد تعرض في الجنوب لاختلاط العناصر القريبة الآتية من الشرق ولغرب والشمال ولاسيما العناصر الأفريقية السوداء، إلا أنه مباين عن أجناس الشمال مباينة تامة . والدين كذلك يتأثر في الشمال بالوثنية البابلية بينما نجد هذا الأثر في وثنية الجنوب قليلًا محدودًا.

وكانت شعوب الجنوب كثيرة متعددة يتخذ كل منها رقعة من الأرض لا يتعداها فإذا عظم نفوذ شعب منها ودفعته المنافسة وحب السيطرة إلى توسيع رقعة سلطانه والاستيلاء على زمام التجارة أخذ يشن الغارات ويشب القتال حتى يبسط سلطانه على غيره من الشعوب.

من هذه الشعوب الكبيرة في الجنوب أربعة تحدث عنهم اليونان والرومان القدماء وأثبتت النقوش والآثار عظمتهم ومجدهم القديم.

هذه الشعوب هي معين وسبأ وحضرموت وقتبان، وربما كان المعينيون أقدم هذه الشعوب ويقال إن أقدم ما وصلنا من نقوشهم يرتقي إلى النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، أما حضرموت وقتبان فلم تلبثا أن انضوتا تحت لواء سبأ حول عام ٣٠٠م ثم أدركت معين الشيخوخة وغلب عليها السبئيون. وبذلك قدر لسبأ أن تنفرد آخر الأمر بالزعامة من بين شعوب الجنوب وأن تمتلك ناصية الحكم والشهرة منذ القرن الثامن ق.م حتى قام في القرن الأول الميلادي بنو حمير وهم غالبًا سلالة سبئية فاغتصبوا من سبأ الزعامة وأكملوا حلقات الحكم السبئي السابق وبدأ نجمهم يتألق منذ ذلك الحين حتى القرن السادس الميلادي. ولقد أطلق العرب كلمة حمير على كل عصور اليمن لأن عصر بني حمير كان أقرب العصور إليهم ومن ثم كانوا أعرف شعوب الجنوب لديهم.

كان ملوك سبأ من قبل يتخذون مأرب عاصمة لملكهم ولكن الحميريين ولاسيما بعد أن أصاب بعض مدن الجنوب من التخريب من حملة القائد الروماني اليوس جالوس سنة ٢٤ ق.م. وأصبح ملوك حمير يلقبون أنفسهم (ملوك سبأ وذي ريدان) بعد أن كان السابقون منهم يلقبون أنفسهم (ملوك سبأ) فحسب.

٢

يروي التاريخ المصري القديم أن رمسيس الثالث (هاكون) غزا بلاد العرب وبنى أسطولًا أنزله البحر الأحمر وسافر فيه لارتياد الفنط (أي سواحل الصومال[1]) وكان غرضه الرئيسي تذليل طرق التجارة البحرية بين مصر وبلاد الشرق وأنه استطاع أن ينشئ طريقًا تجاريًا بريًا بين القصير وقفط وطريقًا بحريًا بين المحيط الهندي والنيل عن طريق بلاد العرب.مصر وبلاد الشرق وأنه استطاع أن ينشئ طريقًا تجاريًا بريًا بين القصير وقفط وطريقًا بحريًا بين المحيط الهندي والنيل عن طريق بلاد العرب.

وفي عهد الأسرة (١٩) رأى سيتي الأول أن يصل بين النيل والبحر الأحمر بقناة تسهيلًا للتجارة أو الحرب بين مصر وجزيرة العرب.

---

(١) Glaser pp.5,7

ولما سقطت مدينة صور واضطربت أحوال الفينيقيين الذين كانوا يحتكرون التجارة في البحار وجد سليمان ملك أورشليم وحيرام ملك صور الفرصة سانحة لعقد اتفاق تجاري فأنشآ السفن. وسارت من العقبة إلى سواحل بلاد اليمن.

وقد أشار بعض أسفار التوراة إلى شهرة سبأ في التجارة في الشرق الأدنى فيما بين القرنين العاشر والخامس قبل الميلاد. ولما كانت اليمن طريقًا هامة إلى الهند فقد لفتت إليها أنظار الساسة والمؤرخين من اليونان والرومان منذ القرن الخامسقبل الميلاد، وتطلع الرومان إلى السيطرة على هذا المنفذ الهام المؤدي إلى الهند.

كان الرومان قد تطلعوا إلى غزو النبطيين وكانوا سادة التجارة في شمال بلاد العرب فمنذ القرن الرابع ق.م. جرد عليهم الرومان حملات وتمكنوا من إخضاعهم في أوائل القرن الثاني ق.م. وتطلع الرومان إلى غزو جنوب بلاد العرب. وكانوا يجهلون المسالك المؤدية إليها فاستعانوا بالأنباط لإرشادهم وقادوا حملة في سنة ٢٤ ق.م. تحت إمرة القائد إليوس جالوس ولكن الوزير النبطي ذهب بهم في مسالك وعرة أعجزهم النفاذ منها فقضوا أيامًا قاسوا فيها آلام المرض والجوع والعطش وربما كانت نية الأنباط في تضليلهم ترمي إلى إحباط مسعى الرومان حتى لا يضيع الاحتكار التجاري من أيديهم ويذكر استرابو (٦٦ ق.م–٢٤ م) أن إليوس وصل بحملته

إلى ماريابا (مأرب مدينة السبئيين) وكان يحكمهم إليزاروس (إليشرح يحصب ملك سبأ) وقد حاصروها ستة أيام ولكن العطش اضطرهم إلى الإنسحاب.

وبذلك فشل الرومان في إخضاع الشعوب الغنية في بلاد العرب والاستيلاء على مواطن تجارة التوابل والعطور وإيجاد الطريق المنشود إلى الهند.

وكانت البواعث الاقتصادية والسياسية غالبًا هي التي دفعت الطامعين إلى الاستيلاء على بلاد اليمن. ولما انتشرت المسيحية اقترنت هذه البواعث بالتبشير وبسط النفوذ الديني في هذه البلاد وكانت دولة الأحباش من أهم الدول المستعمرة وهي التي سنتحدث عن آثارها في شعوب بلاد العرب في القرون الثمانية الأولى من حياتها.

٣

قد يرد لفظ إثيوبيا للدلالة على الحبشة وهو يوناني الأصل مركب من كلمتين بمعنى(الوجه المحترق) وقد أطلق الأحباش هذا اللفظ على بلادهم أسوة_أو تيمنًا بذكره في التوراة، ولم يكن يطلق قديمًا على ما نعرفه الآن من بلاد الحبشة وإنما أطلقه قدماء اليونان على البلاد المتاخمة لحدود مصر الجنوبية مما يلي الشلال الأول، وهو ما كان يسميه الفراعنة مملكة (كوش).

واتسعت التسمية في العصر الروماني، فأطلقت إثيوبيا على البلاد الواقعة بين النيل والبحر الأحمر وشملت أحيانًا بعض المناطق في غرب النيل كمنطقة مرو التي لها تاريخ حافل ودولة زاهرة أعرق من تاريخ الحبشة وأعظم مدينة منها.

وربما دخل في مدلولها بعض المناطق على الضفة الشرقية للبحر الأحمر حتى عد القدماء اليمن جزءًا منها وأطلقوا إثيوبيا الأسيوية على اليمن وضفاف خليج فارس.

أما كوش فكان يطلقها قدماء المصريين على حدود مصر الجنوبية وهي ما نسميه (بلاد النوبة) وقد ذكرها العبرانيون في التوراة (تكوين ١٠:٦,٧)[١] كولد من أولاد حام وذكرتها النقوش الحبشية بصيغة (كاسو)[٢].

والكوشيون من العناصر التي استوطنت الحبشة وهم يتكلمون لغات خاصة، غير سامية، يطلق عليها الباحثون (اللغات الكوشية) وهم أحد العناصر الثلاثة الرئيسية التي تتألف منها الشعوب الحبشية وقد يطلق عليها القبائل الحامية نسبة إلى حام جدهم الأكبر، كما يطلق عليها أيضًا القبائل النوبية، ويرتبطون مع المصريين القدماء برباط القرابة، لونهم ليس حالك السواد وشعرهم ليس شديد الفلفلة

---

[١] وبنو حام كوش ومصرايم وفوط وكنعان: وبنو كوش سبأ وحويله وسبته ورهمة وسبتكا وبنو رعمة شيا وذدان.

[٢] Glaser p.6

في حين امتاز إخوانهم الأفريقيون الذين يكونون عنصرًا آخر من سكان الحبشة بحلوكة سواد اللون وشدة فلفلة الشعر.

أما الساميون فهم أرقى العناصر جميعًا وهم حملة الحضارة إلى الحبشة وهم الذين أسسوا الدولة الأكسومية الزاهرة بعد أن استقروا في الوطن الجديد وتأثروا بطابع البيئة الحبشية وتفاعلوا مع العناصر الإفريقية والحامية.

ولكل من تلك العناصر لغاتها الخاصة فالكوشيون يتكلمون الكوشية وهي فرع من اللغات الحامية (البربرية) ويتكلمها في الحبشة شعوب كثيرة كشعب ابجة والأجاو والساهو والجلا والكافينو وغيرهم.

والأفريقيون يتكلمون لغات شتى منها لغات البانتو واللغات السودانية.

أما الساميون فيتكلمون لغات قريبة الشبه من العربية الجنوبية وأقدم لغة سامية تكلموها (الجعز) نسبة إلى بعض القبائل السامية المهاجرة.

هذه اللغة كانت مستعملة في الحديث والكتابة في الثمانية القرون الأولى من تاريخ الحبشة التي هي موضوع هذا البحث. وظلت كذلك حتى القرن الثالث عشر الميلادي حيث غلبت عليها اللغة الأمهارية لغة الدولة السليمانية التي حكمت منذ ذلك الحين.

وتعتبر اللغة الأمهارية أصلًا للغتين ساميتين من لغات الحبشة وهما الجوراجواي ولغة هرر. ومن اللغات السامية التي يتكلمها كثير من الأحباش لغة التيجري ولغة التيجرينيا التي اشتقت من لغة الجعز.

والثابت من النقوش القديمة التي عثر عليها في المناطق الحبشية أن هؤلاء كانوا يستخدمون في الحبشة، في الدور الأول من تاريخهم اللغة والكتابة السبئية، وعثر على أسماء أماكن في الحبشة لها نظائر في بلاد اليمن مثل (أوم) التي ذكرت في النقوش السبئية للدلالة على حرم بلقيس أو أحد هياكل القمر قد ظهرت مرة أخرى في أفريقيا في نقوش يحا وفي بعض المصادر اليونانية[1] وأوجد كونتى روسينى نظائر أخرى مثل مدرى وقلى وضهرم وسهرت وحوزين وغيرها.

بل وجد الباحثون تشابهًا بين سبأ والقبائل السامية المهاجرة في العقيدة الدينية فإن أقدم النقوش الحبشية كانت مقدمة إلى (ألمقة) الإله السبئ. وكانت فكرة الثالوث شائعة في عبادة اليمنيين فكانوا كثيرًا ما يذكرون آلهتهم في نقوشهم ثلاثة ثلاثة بادئين بسيد الآلهة أو أعظمها فآلهة معين (عثتر وود ونكرح) وآلهة سبأ (عثتروألمقة وشمس) وكذلك ذكرت بعض النقوش الحبشية المنسوبة إلى عيزانا في القرن الرابع الميلادي أنه قام عرشًا في حماية ثلاثة

---

(1) Glaser ص ١٢ وقد ذكر أماكن أخرى مثل ألوود أرو وصانت وهرر (انظر ص ١٧–١٨).
Journal Asiatique, Juill.- Sep.1921(Conti Rossini,Expend.Et Posses. des Habasat en Arabie

آلهة. (عستر وبراص ومدر)، والمفهوم أن براص هو إله الرعد ومدر إله الأرض وهما إلهان أفريقيان أوجدهما الأحباش بمرور الزمن بدلًا من إلهين يمنيين (أو سبئيين) آخرين.

فوجود هذه النظائر الدينية واللغوية والأثرية في كل من اليمن والحبشة قد جعل الباحثين يرجحون وجود قرابة أو صلة دموية بين الساميين الأحباش وبعض قبائل سبأ.

ولقد رجح الباحثون أن هذه القبائل نزحت إلى السواحل الأفريقية لمزاولة التجارة أو نحوها. وربما كانت هجرتهم من شرقي حضرموت (مهرة)[1] وليس من اليسير تحديد زمان أسبق هذه الهجرات، لكن الراجح أنها حدثت قبل ميلاد المسيح بقرونعديدة.وكانت الهجرة إلى الحبشة سهلة _ميسورة لقرب الشقة بين الساحلين العربي والأفريقي ولاسيما عند مضيق باب المندب.

ومن المعروف أن القبائل التي هاجرت إلى الحبشة كانوا يسكنون قبل الهجرة على الساحل العربي أو قريبًا منه.

فقبيلة سهرت (سحرت)كانت فيما يظهر. تسكن على رأس المضيق، في منطقة مخا الحالية.

وقبيلة حبشت وهي أشهرها، وقد ورد ذكرها في النقوش اليمنية[2] ، كانت تسكن على الساحل أيضًا، وقيل إنها اتخذت في

---

(1) Glaser p.9.

(2) ورد لفظ حبش في النقوش اليمنية بهذه الصيغ: حبشت، ملك حبشتن، مصور أحبشتن (أي قواد الحبشة) الخ

هجرتها الطريق البحري الذي يصل بين خليج مصوع وهضاب الحبشة ثم عرجوا منها على الجنوب فمروا بأكسوم وتكازه واحتلوا الجانب الشمالي من الحبشة.

ومادة (حبش) في العربية تدل على الجمع والتحالف ومن هذه المادة ألفاظ شائعة عند العرب فنجد حباشة سوقًا من أسواق العرب في الجاهلية، ومن أسماء الأعلام العربية حبشي وحبيش؛ والأحابيش قوم من قريش أو من عبيد مكة تحالفوا فسموا كذلك[1].

ولما سكنت قبيلة حبشت في شمال الحبشة نسب الجزء الشمالي إليهم وسمي باسمهم ثم أطلق العرب الحبشة على جميع البلاد. ومنها أخذ الإفرنج لفظ **Abyssinia**أما قبيلة الأجاعز (أو الأجعازيان) فهي فيما يقال أقدم من هاجر إلى الحبشة من القبائل اليمنية. وكان موطنهم الأصلي على الساحل بين صنعاء وعدن ولهم نقوش تذكرهم في اليمن والحبشة، وقد انتقلت إلى الجانب الشمالي الشرقي من الحبشة، وإليهم تنسب لغة الجعز أو (لسان جعز) كما يسميها الأحباش. وكان الأجاعز شعبًا قويًا اشتغل بالتجارة واستطاع بحكم رسوخ قدمه في البلاد واتساع نفوذه فيها أن يصبح على رأس الطبقة الحاكمة.

---

[1] كتب الأستاذ لامانس بحثًا عن الأحابيش في كتابه:
L'Arabie Occidentale avant l,Hegire, Beyrouth 1928,p,237 sqq

والمفهوم أن نزاعًا حدث أول الأمر بين الغرباء الطارئين وأصحاب البلاد الحاكمين ثم لم يلبث الساميون أن تفوقوا عليهم بتفوق حضارتهم. واتسع نفوذهم تحت زعامة الأجاعز واستطاعوا أن يبسطوا عن طريق نفوذهم الاقتصادي سلطانهم السياسي على البلاد وأن يصبحوا سادة يملكون ناصية الحكم على الجزء الشمالي من الحبشة، ثم على سائر البلاد.

كانت مدينة أكسوم حاضرة هذه الدولة الزاهرة القوية، وهي مدينة تقع شمالي الحبشة لا نعرف من تاريخها قبل هذه الدولة إلا ما تزعمه الأساطير الحبشية القديمة من أن أثيوبيس أبا الأثيوبيين هو والد الملك أكسوماوي الذي حكم البلاد ولا نعرف أين كان مقر حكمه، وربما كان هو الذي أسس هذه المدينة [1].

وأقدم ما نعرفه عن تاريخ هذه الدولة يرجع إلي القرن الأول قبل الميلاد . وقد استخدمت الدولة لغة الجعز . لغة الحكام الغالبين وكانت في أول أمرها سبئية لغة وكتابة ثم لم تلبث أن تطورت في شكلها وفي موضوعها فلم ينته القرن الرابع الميلادي حتى كانت لغة متميزة نوعا ما في صور حروفها وطريقة كتابتها، كما تأثرت بمجاورة اللغات الحامية والأفريقية المختلفة .

---

(1) Budge vol. 1. p. 129

وقد جهد الباحثون في استخلاص تاريخ دولة أكسوم مما كتبه الأحباش والأقباط واليونان والرومان وما ورد في الوثائق الأثرية وحققوا تواريخ ملوكها ومدات حكمهم ما استطاعوا ومن هؤلاء الباحثين البارزين الأساتذة مللر وسالت وبروس وكونتي روسيني وليتمان وغيرهم .

وقد لوحظ أن أسماء الملوك الذين حكموا حوالي ميلاد المسيح حتى النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي (٨ق.م ـ ٢٧٤م) مصدرة بالمقطع (za) كما نرى في زابازين، زازناتو، وزاهكاليه.

وهذا المقطع معناه سيد أو صاحب ويقابل ذو بالعربية الشمالية والجنوبية ويقال لأمثالهم في حمير الأذواء مثل ذويزن وذوقفان وذوجدن. والمعروف أن ما يلي هذا المقطع يدل علي اسم القبيلة أو الشعب أو المكان الذي ينتمي إليه هذا الملك فبازين وزناتو وهالكيه كلها أسماء قبائل أو أماكن لهؤلاء الملوك كما أن يزن وقفان وجدن كذلك علي الراجح .

ثم طائفة أخرى من الملوك تبدأ أسماؤهم بمقطع إل مع نطق اللام مفتوحة مشددة أو مفتوحة من غير تشديد كما يقال في إل أسفح وإل سمرة وإل إسكندي وإل أبرهة ونجد هذا التركيب مطردا في أسماء الملوك من عام ٢٧٥ ميلادية حتى ٤٧٨ م ثم لا نجد

هذا الاطراد منذ هذا التاريخ حتى نهاية الدولة الأكسومية في القرن السابع الميلادي .

وربما كان معنى إل الإله فيكون معنى التركيب إل أسفح إله أسفح فقد جرت عادة اللغة الحبشية القديمة أن تجعل المضاف مبنيا علي الفتح فيقال إل أسفح أي إله أسفح، وربما كانت تقاليد الملوك لذلك العهد تنعتهم بصفات القداسة والتأليه[1] .

هذه الدولة الأكسومية التي لا نعرف دليلا علي وجودها قبل القرن الأول ق.م. بدأت تضمحل ويخبو نورها في أواخر القرن السابع الميلادي وهذه الفترة تقابل في تاريخ العرب عصر الجاهلية وما يتجاوز الخمسين عاما بقليل بعد ظهور الإسلام. في هذه القرون الثمانية التي عاشتها هذه الدولة كانت العلاقات الودية تارة والعدائية تارة أخرى قائمة بينها وبين اليمن حيث استطاعوا أن يدعموا سلطانهم ويبثوا آثارهم ويغذوا هذه البلاد بما أفادوه في أفريقيا من لغة ودين وحضارة لم يكن لها أثر علي اليمن فحسب بل علي بلاد العرب جمعاء.

هذه الملكة (ويسميها الأحباش ماقدة)، بعد أن اتصلت بسليمان، ولدت منه رجلًا تسميه الأسطورة ابن حكيم (أي ابن الحكيم سليمان)، وكانت الملكة قد تعلمت اليهودية على يد

---

(1) kammerer p.24

سليمان حين ذهبت إلى بيت المقدس، ثم أدخلتها فيلدها أكسوم، (وهم يزعمون أنها كانت ملكة على أكسوم أيضًا)، وربط الأحباش بين ابن حكيم هذا وبين منيلك مؤسس الأسرة الملكية في بلادهم وزعموا أنه هو نفسه وأنه مؤسس دولة أكسوم في القرن العاشر قبل الميلاد[١]، ولاشك أن هذه أسطورة. والذي رجحه العلماء أن أكسوم لم تؤسس قبل القرن الأول قبل الميلاد [٢]. ولاشك أن اليهود كانوا جادين في التبشير بدينهم والدعوة إليه بمختلف الطرق والوسائل، وقد قرأ ليمان في بعض نقوش عيزانا أحد ملوك أكسوم عبارة (ملك صهيون)، والمعروف أن عيزانا قد اعتنق المسيحية في القرن الرابع الميلادي، ومن ذلك استنتج البعض أنه ربما كانت تجري في هذه البلاد، في تلك الفترة، حركة تبشير باليهودية أو بمذهب يجمع بين المسيحية واليهودية[٣].

وعلى كل حال، فلا نعرف شاهدًا تاريخيًا يدلنا على أن دولة أكسوم قد اعتنقت قبل المسيحية دينًا غير الوثنية.

ومن الشواهد الدالة على أثر اليهود الديني في القبائل الحبشية وخاصة في المسيحية ذاتها، ما نجده من أن قبائل الجلا يعبدون إلاهة يسمونها سمبت، وهو في الواقع تشخيص ليوم السبت الذي يعظمه اليهود، والذي يطلق عليه الفلشة سمبت أو سنبت، وما

---

(١) Budge,vol.,1,p.193.

(٢) id.,p.194.

(٣) kammer, p.86.

نجده أيضًا من تفريق المسيحيين الأحباش بين الحيوانات الطاهرة والحيوانات النجسة، ومن فكرة تدنس الأشخاص الذين يخالطون نساءهم أو النساء وهن في زمن المحيض، وغير ذلك من الأفكار التي أخذها المسيحيون أولًا من اليهود [١].

كذلك أثرت الحضارة اليونانية في البلاد، فقد كشفت لنا النقوش عن استخدام اللغة اليونانية في الحبشة فيما بين القرنين الثالث والسادس الميلاديين.

ومن المعروف أن الساحل الاريتري كان حلقة اتصال بين الأحباش وكثير من الأمم الأخرى، وأن تاريخ هذا الساحل أقدم في الوجود من الدولة الأكسومية، فقد يرجع تاريخه إلى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد، وفي هذا الساحل كانت تقيم جاليات يونانية تشتغل بالتجارة، ولهم مواني ترسو فيها سفنهم. وكان لميناء عدول Adulis التي ذكرها بعض شعراء العرب في العصر الجاهلي، [٢] والتي قيل إنها تأسست في زمن بطليموس فيلادلفيا في القرن الثالث قبل الميلاد، أهمية تجارية عظمى فكانت ميناء لتصدير أنواع العاج، وقرون الكركدن، وجلود الحيوان، والأرقاء الذين كانت لهم فيها

---

[١] Encyc, of Religion and Ethics, art, Abyssinia

[٢] قال طرفة بن العبد في معلقته:

هدولية أو من سفين ابن يامن *** يجور بها الملاح طورًا ويهتدي.

قوله عدولية نسبة إلى عدول وكانت تصنع فيها السفن.

أسواق تجارية، يردون إليها من بلاد أفريقية لتصديرها إلى بلاد العرب وغيرها.

وقد كشفت أعمال الحفر التي قامت بها بعثة إيطالية سنة ١٩٠٦ برئاسة باريبيني **paribeni** عن أطلال معبد يوناني في نظامه وفنه، ووجدوا فيه كتابات تثبت العلاقة الوثيقة بين عدول ودولة أكسوم. وهذا المعبد يرجع إلى عصر استيطان الجاليات الإغريقية في عدول. ويلي هذا العصر عصر كثر فيه البحارة الأغريق الآتون من مصر والإسكندرية. وفي أوائل العصر المسيحي بسطت دولة أكسوم نفوذها على عدول، وأصبحت عدول منذ ذلك الحين تابعة للحماية الحبشية؛ فكان الأحباش يحشدون فيها أسلحتهم وعدتهم عند محاربة بلاد العرب، وينصبون فيها الآثار تذكارًا لانتصاراتهم.

والمهم أن الآثار العدولية التي ترجع إلى العصر الأكسومي تدلنا على أن بلاط الملك والحكومة الحبشية وربما الشعب الحبشي أيضًا، كان متأثرًا بالحضارة الأغريقية واللغة الأغريقية، وإن كان استخدامها محدودًا بين الشعب (١).

أضف إلى ذلك أن المسيحية في الحبشة قد أدخلت بدخولها بضعة تحسينات على اللغة الحبشية القديمة حتى أصبحت صالحة لنقل الكتب إليها، وكان الفضل الأول في ذلك راجعًا إلى أولئك المبشرين الذين رحلوا إلى هذه البلاد.

---

(١) **kammerer, pp. 29-38**

كانت لغة الساميين المهاجرين كما ظهرت في أقدم نقوشهم الحبشية خالية من الحركات، فإذا أريد كتابة صحافي (أي كاتب)، كتبوها (صحف) فلا يعرف القارئ المقصود على وجه التحقيق، هل هو صحاف أم صحيف أم صحف أم غير ذلك، وكانت تكتب أحيانًا من اليمين إلى الشمال، وأحيانًا على الطريقة المتعرجة التي يسمونها طريقة المحراث (البوسطروفيدون)، وهي كتابة الأسطر من أول الكلام إلى آخره.

فاستطاع المبشرون بالمسيحية أن يدخلوا إصلاحات على هذه اللغة فاخترعوا حركات وصلوها بالحروف، وجعلوا الكتابة تبدأ من الشمال إلى اليمين، وأضافوا ثلاثة أحرف جديدة إلى حروفها الستو والعشرين.

والراجح أن معظم ما طرأ على هذه اللغة من إصلاح إنما هو أثر من آثار السريان (وكانت لهم ثقافة يونانية بطبيعة الحال)، كما أنه ازدادت ثروة اللغة الحبشية بما أضيف إليها من ألفاظ وعبارات دينية، بعضها سرياني، ويقال إن في نهاية القرن الخامس الميلادي، قدمت طائفة تتألف من تسعة رهبان من السريان،[1] هاربين من الحبشة،[2] بعد أن رفضوا قرارات مجمع أفزوس (٤٣١ م) ومجمع خلقدونية (٤٥١ م) فدعموا المسيحية في البلاد، وأعادوا ذلك

(١) fell, ZDMG, vol. 35, 1881.

(٢) Budge, vol. 1, pp. 259-60

النشاط الذي كان قد أظهره من قبل فرومنتيوس أول مطران على الحبشة في القرن الرابع الميلادي.

الباب الأول

١

متى بدأت أول حملة حبشية على حمير؟ هذا مثار خلاف بين الباحثين، فيرى البعض أن أقدم وثيقة تثبت لنا النشاط السياسي والحربي لهؤلاء الأكسومين في بلاد العرب ترجع إلى القرن الأول قبل الميلاد، حيث تدلنا قطعة اكتشفت على جدران هيكل وثني في أبا بنطليون الواقعة شرقي أكسوم، وهي قطعة مكتوبة باللغة والحروف السبئية القديمة، وهي تتفق تمامًا مع النقوش السبئية القديمة التي عثر عليها في بلاد اليمن، مما يدل على قدمها. وقد حفظت لنا في القطعة الكلمات الآتية:

..ملكو دعمت مشرقـ..
وذ تبعدن وأبـ..

فإن كانت (دعمت مشرق) هذه تدل على جهة في اليمن لدلنا هذا النقش على حملة عسكرية سحيقة في القدم. ولكن هذا

التفسير لم يثبت بالدليل القاطع إذ من الممكن أن يكون المعنى أن هؤلاء القوم ملكوا هذا المكان المرتفع المدعم (الدعامة) فأقاموا عليه معبدهم في شرق أكسوم [1].

وسواء أدل هذا النقش على حملة قديمة أم لم يدل، فإنه يعد من أقدم نقوش الدولة الأكسومية، ففي خطه وكتابته ما يذكرنا بنقوش (خريبت سعود) التي ترتقي إلى العهد الأول للنقوش السبئية في اليمن.

حملة أخرى في (القرن الأول ق.م. أو الأول الميلادي) ترجع إلى قصة حرب بين بني همدان من جهة، وبني ريدان وملوك سبأ من جهة أخرى.

وكان بنو همدان تابعين لملوك سبأ وكانوا ذوي منعة يسكنون الجبال بين الغائط وتهامة وجبال السراة، واغتنم الهمدانيون فرصة ضعف ملوك سبأ، فتطلعوا إلى انتزاع الملك من أيديهم. وقام أحد زعمائهم (علهان نهفان) وسيطر بالقوة، وأعلن نفسه عن ابنيه شاعر أوتار ويريم أيمن ملكًا على سبأ.

وكان لابد والحالة هذه، أن يبحث عن حلفاء حتى يستطيع أن يصمد أمام عدوين عظيمين: ملك سبأ الشرعي الذي طرده الهمدانيون ظلمًا وبغير حق وبنو حمير الذين يحالفون ملك

---

[1] Lidzbarki, Ephemeris, B. 11, 1908, p. 397

سبأويؤيدونه ضد الهمدانيين، فلجأ الهمدانيون إلى الأحباش وتحالفوا مع ملكهم جدرت كما تسميه النقوش. ويشك بعض الباحثين في كون جدرت[1]هذا ملكًا إفريقيًا- زاعمين أنه ربما كان زعيم بعض الأحابيش الذين كانوا يقيمون في بلاد العرب. غير أن الراجح هذا ملك أكسومي، وأن الحليفتين كما يظهر من النقش قد تبادلتا معه الرسائل بالبر والبحر[2]، فهو لم يشترك بشخصه في الحرب وإنما أناب عنه قواده الذين ذكرهم النقش (مصور أحبشان أي قواد الحبشة)، وهم يترسمون الخطة التي اختطها لهم من وراء البحر.

وكان هذا التحالف هجوميًا ودفاعيًا، ثم اتسع الحلف فشمل يدعأب غيلان ملك حضرموت. وانتصر بنو همدان أول الأمر ولكنهم انهزموا أخيرًا- ذلك أنهم تغلبوا أولًا على الحميرين (بني ريدان)، واستطاع ولدا يريم أيمن (الهمدانيان) أن يحرزا لقب (ملكي سبأ وذي ريدان)، ولكن الملك الشرعي فارع ينهب وولديه إليشرح يحضب ويأزل بين وسائر عسكرهم، لم يلقوا السلاح، وظلت حمير لا تلقي السلاح كذلك، ودافعوا طويلًا، ومع ذلك فقد استطاع بنو همدان أن يخضعوا بني حمير وأن يتمتع الملكان الهمدانيان بلقب ملكي سبأ وذي ريدان ردحًا من الزمن.

---

[1] قيل ربما ان هو حدور الذي ذكرته الجداول الملكية ولكننا لا نستطيع أن نجزم بذلك.

[2] CHI, 308,1-17.

وظل الأحباش مخلصين لحلفائهم حتى نهاية الحرب، وأخيرًا استطاع ملك سبأ الشرعي أن ينتصر، واتخذ الحبش لهم مدينة سحرت قاعدة في بلاد اليمن، وطالبوا الملك الأكسومي ببعض رغباتهم كالاحتفاظ بجيش بحري كامل في اليمن، ولكنه لم يقبل[1].

وعلى هذا فقد تركت هذه الحملة آثارًا هامة في بلاد العرب، منها تحول سبأ إلى مملكة سبأ وريدانأ كما أن هجرات القبائل قد ظهرت في هذه الفترة تتجه من الجنوب إلى الشمال، وربما كان هذا راجعًا إلى ما رأوه من اضطرابات وحروب داخلية وخارجية، أضف إلى ذلك أن دولة أكسوم قد ضمنت أملاكًا في بلاد العرب، فقد استوطن الأحباش سحرت، وجعلوها قاعدة حربية لهم، واستقرت جاليات حبشية في اليمن منذ ذلك الحين، فبعد أكثر من قرن_(عام ١٣٠ م) نجد أحد السريان يلاحظ في خلال رحلته إلى بلاد العرب أن ملكًا عربيًا، لا يسكن في الخيام، شأن البدو ولكنه يعيش في قصر مزين الجدران برسوم الآدميين، وأن هذا الملك أسود حبشي (كوشي)، فهل نستطيع أن نزعم أن هذا الملك كان في جنوب بلاد العرب، وأن هذه المملكة

الصغيرة التي يحكمها هي إحدى الجاليات الحبشية التي استقرت في هذه المنطقة[2]؟

---

(1) conti Rossini, ja._Sep., 1921

(2) ذكرت هذه الرحلة في التلمود وتحدث عنها الأستاذ س. كراوس في ZDMG عام ١٩١٦ ص ٣٢٥.

٢

ولا نكاد نعرف من تاريخ أكسوم شيئًا يذكر في القرنين الثاني والثالث الميلاديين إلا ما ذكره بطليموس الجغرافي من مواقع بعض المدن الحبشية في القرن الثاني الميلادي، وما دلتنا عليه بعض النقوش الحبشية من أسماء ملوك، وإشارة إلى ديانة أصحابها.

ومن أهم هؤلاء الملوك عيزانا، وسمبروتس، وإل عميدا، وأفيلاس، وإن تحقيق أسماء ملوك الحبشة من الصعوبة بمكان لأن الملك منهم كان يلقب بألقاب كثيرة فضلًا عن تعرض الأسماء للتحريف بحسب اختلاف النصوص. فمثلًا عيزانا قيل هو أذينة الذي يذكره العرب، وقيل هو إل أبرهة (٣١٧-٣٤٢م)، أو أبرهة الذي حكم مع أصبحة حوالي ٣٦٠ م.

أما سمبروتس فقد ذكر في نقش يوناني قصير عثر عليه عام ١٩٠٦ في مكان شمالي أسمرة، في مستعمرة أريتريا، يسمى دقى محارى،[1] وربما يرتقي إلى القرن الثاني الميلادي، وفيه يلقب الملك سمبروتس (بملك ملوك أكسوم، الملك الأعظم)، وربما كان هو إل سمرة (٣١٤-٣١٦م) أو إل عميدا والد عيزانا. أما أفيلاس فهو أسبقهم جميعًا كما سنرى. فيكون الترتيب الزمني لهؤلاء

---

[1] وربما كان سبب وجود النقش في دقى محارى التي تبعد عن أكسوم بخمسة أيام أو ستة راجعًا إلى حملة عسكرية أرسلها سمبروتس إلى هذه البقعة.

الملـوك: أفـيلاس (٢٧٧-٢٩٠ م) ثـم سـمبروتس (إل عميـدا) (٣١٤-٣١٦م) ثم عيزانا (٣١٧-٣٤٢م).

وفي النصف الأول من القرن السادس الميلادي نسخ أحد التجار اليونان، كوزماس، من ميناء عدول، بعض النقوش المكتوبة باللغة اليونانية، ومنها نقش طويل، ولم يتمكن الباحثون أن يعرفوا اسم الملك صاحب هذا النقش على وجه التحقيق.

يتحدث هذا النقش عن غزوات ملك أكسوم القاهر وفتوحاته، وخلاصته أنه اتجه أولًا نحو المشرق والجنوب فأخضعالسكان في اتجاه البحر الأحمر، ثم سار نحو الشمال حتى بلغ الحدود المتاخمة لمصر، ومن بنهر تكازه، وفي طريقه أخضع قبائل البجه. ثم اتجه إلى الجنوب الشرقي، فأخضع القبائل الساكنة في الصومال، وانتقل إلى ما وراء البحر في بلاد العرب فأخضع قبائل الأرابيين (لعلهم قبائل تسكن شمالي بني حمير)، والكنايدوكولبيت (ولعلهم كنانة أو كندة على شاطئ بحر الحديدة الحالية) ثم زحف الملك إلى قلب البلاد العربية، فالتقى بمناطق مختلطة بالعرب الجنوبيين والأنباط، ومنها وصل إلى الحوراء الواقعة في شمال بلاد العرب، تلك المدينة البنطية التي يسميها النقش لويكي كومي، وبسط نفوذه عليها.

والباحثون مختلفون في تاريخ هذا النقش. ولعل أرجح الآراء في ذلك ما أثبته كونتي روسيني في المجلة الآسيوية في بحثه عن حملات الأحباش، وأملاكهم في بلاد العرب[1]. ويستدل كونتي روسيني في إرجاع هذا النقش إلى القرن الثالث الميلادي_لا إلى القرن الأول الميلادي كما زعم البعض_ بأمور منها أن صاحب النقش، كما يفهم من عبارته، ليس أول الملوك الذين حكموا في أكسوم، وأن إغفال النقش ذكر مملكة مرو التي ظلت قوية مزدهرة حتى دخول العصر المسيحي ربما كان دليلًا على فنائهاأو ضعفها في وقت كتابة النقش، ولم يتطرق إليها الضعف إلا بعد القرن الأول الميلادي بفترة من الزمن.

فمن يكون صاحب هذا النقش الذي غزا بلاد العرب، وشق طريقه فيها متجهًا إلى الشمال؟ كان المظنون منذ زمن أن صاحب النقش هو الملك (زوسكاليس) الذي ذكر في كتاب رحلة في البحر الأحمر المسمى (بريبلوس) وقال إنه سيطر على ساحل بربرة، ووصفه بأنه ملك (بخيل شديد الحرص على تنمية ثروته)، ولما قوبل بأسماء الملوك المدونة في الجداول رجح أن يكون هوزا هكاليه الذي حكم (بين ٨٩،٧٧ م).

---

[1] J.A, Juill-Sept., 1921

ولكن الأستاذ رايمر الذي كان عضوًا في بعثة حفائر أكسوم ١٩٠٦ يرى من الأنسب أن يكون مؤلف نقش عدول سابقًا لعهد زو سكاليس هذا[١].

أما كونتي روسيني فقد رجح أن يكون صاحب النقش هو أفيلاس (حول نهاية القرن الثالث الميلادي)، وقد أثبت ذلك بما أورده من بعض الحوادث والظروف التي وقعت في تاريخ اليمن ومن مقارنته بين النقود الأكسومية واليمنية.

وقد كانت مجموعات النقود الأكسومية مثار خلاف في تحقيقها وقد تبين أن من الممكن أن نميز بين مجموعتين كبيرتين من النقود الأكسومية[٢]، إحداهما تحمل على أحد وجهيها صورة آدمية دون الوجه الآخر والأخرى تحمل صورة آدمية على كل من الوجه والظهر. والطراز من المجموعة الأولى كان معروفًا لدى الأحباش منذ القدم في حين نجد الطراز من المجموعة الثانية دخيلًا على العملة الحبشية. ولما كان هذا الطراز الدخيل يشبه العملة اليمنية من حيث نقش صورة على كل من الوجه والظهر، فقد ترجح أنه قد جاء من أصل يمني، وربما حدث هذا التأثير بعد أن غزا الحبش بلاد اليمن، فتمكنوا بذلك من نقل نظام عملتهم إلى بلادهم.

---

[١] D.A.E., vol. 1,pp.43.45.

[٢] راجع ما كتبه الأستاذ بريدو **prideau** عن النقود الأكسومية في المجلد الرابع من كتابه:
The Coins of the axumite Dynasty, London, 1884.

ثـم إن هـذه النقـود مـن المجموعـة الثانيـة، كمـا ظهـرت مـن دراستها، قد عاصرت عهدين: الوثنية المنصرمة والمسيحية الطارئة: فمن المعلوم أن الوثنية الرسمية كانت موجودة حتى عصر إل عميدا والد عيزانا الذي كان أول ملك حبشي تنصر وقد عاش في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي.

وإذا رجعنا إلى أقدم ملك استخدم هذا الطراز الجديد المتأثر بالعملة اليمنية وجدناه الملك أفيلاس. وإلى عهده ترجع قطعة من النقود تعتبر تقليدًا رومانيًا لملك نصفي الوجه يرتدي حلة رومانية (توج)، وعلي رأسه قلنسوة مزينة بأشرطة، وعلي ظهر القطعة رسم لشجرة أو سنبلة، وعلي وجهها مكتوب (أفيلاس ملك الأكسوميين) ونقش علي ظهرها (من قبيلة ديميلي) وفيها بعض العلامات التي تميز النقود الوثنية وفيما عدا هذه القطعة فإن هناك مجموعة أخرى، ترجع إلي الملك نفسه ولكنها تمتاز بالطراز ذي الصورتين. ولعل السر في ذلك أن هذا الملك قد عاش في فترتين فترة لم يتأثر فيها الحبش بالعملة اليمنية وإليها ترجع العملة السابقة، وفترة تأثروا فيها بالطراز اليمني وقلدوه، وربما كان ذلك نتيجة غزوة أرسلها هذا الملك إلي بلاد اليمن ، فكأن القطعة الأولي كانت أسبق من أخواتها إذ ضربت قبل أن يغزو الملك بلاد اليمن، أي قبل أن تتأثر العملة الحبشية بطريقة اليمن في صك النقود.

ومن ذلك رجع أن يكون أفيلاس هو أول ملك أدخل هذه العملة الجديدة إلي بلاد الحبشة، وأن علي يديه حدثت غزوة لبلاد اليمن، وأنه اتجه نحو الشمال حتى وصل إلي مدينة الحوراء .

والراجح أن أفيلاس هذا لقب لهذا الملك وأن من ألقابه أيضا إل أسفح (٢٧٧_٢٩٠)، ولفظ أفيلاس مختلف في أصل اشتقاقه ومعناه، وهو مكتوب علي الطريقة اليونانية، أي بزيادة مقطع **as** في آخرها، وربما كان أصل اسمه أفنيل أي فم الله،[1]وقيل إن الاسم يذكرنا بالاسم الوارد في النقوش اليمنية (هوفثيل) وقيل غير ذلك[2].

أضف إلي ذلك دليلا آخر يثبت أن صاحب النقش كن في النصف الثاني من القرن الثالث ، وهو أن مملكة سبأ وذي ريدان عادت تجتمع في نهاية هذا القرن، تحت لواء أمراء وطنيين، منهم ياسر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان الذي ترجع نقوشه إلي ٢٧٠، ٢٧٤، وشمر يهر عش ملك سبأ وذي ريدان الذي يرجع نقشه إلي ٢٨١.

وبعد قليل، نجد لقب شمر يهر عش يصبح ملك سبأ وذي ريدان وحضر موت مما يدل علي أن شمر قد استولي علي حضر موت وأضافها إلي ملكه، وأن الحرب امتدت حينئذ من الحدود الشمالية لبلاد سبأ أعني من نجران (مدينة شمر كما يسميها نقش

---

[1] الأحباش يسمون أف كرستوس أي فم المسيح وأف ووق أي فم الذهب.

[2] راجع ما كتبه كونتي روسبني في المجلة الآسيوية عدد يوليو_ سبتمبر عام ١٩٢١.

النمارة) حتى المحيط الهندي، حيث حضر موت التي تقع في الجنوب الشرقي .

ولم تقف حروب شمر عند حضر موت، بل تحدثنا بعض النقوش عن حوادث أخرى؛ ففي نقش آخر[1] يجد شمر يهر عش في إخضاع القبائل التي لم تعترف له بالزعامة وكانت إحدى حملاته موجهة إلي سحرت وحلفائها لإخضاعها. وسحرت هي قاعدة الحبش في بلاد العرب، وتقع في الزاوية الجنوبية الغربية منها.

واستعان شمر بقبيلة سردود (ويظهر أن اسمها لا يزال باقيا حتى الآن في وادي سردود شمالي الحديدة في اتجاه سحرت) فوقفت بجانبه ضد سحرت . وكان من أثر ذلك أن تقهقر أهل سحرت إلي البحر، وطردوا إلي الشمال في اتجاه جبلين متفرقين يسميان (عكوتان) في أرض زبيد[2] ولا يذكر النقش اسم الحبشة ولا الجهة التي لجأ إليها أهل سحرت، وربما لجأوا إلي البحر ليستنصروا أحباش إفريقية.

حدثت هذه الحملة وشمر لا يزال ملك سبأ وذي ريدان.

ويظهر أنها كانت سببا في تدخل الأكسوميين مرة أخرى في شئون بلاد العرب؛ ولكن النقوش لا تدلنا علي شيء في هذا الأمر . وإنما دراسة النقود، كما رأيت، علي تأييد هذا الزعم .

---

(1) CIH,407.

(2) معجم البلدان لياقوت ٣ ص ٧٠٧.

وبهذا نرجح حدوث هذه الغزوة في نهاية القرن الثالث الميلادي لتخليص أهل سحرت من يد شمر، والضرب علي يد هذا الملك الثائر الذي أراد التوسع في الفتوح فضم بلاد العرب الجنوبية إلي ملكه.

وظل الحبش سادة على بلاد اليمن منذ نهاية القرن الثالث الميلادي حتى القرن الرابع الميلادي، ومما يؤيد ذلك، سكوت النقوش العربية في هذه الفترة عن ذكر أي خبر عن حكام اليمن. ثم كان أول ذكر بعد ذلك في النقوش سنة ٣٧٨م حين حكم ملكي كرب يهنعم في بلاد حمير.

وفي النقوش الحبشية ما يؤيد وقوع اليمن تحت حكم الأحباش في هذه الفترة، فلدينا نقش يرجع إلى عهد أحد الملوك الأحباش وكان سابقًا لعهد الملك عيزانا (أي قبل سنة ٣١٧م) ويلقب هذا الملك بملك الأكسوميين والحميريين..ثم كان لقب عيزانا (ملك أكسوم وحمير وريدان وسبأ وسلحين وصيامو[١] ويحه وكاسو) وكل الأمم أو البقاع المذكورة كائنة في بلاد العرب ما عدا أكسوم وبجه وكاسو.

وفي عام ٣١٦م توفي إل عميد والد عيزانا فأصاب البلاد بعد موته انحلال حين تولى العرش عيزانا وكان طفلًا تحت وصاية مؤقتة ظلت حتى بلغ عيزانا أشده، ومن المعروف أن عهود الوصايات

---

[١] قيل سلحين هي مأرب، صيامو هي تهامة اليمن.

تنطوي على ضعف سياسي غالبًا فسرى الضعف في مستعمراتهم، وساءت إدارة الأحباش، وبدأ تألب القبائل الجنوبية، وطمع _عرب الشمال فيهم، واستغلوا ضعفهم للاستيلاء على اليمن. ففي حوالي ٣٢٨م، كما يدلنا نقش النمارة، الذي اكتشفه ديسو، وهو نقش عربي قديم، رأينا ملكًا عربيًا اسمه امرؤ القيس، يلقب نفسه بملك العرب جميعًا، ليس غسانيًا ولكنه كان من ملوك الحيرة الذين كانت دولتهم على حدود العراق، واستطاع بنفوذه أن يكون حاكمًا من قبل الرومان أيضًا. وهو في نقشه يشير إلى أنه أحرز التاج، وملك الأسدين (أسد وطيئ قبيلتان في بلاد العرب بجوار جبل شمر)[١] ونزارًا وملوكهم (وكانت نزار تقع في الشمال الغربي من الجزيرة العربية). وتوسع في الفتوح حتى بلغ نجران مدينة شمر (شمر يهرعش).

كان الملك عيزانا مولعًا بالقتال إلا أنه لم يعبر البحر لإخضاع العرب بالرغم من أن العرب كانوا قد أحدثوا بعض القلاقل وأحسوا بضغط الحكم الحبشي، ولا ندري هل كان هذا الإغفال راجعًا إلى ضعف هذا العهد، أم إلى أن البلاد المحيطة بدولته بدأت تتمرد عليه من ذلك الحين فانشغل بها عن محاربة اليمن، أم أنه اكتفى بحكمه الصوري على اليمن وفوض للإدارة الحبشية فيها أمر إخضاع هذه البلاد وحكمها.

---

[١] اكتشف في حدود حوران الصحراوية.

دخلت المسيحية في بلاد الحبشة على يد أحد رجال الدين الإسكندريين، ويدعى فرومنتيوس[1] حوالي ٣٣٠م أي في حكم عيزانا على الراجح، وقد اعتنق عيزانا المسيحية على يديه، فهو أول ملك حبشي اعتنقها على الراجح، وكان معاصر القسطنطين الأكبر، وبعض الباحثين يسمون عيزانا قسطنطين الحبشة تشبيهًا له بالأول، إذ أنه جعل المسيحية دينًا رسميًا في الحبشة، وفي بعض نقوشه أنه حارب مملكة مرو وهي الأرض التي كان يسكنها أهل النوبة والكوش،[2] وكانت لا تزال على دينها الوثني حين هاجمها عيزانا فهدم ما فيها من الأصنام. ومنذ أن دخلت المسيحية في الحبشة لم نسمع عن ملوك أكسوم حتى نهاية القرن الخامس الميلادي حيث وجدنا الملك تازينا (ويسمى إل عميدا وهو غير إل عميدا والد عيزانا) يتمثل في بعض نقوشه وثني العقيدة وفي بعضها مسيحيًا.

وفي ذلك الحين، كما سبقت الإشارة، وفد تسعة رهبان من السريان، من أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة Monophysites وبشروا بالمسيحية في البلاد. والظاهر أن المسيحية لم تنتشر وتتأكد دعائمها إلا بعد قدوم هؤلاء الرهبان، وأن تبشير فرومنتيوس وإنكان

---

[1] عين فرومنتيوس مطرانا على الحبشة وسماه الأحباش (أبا سلامة).

[2] سكن أهل الحبشة في المجرى الأوسط لنهر عطبرة، ويسمى مجراه الأعلى نهر تكازه، وسكن الكوش في المجرى الأدنى لعطبرة عند اجتماعه بالنيل أي في منطقة مرو.

قد ترك آثارًا، إلا أنه لم يصادف نجاحًا كبيرًا في البلاط الأكسومي، وربما كان هذا راجعًا إلى ضعف المطارنة الذين تولوا من بعده كرسي الحبشة، ووقوف أصحاب المذاهب الأخرى في وجه انتشار الأرثوذكسية في الحبشة.

وقد اكتشف الباحثون قطعًا من النقود الحبشية تحمل أسماء ملوك جديدة، قد تبلغ العشرة، لم يذكرها الباحثون القدماء، ولا نكاد نجد منهم في جداول الملوك إلا اسمين: إل جبز وأرماح. ويقال إن أرماح هذا حكم بعد إل عميدا (تازينا) فيكون حكمه من ٤٨٩-٥٠٣م[١]، ويسمى أرماح الأول تمييزًا له عن أرماح الثاني الذي يظن أنه عاش في القرن السابع وكان معاصرًا للنبي عليه السلام.

وبعد بعثة فرومنتيوس بسنين (أي بين ٣٤١، ٣٤٦م) ذهبت إلى اليمن بعثة على رأسها ثيوفيلوس الهندي [٢]، وكانت اليمنفي ذلك الحين قد استردت استقلالها وحريتها. وكان ثيوفيلوس

---

(١) Budge vol, 1.p, 261

(٢) قيل سمي الهندي نسبة إلى جزيرة هندية اسمها ديبوس ولكن جلازر أثبت (Abessinier,p.167) أن هذه الجزيرة تقع على الساحل الغربي للبحر الأحمر قرب أنفوردا، فلو صح ذلك لساعدنا على معرفة لماذا أرسل ثيوفيلوس على رأس هذه البعثة إلى تلك البلاد، إذ يكون في هذه الحالة أجدر من غيره برئاسة هذه البعثة لكونه أكثر خبرة بأهل اليمن، وكثيرًا ما يطلق الرومان واليونان على اليمن كلمة الهند، وأصل هذه التسمية أن الفرس كانوا يطلقون كلمة السود على الأحباش الذين تحالفوا معهم في جنوب بلاد العرب أسوة بالشعوب ذوي الجلود السوداء الذين عاشوا قريبًا منهم وهم الهنود.

ثم انتقلت هذه التسمية إلى الغرب عن طريق السريان، لهذا كان من الصعب أن نعرف دلالة (الهند) حين تطلقها هذه الشعوب (راجع ما كتبه رتيشارديل في كتابه Origin of Islam in its Christian snvironment, p. 34. London 1928.

آريوسيا[1].أرسله قسطنطين مصحوبًا بهدايا إلى حمير للتبشير بالمسيحية على مذهب آريوس في بلاد اليمن.

وكان الخلاف على أشده بين آريوس ممثل مذهب كانت تعده كنيسة الإسكندرية إلحادًا وبين أثناسيوس بطريق الإسكندرية وممثل كنيستها، وكان فرومنتنيوس موفدًا إلى الحبشة من قبل أثناسيوس هذا_ لهذا كانت المنافسة شديدة بين ثيوفيلوس في اليمن وفرومنتيوس في الحبشة.

والظاهر أنه كان من أغراض بعثة ثيوفيلوس ضمان حرية العبادة للرومان المسيحيين القاطنين بهذه البلاد، والحصول على فوز للمذهب الآريوسي يضاهئ ما حصل عليه الأرثوذكس في الحبشة. ولما كانت الحروب ناشبة في ذلك الحين بين الروم والفرسوكان الفرس قد ملكوا ناصية الطرق التجارية البرية مع الهند فربما كان من أغراض هذه البعثة أيضًا، أن يطلبوا إلى أمراء اليمن المفاوضة في ضمان حسن نيتهم إزاء تجار الرومان الذين كانوا يعبرون ببضائعهم عن طريق اليمن [2]، ولكن يظهر أن بعثة ثيوفيلوس لم تصادف نجاحًا كبيرًا في بلاد اليمن. وكان ثيوفيلوس مزودًا بخطاب من الأمبراطور إلى عيزانا وأخيه ميزانا وهو يلقبهما في خطابه (بالشقيقين

---

[1] نسبة إلى آريوس، عالم مسيحي، نشأ في إفريقية وترك وطنه إلى الإسكندرية، وعاش في القرن الرابع الميلادي، وكان يرى أن المسيح مخلوق كسائر البشر، وأنه لم يكن منذ البدء، بل إنه مخلوق أخرجه الله من العدم لكي يخلق به بقية الخلائق.

[2] **conti Rossini, JA, Juill_sept. 1921.**

العزيــزين)، وقــد ســعى ثيوفيلــوس للــذهاب إلــى الحبــشة وإقنــاع فرومنتيوس بالتخلي عن أثناسيوس واعتناق مذهب آريوس فلم يفلح.

وكان طبيعيًا ألا يحصل ثيوفيلوس على فوز ديني أو سياسي في اليمن لسبب ظاهر: هو تدخل الفرس في شئون اليمن وتحريضها على مقاومة نفوذ الرومان في هذه البلاد.

وكان ثيوفيلوس مزودًا بخطاب من الأمبراطور إلى عيزانا وأخيه ميزانا وهو يلقبهما في خطابه (بالشقيقين العزيزين)، وقد سعى ثيوفيلوس للذهاب إلى الحبشة وإقناع فرومنتيوس بالتخلي عن أثناسيوس واعتناق مذهب آريوس فلم يفلح.

وكان طبيعيًا ألا يحصل ثيوفيلوس على فوز ديني أو سياسي في اليمن لسبب ظاهر: هو تدخل الفرس في شئون اليمن وتحريضها على مقاومة نفوذ الرومان في هذه البلاد.

الباب الثاني



والقرن السادس الميلادي حافل بأخبار الحبشة وعلاقتها باليمن، وإن كانت هذه الأخبار لا تخلو من فجوات غامضة. فقد دونها الرومان، واليونان، والعرب، وعثر على نقوش قيمة ترجع إلى هذا القرن. ولعل أهم ما دونوه من تلك الكتب:

١- كتاب أعمال القديس الحارث **Acta Si Aretae** وهو من أقدم النصوص التي قصت لنا الحوادث التي جرت في اليمن من تهود ملك حمير وقتله المسيحيين وعلى رأسهم الحارث زعيم نجران وتدخل الحبشة وقتلهم للملك اليهودي.

والراجح أن هذا الكتاب منقول من أصل يوناني غير معروف، وإن كثيرًا مما ورد في الروايات العربية، مما رواه ابن إسحاق وهشام من هذه القصة قريب مما ورد في هذا الكتاب[١].

٢- كتاب الحميريين (كثافاد حميريا) وهو عبارة عن أوراق قديمة جدًا باللغة السريانية وفيها أجزاء تالفة وأخرى ضائعة تتناول نفس

---

[١] راجع مقدمة اكسل موبرج في كتاب **The Book of the Himyarites, Lund 1924**

موضوع الكتاب الأول وقد نشره الأستاذ أكسل موبرج في لندن سنة ١٩٢٤ وأثبت أنه من أقدم النصوص التي ذكرت هذه الحوادث، ورجح أن تكون هي المصدر الأصلي لبعض المصادر السريانية الأخرى، وأنه كتب في زمن معاصر تقريبًا لشهداء نجران أي حوالي ٥٢٥م.

ومن النصوص السريانية التي كان الباحثون يعتمدون عليها قبل نشر هذا الكتاب ولا يزالون، خطاب سمعان أسقف بيت أرشام وهو معاصر أيضًا، فقد سمع في العراق خبر القصة من شهود عيان فدونها في هذا الخطاب، وأرسله إلى سمعان رئيس دير جابول، وقد نشر هذا الخطاب في روما ١٧١٩ في رسالة نشرها السمعاني في المكتبة الشرقية [١].

كذلك ليعقوب الرهاوي وصف لهذه القصة في بعض ميامره (منشوراته التعليمية) أرسله إلى المسيحيين من بني حمير[٢].

وهناك ترنيمة ليوحنا بسالتى تشيد بهؤلاء الشهداء، ترجمت من اليونانية إلى اللسان الرهاوي (السرياني)[٣].

ويلاحظ أن هذه الكتب والرسائل (١،٢) تمتاز بروح دينية متعصبة للمسيحية ساخطة على جور اليهود.

---

[١] ١: ٤٦٣ -٣٧٩

[٢] راجع ما كتبه شريتر Schroeter في مجلة ZDMG مجلد ٣١ عام ١٨٧٧.

[٣] راجع ما كتبه شريتر Schroeter في مجلة ZDMG مجلد ٣١ عام ١٨٧٧.

٣- ما كتبه المؤرخون الرومان مثل بروكوبيوس، وكوزماس، ومالالاس وغيرهم وهؤلاء عرفوا ما حدث في بلاد اليمن في ذلك الحين من قلاقل دينية، وعرفوا المعارك الناشبة بين اليمن والحبشة، وتحدثوا عن تدخل الإمبراطور البيزنطي. فيتحدث كوزماس عما شاهده بنفسه في عدول، حوالي ٥١٥م من استعداد لحملة حبشية يقوم بها الملك إل أصبحه ملك أكسوم على بلاد حمير. ويمدنا بروكوبيوس بمعلومات صحيحة عن البحر الأحمر والملاحة فيه. ويرسل الإمبراطور البيزنطي رسوله نونوزوس إلى ملك أكسوم فيكتب تقريرًا عن هذه البعثة، ولكن مالالاس يخبرنا أن هذا التقرير مع الأسف لم يعثر منه إلا على جذاذات ذكرها فوتيوس في مجموعة بون للكتاب البيزنطيين.

١

قيل إن سلالة من اليهود كانت قد لجأت إلى بلاد العرب هربًا من اضطهاد أباطرة الرومان، ولاسيما عقب تخريب بيت المقدس (٧٠م)، حيث ذبح منهم مئات، وفر عدد كبير إلى حدود العالم القديم، وأسسوا جماعات قوية ولاسيما في بابل. من هؤلاء من لجئوا إلى بلاد وانتشروا فيها من طور سيناء حتى عمان شرقًا وعدن جنوبًا. وكانت هذه الجماعات، إذا اتفق نزولها بين شعوب بدائية، أو قبائل همجية، تغلبت عليهم بمالها من حضارة قديمة، وتحولت إلى مستعمرات مستقلة. وهذا ما حدث في بعض المناطق العربية.

ولقد أولع اليهود في التاريخ بحب الانتقام، وإشعال الثورات كلما وجدوا إلى ذلك سبيلًا. فقد فعلوا ذلك على حدود الإمبراطورية في الشرق فأشعلوا الثورات، وحرضوا الفارثين والفرس والعرب وقبائل الشرق المتوحشة. وربما ترجع هذه النزعة الانتقامية إلى (رد فعل) ما كان يحدث من اضطهادهم المتواصل بالسب والإهانة والتشريد[١].

وقد حدث أن استقرت في اليمن طائفة منهم، ووجدوا أنفسهم في حماية الفرس أصحاب الدعاية القوية في حمير، ولاسيما وقد كانوا لاجئين من اضطهاد الرومان أعداء الفرس، فما كاد اليهود يملكون ناصية الحكم في أرض حمير حتى ظهرت فيهم روح الانتقام من النصارى الرومان العابرين ببضائعهم الهندية في طريقهم إلى الحبشة ومصر وتذكر الكتب العربية قصة تهود بعض ملوك حمير، فتقول إن تبان أسعد أبا كرب ملك حمير هو أول ملك متهود من ملوكهم، وكان له بنون ثلاثة: حسن وعمر ووزعة، ويقال إن زرعة هذا هو ذو نواس[٢]

آخر ملوك حمير الذي حكم في رواية من ٥٢٠–٥٢٥م وكانت عاصمته ظفار (ريدان).

---

(١) Kammerer, 112.

(٢) اختلف في أصل تسميته: ذكر ابن هشام (ص ١٩) أنه زرعة، ويروي ابن خلدون (حـ٢ ص ٥٩) أنه لما تغلب على ملك آبائه تسمى يوسف، وقيل إن ذانوس لقب منسوب إلى أسرته أو عشيرته كما يقال ذويزن وذو جذن وذو قفن، وأن نواس قبيلة سبئية ذكرت في النقوش وربما كان ذو نواس منسوبًا إليها (هارتمان) وأسسه (مسروقًا) في كتاب الحميريين، ويرى شروتر أن مسروق ترجمة لذي نواس باللغة السريانية، ذلك أن العرب يقولون أنه سمى ذا نواس لان ذؤابتين كانتا تنوسان على عاتقه (ابن قتيبة ص ٣١١) وأن (سرق) في السريانية معناها سرح أو رجل أو مشط الشعر. لهذا سماه السريان مسروقًا بصيغة مفعول العربية الشمالية. ثم جاء العرب وأخذوا القصة من السريان وجموا مسروقًا بذي نوس.

والمفهوم أن المسيحية كانت ترتبط الدول المنتصرة بالدولة الرومانية ربطًا قويًا، وبعبارة أخرى كان اعتناق المسيحية سبيلًا إلى بسط النفوذ الروماني، فقد كسبت الدولة الرومانية صداقة الأحباش بعد أن صادفت دعوة فرومنتيوس نجاحًا فيهم، وفشلت بعثة ثيوفيلوس في اليمن لأن الحركات المناوئة كانت عنيفة لم يستطع مقاومتها، فقد كان للفرس فيها صولة وجولة،من هذا نفهم لماذا مكن الفرس اليهود في بلاد اليمن، ولماذا لجأ بعض ملوك حمير إلى اليهودية. الغالب أنهم صنعوا ذلك ليحاربوا المسيحية بدين مثلها من جهة ولأن اليهودية كانت تعتمد على تأييد الفرس في حين كانت المسيحية تستند إلى الدولة الرومانية الشرقية الطامعة في غزو بلادهم.

٢

ومن الممكن أن نفهم مما ذكره بعض المؤرخين (كيوحنا الأفزوسي ومالالا وغيرهما) أن تنكيل اليهود بالمسيحيين في بلاد اليمن كان سببًا في نشوب حربين، فرووا أن دميانوس أو دمنوس ملك حمير اليهودي كان قد أمر بقتل قافلة أو أكثر من قوافل التجار الرومان الذين كانوا يجتازون مملكته إلى بلاد الحبشة، فأوغر ذلك صدر ملك الحبشة إيدوج Aidog (كما يسميه يوحنا الأفزوسي [١])

---

[١] ورد اسم هذا النجاشي في كتب القدماء بصيغ مختلفة مثل

Adad, Aiga, Adadas, Andas, Anda etc (Kamerer, 109).

وإمبراطور الروم واتفقا على قتالهم، وجردوا على الملك اليهودي حملة انتهت بانهزام دميانوس وقتله، وولى الأحباش والرومان أميرًا نصرانيًا على حمير ولكنه لم يعش طويلًا، فوجد اليهود الفرصة سانحة لإقامة يهودي آخر عليهم، وكانوا قد استعادوا شيئا من قوتهم، فولوا ذا نواس[1] اليهودي ملكا علي حمير . وكان التجار قد انقطعوا عن طريق اليمن خوفا علي حياتهم، فاتجه بنو حمير إلي معاكسة المسيحيين الذين يقيمون بين ظهرانيهم، وكان من أهم معاقل المسيحيين مدينة نجران فدخلها ذو نواس عنوة ونكل بأهلها ومثل بجثث القتلى، وهذا ما حفز ملك الحبشة، واسمه في هذه المزة إل أصبحه[2]؛ علي القيام بحرب أخرى ضد بلاد اليمن للقضاء علي هذا الملك اليهودي الثائر .

فظاهر من هذه الروايات أن هناك حربين حدثتا بعد تهود ملوك حمير، إحداهما نشبت بين دمين الحميري وأيدوج الحبشي، والأخرى بين ذي نواس الحميري وإل أصبحه الحبشي، ولكن الباحثين ينكرون وجود حربين ويزعمون أن النصوص الموثوق بها لا تذكر إلا حربا واحدة حدثت بين إل أصبحه وذي نواس في القرن

---

[1] ذكره المؤرخون القدماء بأسماء مختلفة فمثلا أطلقوا عليه:

Dunaan, Dunaas,phineas ete.

[2] ويذكر القدماء هذا الاسم أيضا بصور مختلفة منها :

Ellelzbaas Ellesboas, Elesbaan,Kaleb,etc.

وقد حكم إل أصبحه هذا حول عام ٥٢٢م . وقد تحقق الباحثون من أن كالبهو إل أصبحه نفسه وذلك مما عثر عليه من النقود التي ترجع إلي عهده **(kammerer,117.)**

السادس الميلادي، ويعدون ما ذكره القدماءمتعلقًا بنشوب حربين خلطًا منهم في الأسماء وسرد الحوادث، ويزعمون أن دميانوس تحريف لاسم ذي نواس نفسه إلى غير ذلك من المزاعم، ولكننا نرى أن ما أوردوه من الأدلة لا يكفي لتدعيم ما يزعمون، فليس من اليسير أن يكون دميانوس أو دمنوس تحريفًا لذي نواس، كما أننا لا نستطيع أن نوجد الصلة بين إيدوج وإل أصبحة. أضف إلى ذلك أن الأستاذ فل **Full** قد رجح في بحث كتبه في مجلة المستشرقين الألمان[1] أن إيدوج هذا هو الملك تازينا (أو إل عميدا) والد إل أصبحة، وأرجع تاريخه إلى حوالي ٤٨٠م. وفي رواية حبشية أن اضطهادًا قد حدث بين النصارى واليهود في بلاد اليمن في زمن الملك شرحبيل يقف الذي عاش حول عام ٤٦٧م [2]، كان سابقًا لذي نواس وأنه كانت بين دميان وذي نواس فترة تولى في أثنائها على بلاد اليمن ملك نصراني لم يعش طويلًا، فكأن ذي نواس لم يل عرش حمير بعد دميان مباشرة. فإذا فرضنا أن الفترة التي كانت بين الملكين اليهوديين حوالي الأربعين عامًا، كان من المعقول أن يكون دميان معاصرًا لإيدوج ومعاصرًا لشرحبيل يقف . وإذا كان ذو نواس قد ولى العرش حول ٥٢٠م كما عرفنا من قبل فإننا نستطيع أن نحدد زمن الحرب الأولى بالتقريب حول ٤٨٠م.

---

[1] **ZDMG, 35, 1881.**

[2] راجع مقدمة اكسل موبرج لسكنات الحميرين.

٣

تتلخص رواية ابن إسحق، المؤرخ العربي، مما نقله عنه ابن هشام والطبري في أن المسيحية في بلاد اليمن دخلت علي يد فيميون أو عبد الله بن الثامر وقد تلقاها عن رجل أجنبي . وكان آخر ملوك حمير ذو نواس الذي اعتنق مع شعبه دين اليهودية واتخذ عاصمته صنعاء . وحدث أن زحف علي نجران بجيشه ليحمل أهلها علي دين يهود، ولكنهم رفضوا فعذبهم بأن حفر لهم أخدودا وملأها نار وأحرق وقتل بالسيف من قتل وكان عدد ضحاياه زهاء عشرين ألفا . وكان من بين القتلى عبد الله بن الثامر أو قتل قبلهم علي رواية أخرى . وذهب دوس ذو ثعلبان إلي ملك الروم وقيل إن الذي ذهب هو حيان أو جبار بن فيض، واستنصره علي ذي نواس . ولم تسمح طول الشقة أن يتدخل ملك الروم تدخلا مباشرا، فلبي النجاشي الدعوة، وأرسل جيشاً بقيادة أرياط، وكان في الجيش أبرهة الأشرم، وانتهت المعركة بهزيمة الحميريين والقاء ذي نواس بنفسه في البحر وهو راكب فرسه، وحكم أرياط اليمن .

أما رواية ابن الكلبي، فإنها تتلخص في أن ذا نواس سار إلي نجران ، وكان متعصبا لليهودية، ودخلها، وعذب أهلها بسبب تعذيبهم رجلا يهوديا يقال له دوس ذو ثعلبان . ففر رجل (لم يذكر ابن الكلبي اسمه) من نجران إلي ملك الحبشة مباشرة وطلب

معونته، وتلبث النجاشي في الأمر، ثم قبل، وكان ملك الروم قد أرسل سفنا تساعد النجاشي، وأرسل النجاشي جيشا تحت لواء قائدين، أحدهما أبرهة الأشرم . وانهزم بنو حمير وألقى ذو نواس بنفسه في اليم ، وتولي أبرهة الملك في صنعاء .أما أرياط فقد ذكر المؤرخ أنه قد ظهر بعد ذلك.

ويلاحظ أن كثيرا من هذه الروايات العربية قريب من النصوص التي ذكرها كتاب أعمال القديس الحارث، ولعل وفاة الملك اليهودي هو الخبر الوحيد الذي يمكن إرجاعه إلي كتاب الحميريين[١]، علي حين يذكر كتاب أعمال الحارث أن القائد الحبشي قد أخذ الملك اليهودي أسيرا ثم قتله . كذلك تجعل الرواية العربية عاصمة الحميريين صنعاء، والمعروف في التاريخ وفي سائر الكتب الموثوق بها أن ظفار (ريدان) كانت هي العاصمة.

ويعتقد الأستاذ جويدى أن المؤرخين المسلمين قد تعودوا أن يستقوا الأخبار المسيحية والرومانية في العصر الجاهلي من المصادر (السريانية- اليونانية) التي جاءت غالبًا عن طريق السريان[٢].

والرواية العربية تختلط أيضًا حين تشير إلى بدء دخول المسيحية في اليمن، وفي هذا الخبر أيضًا نجد أثر الأفكار

---

[١] مقدمة أكسل موبرج لكتاب الحميريين . vliii

[٢] نفس المرجع .Xiii

السريانية– اليونانية مشوبة إلى حد كبير بالخيال والأساطير، فمن المعلوم في آداب الكنيسة السريانية أن تاجرًا من نجران، يقال له حيان، كان أول من أدخل المسيحية في هذه المدينة. فإذا قارنا هذا بما ذكرته الرواية العربية من أن حيان رجل استنصر ملك الروم على ذي نواس نجد اسم حيان يمثل في كل من الروايتين السريانية والعربية دورًا خاصًا، ولكن هذا لا ينفي تأثر العرب بالسريان في هذه الرواية، لأن من المعلوم أن أبطال الأساطير أو الأسماء البارزة فيها كثيرًا ما يكونون عرضة لتبادل الأدوار، وأقرب مثل لدينا دوس ذو ثعلبان؛ فرواية تجعله رجلًا مسيحيًا هرب إلى ملك الروم يطلب مساعدته؛ ورواية تجعله يهوديًا يقتل أولاده على يد المسيحيين فيكون بذلك سببًا لما حدث من اضطهاد[1] ثم إن الراوية العربية تذكر أن الشهداء المسيحيين كانوا زهاء عشرين ألفًا، ولكن ترنيمة يرحنا تذكر أن عدد القتلى يربو على المائتين، وهذا معقول، وربما كان ذلك، في الوقت نفسه، دليلًا على صحة هذه الترنيمة ومعاصرتها للحادثة.[2] كذلك مما لا يتمشى مع المعقول ما تزعمه الرواية العربية من أن ذا نواس بعد هزيمته قد ألقى بنفسه في البحر، فليس من اليسير تصور اجتياز ذي نواس تلك الطريق الطويلة التي تمتد من نجران إلى الساحل ليلقي بنفسه في البحر. وإنما الراجح

---

(١) مقدمة اكسل موبرج .XIV

(٢) R,Boll, p. 38.

أنه أخذ أسيرًا ثم قتل. أضف إلى ذلك أن الرواية العربية تذكر أن ذا نواس قد عذب أهل نجران بأن حفر لهم أخدودًا وملأها نارًا، ولكن الروايات الأخرى لم تبين لنا أن التعذيب كان على هذه الصورة، وربما كانت الرواية العربية متأثرة بما جاء في تفسير قوله تعالى: (قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود* إذ هم عليها قعود..) سورة ٨٥. وأرى أن نناقش ما ذكره المفسرون في تفسير هذه الآيات معتمدين على تفسير ابن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠ هـ) الذي يعد من أقدم المفسرين، لنعرف مدى العلاقة بين مدلول هذه السورة وبين قصة تعذيب المسيحيين في نجران، وما هو المقصود من السورة الكريمة.

يروي الطبري تفسيرات شتى لهذه السورة: أحدها أن السورة تشير إلى قصة الحميريين وشهداء نجران، نقله عن قتادة عن علي بن أبي طالب، وفيه يقول (إن أصحاب الأخدود هم ناس بمزارع اليمن اقتتل مؤمنوها وكفارها فظهر مؤمنوها على كفارها). وروى مجاهد مثل هذا التفسير ولكنه كان أشد إيجازًا، فلم يزد على أن قال (إن الأخدود شقوق في الأرض بنجران كانوا يعذبون فيها الناس). وهذا كما يظهر ليس بالكلام الصريح الذي يفيدنا في أمر هذه القصة، فقد سكتت الرواية عن ذكر ذي نواس وأمر نصارى نجران معه فلم توضح لنا من هم هؤلاء المؤمنون والكفار الذين اقتتلوا، ومن هم هؤلاء الناس الذين عذبوا في أخاديد نجران، ويرجح

الأستاذ لوث[1] أن السورة لا تشير إلى هذه القصة، وإن ما رواه قتادة إنما هو من عنده، استقاه من بعض نصارى نجران الذين أمرهم عمر أن يهاجروا إلى العراق عام ١٣هـ، ولاسيما إذا عرفنا أن قتادة (٦٠-١١٧هـ) عالم عراقي نشأ في البصرة، وعاش قريبًا من المنطقة التي رحل إليها هؤلاء النجرانيون بعد نصف قرن من مولد قتادة. فلما جاء ابن إسحاق في القرن الثاني الهجري، وذكر تفصيل هذه القصة، رأينا المفسرين بعد ذلك، وقد عرفوا تفاصيل القصة من ابن إسحاق وغيره، يوضحون ما أوجزت رواية قتادة، بل وجدنا أحاديث تنسب إلى النبي، يرويها الترمذي ومسلم، تشير إلى قصة أهل نجران وما نزل فيهم من القرآن، على حين لم يذكر الطبري عن النبي حديثًا واحدًا يثبت الصلة بين قصة أهل نجران والسورة الكريمة. ويعجبني ياقوت (+٦٢٦ هـ) في تعليقه على ما روى عن ابن إسحاق والترمذي ومسلم في هذا الصدد بقوله: (خبر الترمذي ومسلم أعجب إلى من خبر ابن إسحاق، لأن في خبر ابن إسحاق أن الذي قتل النصارى ذو نواس وكان يهوديًا صحيح الدين.. ودين عيسى إنما جاء مؤيدًا ومسددًا للعمل بالتوراة، فيكون القاتل والمقتول من أهل التوحيد، والله قد ذم المحرق والقاتل لأصحاب الأخدود، فبعد إذًا ما ذكره ابن إسحاق. وليس لقائل أن يقول إن ذا نواس بدل أو غير دين موسى عليه السلام لأن الأخبار غير شاهدة

---

(1) ZDMG, vol. 35, 1881, pp, 619,48,63.

بصحة ذلك. وأما خبر الترمذي أن الملك كان كافر أو أصحاب الأخدود مؤمنين فصح إذًا والله أعلم)[1]

لهذا_ كما ترى_ نستبعد هذا الرأي وننظر في غيره من الأقوال: ب– رواية أخرى يرويها صهيب عن النبي_ ﷺ _ تتلخص في أن بعض الملوك قد عذب المؤمنين بالله من قومه بأن خدلهمأخدودًا وملأها نارًا فمن لم يرجع عن دينه طرحه فيها وهي قصة لم يصرح فيها باسم ولا زمان ولا مكان. ويري الأستاذ لوث أن هذه الرواية، وهي التي تنسب إلى النبي (ﷺ) من بين ما رواه الطبري في تفسير هذه السورة، تعبر لنا عن مضمون قصة استشهاد جرجيس Saint George. والعرب يعرفون هذه القصة من قديم وقد أشار الطبري إليها وذكر أخبارًا منها في الجزء الأول من تاريخه ص ٧٩٥ وهي سريانية الأصل.

جـ ورواية ثالثة ذكرها ابن عباس ترى أن السورة تشير إلى رجال دانيال الذين عذبوا في أتون متقد، ويرى الأستاذ جيجر Geiger أن هناك تشابهًا بين العبارات التي وردت في قصة تعذيب أصحاب دانيال في التوراة وما ورد في هذه السورة القرآنية. فكما نجد في السفر (في الإصحاح الثالث) عبارة (أتون نورا ياقذتا) أي أتون النار المتقدة، ولفظ قطل أي قتل مستعملًا بمعنى الإحراق (في

[1] معجم البلدان لياقوت حـ ٧ ص ٢٦٢.

الآية ٢٢ الإصحاح الثالث)، فكذلك نجد القرآن يعبر عن أتون النار المتقدة بقوله (الأخدود النار ذات الوقود) ويعبر عن الإحراق بقوله (قتل أصحاب الأخدود).

وسواء أكان المقصود من هذه السورة قصة جرجيس أو قصة أصحاب دانيال فمن الراجح أن تكون القصة قد عرفها العرب عن طريق الحبشة– اليمن وربما كان دليلنا في ذلك كلمة _أخدود، فسنرى فيما بعد أنها ليست عربية الأصل وإنما دخلت إلى العرب عن طريق اليمن أو الحبشة. وربما كان صدور هذه القصة من هذه الجهة قد جعل المفسرين والرواة يظنون أن حوادث القصة قد وقعت في بلاد اليمن. ومن الروايات التي نجدها في كتب التفاسير المتأخرة ما يزعم أن القصة وقعت حوادثها في الحبشة.[1]

وربما ساعد على هذا التصور تشابه هذه القصص، واشتراكها في مسألة تعذيب المؤمنين واستشهادهم في سبيل عقيدتهم.

٤

وصلت بعثة من اليمن إلى المنذر الثالث ملك الحيرة تنبئ بما صنعه ملك اليمن الجديد من تعذيب المسيحيين والتمثيل بهم. وكان الغرض من هذه البغثة إغراء المنذر لتقديم معونة إلى المسيحيين في اليمن. والمنذر هو ممثل الفرس الذين كانوا يناصرون اليهود

[1] الحبشان ص ٩٤.

ويمكنون لهم في بلاد اليمن، لهذا كان طبيعيًا أن يرفض مطالب البعثة. وعرفت الدولة الرومانية خبر ذي نواس من خطاب أرسله الأسقف سمعان إلى ملك الروم يستحثه ويستعطفه، كما عرف الخبر من دوس_ذي ثعلبان، هذا النصراني الذي ذكرته الراوية العربية أنه فر من نجران إلى القسطنطينية وطير الخبر إلى الإمبراطور لاجئًا إليه مستعينًا به. ويقال إن الأمر الذي زاد في تحمس ملكي الروم والحبشة، وأكد عزمهما على قتال ذي نواس، هو ما بلغهما من تعذيبه الحارث النصراني، زعيم النجرانيين، وكان عظيمًا في قومه، وقورًا، قد بلغ من العمر أرذله، ولم يمنع ذا نواس كبر سنه ومركزه في قومه من تعذيبه وتعذيب زوجته وبناته.

وحول سنة ٥٢٣م أنزل النجاشي جنوده في البحر استعدادًا لقتال حمير، وساعده الرومان بأسطول بحري، وعلى شاطئ ميناء جبزة (قرب عدول) رابط عشرون ألف جندي من رجال إل أصبحة، واحتلت قوة من عشرة آلاف رجل أرضًا على ساحل مهجور من بلاد العرب (وربما كان في منطقة موزا– مخا الحالية) وتقدموا سريعًا نجو نجران؛ وانتهت المعركة بهزيمة ذي نواس وسقطت ظفار عاصمة ملكه وقتله الأحباش.

وإذا كان الأحباش قد أفلحوا في قمع الثورة الدينية التي كانت متأججة بين اليهود والنصارى في اليمن بقتل ذي نواس، وتدعيم

المسيحية، والقضاء على آثار الحكم اليهودي في اليمن، إلا أن ثورات من نوع آخر قد بدأت تندلع بعد فراغ الأحباش من هذه الحرب؛ ذلك أن الأحباش قد أتاحوا للنفوذ الروماني أن يقوى ويشتد في اليمن باستيلائهم عليها، وهذا ما لم يرضه الفرس الذين عملوا جادين على بث روح الحرية وتنميتها في نفوس السكان المواطنين. ولقد أفلحوا في خلق شعور النفور من الأحباش المستعمرين في نفوس أهل اليمن، ولا أدل على ذلك مما وجده الهمداني منقوشًا على بعض الجدران في بلاد حمير (لمن ملك ذمار؟ لحمير الأخيار؛ لمن ملك ذمار؟ للحبشة الأشرار، لمن ملك ذمار؟ لفارس الأحرار، لمن ملك ذمار؟ لقريش التجار[1]).

ثم لم يلبث أن دب الخلاف بين أحباش اليمن وأحباش أفريقية وأراد الأولون أن ينتزعوا الحكم ويستقوا عن سادتهم في أفريقية وكان على رأس الثائرين أبرهة الأشرم، ولكن ملك أكسوم يريد أن تظل اليمن ولاية تابعة لدولته ويولي عليها من يدين له بالولاء. وقامت ثورة الأمراء الوطنيين في ذلك الحين وعلى رأسهم سميفع أشوع يريدون أن ينتزعوا السلطة من أيدي الغاصبين ويطردوهم من بلادهم.

والمؤرخون الرومان يعرفون السمفيع هذا ويسمونه إسيميفايوس ويذكرون أنه كان مسيحيًا تولى أمر الحميرين بعد غزوة إل أصبحة،

---

[1] إلاكليل للهمداني نشر نبيه فارس ص ١٥٦

ولكن مدة حكمه لم تطل فقد ثأروا عليه، وخلعوه، وأرسل ملك الحبشة جنودًا لإخضاعهم، فانضم الجنود إلى العصاة. فلما يئس الملك من إذلالهم قنع بعقد الصلح بينه وبينهم. والنقوش تؤيد ما ذكره الرومان، فقد عثر على نقش في حصن الغراب بحضرموت يرجع تاريخه إلى ٥٢٥م يقول إن سميفع أشوع وورلديه: شرحبيل يكمل ومعديكر بن يعقر.. كتبوا هذه الوثيقة: في حصن مويت (حصن الغراب) حين رمموا أسواره، وبابه، وصهاريجه، ودروبه في الجبال، وتحصنوا فيه لما تقهقروا من أرض الحبشة، وأرسل الأحباش حملة بأرض حمير، عندما قتلوا ملك حمير وأقياله الحميريين والأرحبيين[١].

وربما يدلنا هذا النقش على أن الأحباش كانوا قد ولوا من قبلهم حاكمًا على حمير، فحاربه السميفع وبعض أمراء اليمن، وربما قتلوه، واستولوا على ملك حمير، فأرسل ملك الحبشة حملة إليهم فأفلحت في إخضاعهم، وهرب السميفع وحاشيته من وجه الأحباش وتحصنوا في الجبال. ولا نستطيع أن نعرف على وجه التحقيق من هذا القائد الذي كان قد ولاه الأحباش على حمير ثم قتل، وربما كان هو أرباط[٢] الذي كان قائدًا في حملة إل أصبحة. والظاهر أن ثورة

---

[١] Repretoire d'epigraphie Semitique, tome, 5, Inser. No, 2633

[٢] أرباط نقل محرف للكلمة الحبشية حواريات أي الحواري، والطبري (حـ ص ٩١٣) يذكر اسمه (أرباط أبا صحم) فيكون معنى اسمه الحواري أبا صحم، والحواري عندهم كلمة تدل على القداسة والتدين.

السميفع وسائر الأمراء لم تقمع نهائيًا في عام ٥٢٥م الذي كتب فيه هذا النقش، بل ظلت بعد ذلك فترة من الوقت، فلقد ذكر النقش أنهم تحصنوا في الجبال، وأن ملك الحبشة أرسل إليهم جيشًا لمحاربتهم، ولم يذكر لنا نتيجة هذه الحرب، والظاهر أن أبرهة[١] كان في هذا الجيش الذي طارد السميفع وأمراء حمير، وربما وجد الفرصة سانحة، بعد أن قمع الثورة وهزم السميفع، أن يعلن نفسه حاكمًا على حمير (ربما حول عام ٥٢٠م). ويقص لنا أبرهة في بعض نقوشه أنه تابع للملك الحبشي رمحيس أو رماحس الذي باليمن (زبيمان) وذلك في عام ٥٤٢ أو ٥٤٣م وربما كان رمحيس هذا لقبًا للملك بيت إسرائيل بن إل أصبحة الذي تولى بعد أبيه حكم البلاد وربما كان هو الذي اعترف بأبرهة الأشرم ملكًا على اليمن وأقر بمطالبه فيها[٢].

قيل أن بيت إسرائيل هذا قد حكم بنفسه بلاد اليمن وأقام فيها، ومن ثم ذكر النقش كلمة زبيمان أي الذي باليمن. ثم تولى بعد بيت إسرائيل أخوه الأصغر جبر مسقل (أي عبد الصليب) على عرش أكسوم حول ٥٥٠م وقيل بين ٥٧٠، ٥٨٠م[٣].

---

[١] الغالب أن أبرهة هذا كان من رجال الدين المسيحي في الحبشة، والعرب تسميه الأشرم، وبروكوبيوس اسمه ابراموس، وهو لغة حبشية في أبراهام.

[٢] Budge, vol., 1 p, 264_5.

[٣] Id, p, 265.

وكان أبرهة مسيحيًا وقد بدأ بعض نقوشه بقوله: (بقدرة الرحمن ومعونته ورحمته وبمسيحه وبالروح القدس)[1] وروى أنه بني كنيسة صنعاء وأنه قدس من في الكنيسة قبل البدء بترميم سد مأرب.

وكان أبرهة يصبو إلى استقلال اليمن وانفصاله عن دولة أكسوم لهذا كان يغتنم الفرص للتألب على النجاشي؛ ثثار في أيام إل أصبحة ولكنه أرغم على دفع الجزية والخضوع للدولة الأكسومية. فلما تولى الملك الجديد (بيت إسرائيل) ثار مرة أخرى، وأفلح في أن يعترف له الملك بسيادته على اليمن، وأن تكون تبعيته لدولة أكسوم اسمية فحسب. وفي بعض نقوش سد مأرب يلقب أبرهة نفسه بالأمير التابع لملك الحبشة، ملك سبأ، وريدان، وحضرموت، ويمنات، وعرب النجاد وعرب تهامة.

وقد وصف العرب كنيسة صنعاء التي تسمى (القليس)[2] وذكروا أن الذي بناها أبرهة، ويلوح أنه بالغ في بنائها وزخرفتها حتى تكون قبلة العرب ومتوجه أنظارهم، وحتى يكون لها أبلغ أثر في فوسهم، قال المؤرخون العرب في وصفها (ويدخل من باب الكنيسة إلى بيت طوله ثمانون ذراعًا، وعرضه أربعون ذراعًا، مسقف بالساج المنقوش، مسمر بمسامير الذهب والفضة، وفي صدر القبة منبر من الآبنوس المرصع بالعاج، المصفح بالذهب والفضة..)

---

[1] Handbueh der Allarab. Altertum. Kopenhagen, 1927 p, 10

[2] كلمة مشتقة من اللفظ اليوناني **Ekklesia** ومعناه الاجتماع العام أو الكنيسة.

ورمم أبرهة سد مأرب عام ٥٤٢م وكان قد تهدم قبل ذلك أكثر من مرة، وفي هذه المرة بعث أبرهة إلى القبائل بإنفاذ الحجارة للأساس والحجر الخام والأخشاب ورصاص الصب لترميم السد، وقد نبشت الأنقاض حتى وصلوا إلى الصخر وبنوا عليه. وقد قدم احتفال ترميمه وفود من الروم والفرس كما حضر المنذر، ملك الحيرة، والحارث بن جبلة، وأبو كرب ابن جبلة.

ونظر أبرهة فوجد ولايات الجنوب التابعة له تحتاج إلى إدارة حلزمة وتنظيم يكفل لها الأمن والسلام. ولاسيما بعد تلك الثورات الداخلية التي اشتعلت في هذه البلاد فترة من الزمن. فولى يزيد بن كبشة أمر القيادة والإدارة على كندة بدلًا من ولاتها السابقين، وأسند إليه إمارة الولايات الأخرى وقيادتها بمساعدة بعض أقيال سبأ الأسحار (أو الأساحر) وهم مرة وثمامة وحنش ومرثد وحنيف ذو خليل، كما استعان يزيد ببني أزأن (يرأن) الأقيال، وهم معديكرب بن سميفع وهعان وأخوته بنو سلم، لكي يعينوه في إرسال بعض العصاة إليه الذين كانوا لا يزالون في طاعة ملك المشرق، فأرسلوا إليه جاروه ذا زنبار، وقتلوه، وهدموا قلعة كدار، وجمع يزيد من أطاعه من كندة وحارب حضرموت، وأسر مازن هجن الأذمري أحد زعماء حضرموت، وحاصر عبران، وهناك استغاثت جموع كبيرة بيزيد وأعوانه فانبروا لإغاثتهم، وجمعوا هناك جيوشًا كثيرة العدد من

الأحباش والحميريين عام ٥٤١م وتقدمت الجيوش شمالًا من صروح إلى نابط التي توجد في عبران وهناك سلم له قائد جيوش الأعداء.

وظل يزيد يخضع العصاة في سبأ ويرسل من يؤدب العرب الذين لم يذعنوا له ويأخذ منهم الرهائن حتى تمت له الغلبة، واستتب له الأمر، ورجع أبرهة إلى مدينة مأرب بعد أن رمم السد في موكب.

من الأقيال الذين كانوا في سلم معه، وهم ذو معاهر ابن الملك ومر جزف أمير ذرانخ وعادل أمير فياش وذو شولمان وذو شعبان وذو رعن وذو همدان وغيرهم[١]..

وسعى الروم إلى إيجاد وحدة بين القبائل العربية لتقف جبهة في وجه الفرس، فتضافرت القبائل المعدية مع بني حمير، وجردوا حملة كبيرة على أرض فارس.

ويظهر أن الروم كانوا قد طلبوا إلى أبرهة أن يعمل على مساعدتهم في هذه السبيل. ويذكر بروكوبيوس أيضًا أن أبراموس (أبرهة) عند عندما بسط نفوذه، وأمن ملكه، وعد الإمبراطور جستينان أن يغزو الفرس، وقد بدأ غزوه بالفعل، ولكنه قفل راجعًا في الحال. وربما مهدت هذه الحملة السبيل إلى حملة أخرى قام بها لغزو مكة، وهي التي يسميها العرب غزوة الفيل. والظاهر أن نية

---

[١] هذا مضمون ما ذكر في نقش أبرهة الذي ورد في كتاب

Conti Rossini, Chrestomathia, Glaser, 618_ CIH514_Conti Rossini 64 (Roma, 193).

أبرهة في غزو مكة كانت متجهة إلى بسط نفوذه على بلاد العرب، وصرف العرب عن الوثنية وزيارة الكعبة إلى كعبة نجران وإلى كنيسة صنعاء. ويروي العرب أن أبرهة أراد بغزوته غسل الإهانة التي تعرضت لها كنيسته من جراء ما صنعه نفيل الخثعمي الوثني من أنه جاء بعذرة فلطخ بها قبلة كنيسته، وجمع جيفًا فألقاها فيها.[1] تقول الرواية العربية (فلما حل أبرهة على باب الكعبة، أتاها عبد المطلب، وقد تهيأ أبرهة للدخول، وهيأ جيشه، وهيأ فيله، وكان فيلًا لم ير مثله في العظم والقوة) وأقبل نفيل الخثعمي[2] إلى الفيل ثم أخذ بأذنه وقال له: أبرك محمود، وارجع راشدًا من حيث جئت، فإنك ببلد الله الحرام، فبرك الفيل، وأصيب جيش أبرهة بأن أرسل الله عليهم طيرًا من البحر..، وخرجوا هاربين يتدبرون الطريق الذي جاءوا. وحدث أن أصاب الحبش إبلًا لعبد المطلب، فأغضبه ذلك، فقال لأبرهة: (أردد على أبلي ودونك البيت فإن له ربًا يحميه)[3]على أن أبرهة قد فشل في هذه الحملة، وكاد يهلك هو وجيشه مما لقيه من وعورة المسالك، وتفشي الأمراض التي وصفها المؤرخون بقولهم: (إن أول ما رؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام)[4].

---

[1] الطبري حـ ١ ص ٩٤٤

[2] تحتاج قبيلة خثعم إلى دراسة خاصة من حيث علاقتها بالحبشة، إذ أن اسمها كثيرًا ما يقترن بالحبشة في الآثار والأخبار التي ذكرها المؤرخون العرب.

[3] الطبري حـ ص ٩٣٢_ ٩٤٥.

[4] الطبري حـ ١ ص ٩٤٥.

والعرب يضعون هذه الغزوة في عام ٥٧٠م، ويسمونه عام الفيل، والراجح عندهم أنها السنة التي ولد فيها النبي (ﷺ)، ولكن الباحثين يرجعون تاريخها إلى حوالي ٥٤٠م، كما يرجعون استيلاء الفرس على بلاد اليمن إلى عام ٥٧٠م، فيدعون بذلك ما بين الفترة ٥٤٠، ٥٧٠م لحكم يكسوم ومسروق الحبشيين اللذين حكما بعد أبرهة. والعرب أنفسهم لا يجزمون بأن عام الفيل هو عام مولد النبي (ﷺ) فقد قيل إن هذا العام كان قبل مولد النبي بأربعين عامًا، وقيل بثلاث وعشرين عامًا.

على أن بعض الباحثين، كونتى روسيني، لم يقبل ما ذكرته الرواية العربية في غزوة الفيل[1]، فزعم أن القصة قد خلطت أو أدرجت غزوة أبرهة بغزوة أخرى قبلها، هي غزوة أفئيل (أفيلاس) في نهاية القرن الثالث الميلادي، تلك التي تحدثنا عنها فيما سبق.

وقد حاول كونتى روسيني إثبات هذه النظرية بقوله إن أول من ذكر غزوة الفيل من المؤرخين هو ابن إسحاق (+١٥١ هـ) أي بعد حدوثها بحوالي قرنين، فلا شك أن عوامل الزمن والنقل الشفوي وخيال المؤرخين قد أثرت إلى حد كبير في تشويه حقيقة هذه القصة. ورأى هذا الباحث أن استخدام الفيلة في حملة تجوب المسالك الوعرة، وتقطع الفيافي المترامية، في قلب الجزيرة العربية

---

(1) JA, Juill- Sept, 1g 21

ليس بالأمر السهل ولا المقبول عقلًا، ورجح أن تكون غزوة الملك أفئيل لبلاد العرب قد تنقلت بين أفواه العرب، ووصلت إلى الحجازيين بعد قرنين من الزمان بعيدة عن حقيقتها، وانقطعت العلاقة بين اسم الملك ومسماه، وصار لقربه من لفظ الفيل علمًا على الحيوان المعروف، وسمى هذا الحيوان باسم إنسان، فسمى محمودًا، ولعب الخيال في أذهان الرواة، فاندمجت هذه القصة القديمة في قصة إبرهة التي هي أحدث عهدًا منها، والتي حدثت بعدها بثلاث قرون، وجعل الفيل هذا مطية لأبرهة في هذه الغزوة.

ولعل الذي قرب هذا التصور إلى ذهن الباحث ما رآه من الروح الأسطورية في سرد القصة العربية، وشك المؤرخين العرب في عدد الفيلة، هل كانت واحدًا أم أكثر، فقد زعموا أنه كان مع أصحاب الفيلة فيل واحد، وقيل كانوا فيلة ثمانية، وقيل اثني عشر فيلًا، وإنما ذكره الله[1] موحدًا لأنه نسبهم إلى الفيل الأعظم الذي كان يقال له محمود، وقيل إنما وحده لوفاق الآي[2]. ثم إن ما ورد في القرآن لا يدلنا صراحة على أن الفيل هذا هو الحيوان المعروف، بل ربما قصد بقوله (أصحاب الفيل) أصحاب الملك الذي كان يسمى الفيل.

هذا رأي كونتي روسيني، وهو وإن كان لا يخلو من طرافة إلا أنه لا يخلو من تخيل أيضًا. وعلى كلٍ فنحن لا ننكر أن في الرواية

---

[1] أي في قوله تعالى في سورة الفيل: ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل إلخ....

[2] تفسير الخازن جـ ٤ ص ٥٣٨

العربية روح الأسطورة، ولكن نخشى أن يكون الخيال قد لعب بذهن الباحث الإيطالي كما لعب في الرواية العربية.

٥

وانتهى حكم أبرهة حوالي (٥٤٤م) وتولى بعده ولده يكسوم. وقد حكم تسعة عشر عامًا، ثم خلفه مسروق أخوه، وحكم إثني عشر عامًا ولكن عصر الأول كان غامضًا لم تصلنا منه أخبار ذات غناء. وفي عصر الثاني بلغ ضيق حمير بالأحباش مبلغه، ووجد الفرس الفرصة سانحة لغزو اليمن.

وكان سيف بن ذي يزن ممن لعبوا دورًا هامًا في هذه الآونة، وهو رجل من أذواء حمير من أسرة عريقة في اليمن، سمعنا عن بعض أفرادها منذ عهد ذي نواس[١]، وأبرهة الأشرم. وكان للأسرة اتجاه سياسي واحد، هو التمسك باستقلال اليمن وانفصالها عن السلطان الأجنبي.

تقول الرواية العربية إن ذا يزن كان يسمى أبا مرة الفياض، وكان أحد أشراف اليمن في عهد أبرهة الأشرم، وكان تحته ريحانة ابنه ذي جدن، فولدت له غلامًا سماه معديكرب، وكانت ذات جمال، فانتزعها الأشرم من أبي مرة، وتزوجها، وولدت له غلامًا سماه مسروقًا، ونشأ معديكرب بن ذي يزن مع أمه ريحانة في حجر أبرهة.

---

[١] مقدمة أكسل موبرج لكتاب الحميريين.

وعرف الفتى معديكرب، بعد حين، أنه ليس ابنًا لأبرهة الذي مات هو وابنه يكسوم، فخرج ابن[1] ذي يزن قاصدًا إلى ملك الروم فلم يجد عنده ما يحب ووجده يحامي على الحبشة لموافقتهم إياه على الدين[2].

فلجأ إلى كسرى، وأقنعه، فأرسل معه قوة من الجيش بقيادة وهرز، وركبوا البحر في ثماني سفائن، فخرجوا بساحل حضرموت وسار إليهم مسروق في مائة ألف من الحبشة وحمير والأعراب، ولحق بابن ذي يزن بشر كثير، ونزل وهرز على سيف البحر، وجعل البحر وراء ظهره، وقاتل الحبشة، وكان ملكهم راكبًا فيله، عاقدًا تاجه على رأسه، بين عينيه ياقوتة حمراء، ثم ظل يتنقل على فرسه، ثم على بغلته، فأوتر وهرز قوسه، ثم أمر بحاجبيه فعصبا له، ثم وضع في قوسه نشابة فمغط فيها، حتى إذا ملأها أرسلها فصك بها الياقوتة التي بين عينيه، فتغلغت النشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه، وتنكس عن دابته. واستدارت الحبشة، ولاثت به، وحملت عليهم الفرس، وانهزمت الحبشة، فقتلوا، وهرب شريدهم في كل وجه.

فلما ملك وهرز على اليمن، ونفى عنها الحبشة، كتب إلى كسرى بذلك. قال ابن إسحاق: (فكتب إليه كسرى يأمره أن يملك

---

[1] يقول ابن إسحاق إن الذي خرج يستنصر ملكي الروم والفرس هو سيف ابن ذي يزن، ولكن ابن الكلبي يزعم أن الذي خرج هو معديكرب ابن ذي يزن (طبري ج ١ ص ٩٤٥).
[2] طبري ج ١ ص ٩٢٥.

سيف بن ذي يزن على اليمن وأرضها، وفرض كسرى على سيف جزية وخرجًا يؤديه إليه في كل عام معلوم، وكتب إلى وهرز أن ينصرف إليه[1].

(فلما انصرف وهرز إلى كسرى، ولك سيف على اليمن، عدا على الحبشة فجعل يقتلها ويبقر النساء عما في بطونها، حتى إذا أفناها إلا بقايا ذليلة قليلة، اتخذهم خولًا، واتخذ منهم جمازين يسعون بين يديه بحرابهم، فمكث بذلك وقتًا قصيرًا).

(ثم إنه خرج يومًا والحبشة تسعى بين يديه بحرابهم حتى إذا كان في وسط منهم، وجثوه بالحراب حتى قتلوه، ووثب بهم رجل من الحبشة فقتل باليمن وأوعث وأفسد. فلما بلغ ذلك كسرى، بعث إليهم وهرز في أربعة آلاف من الفرس وأمره ألا يترك باليمن أسود ولا ولد عربية من أسود إلا قتله صغيرًا أو كبيرًا، ولا يدع رجلًا جعدًا قططًا قد شرك فيه السودان إلا قتله، فأقبل وهرز حتى دخل اليمن ففعل ذلك لم يترك بها حبشيًا إلا قتله[2]).

وهكذا تمكن الفرس وبنو حمير من طرد الحبشة المستعمرين وطغى الساسانيون على الشرق، واستمر الفرس بعدج قتال اليمن في غزو سواحل البحر حتى خضعت تحت سلطتهم.

---

[1] طبري ج ص ٩٥٠.

[2] طبري ج ص ٩٥٧_ ٩٥٨.

أما دولة أكسوم في الفترة ما بين ٥٧٠، ٦٣٠م فتاريخها مثار خلاف بين الباحثين، فالعرب يتحدثون عن ملكين من ملوك الحبشة أحدهما كان سابقًا لعصر النبي (ﷺ) ويسمونه أبحر، والآخر عاصر النبي، وكان بينه وبين المسلمين علاقة ودية ويسمونه أصحمة[١] والعرب يقولون إن الحبش قتلوا أبحر وولوا أخاه الذي هو عم أصحمة، وأبعدوا أصحمة عن الحبشة حتى يأمنوا جانبه فلا يطالب بحقه في العرش، فأتوا به إلى بلاد العرب، وباعوه لرجل عربي من بني ضمرة. وظل أصحمة في بلاد العرب، يرعى الغنم لسيدة حتى مات النجاشي عمه، وبحثوا عمن يخلفه، فلم يجدوا من يصلح من بعده غير الفتى الطريد، فبحثوا عنه، وأحضروه، وملكوه عليهم[٢] إلى أن توفى في السنة التاسعة من هجرة النبي ﷺ.

أما الباحثون المحدثون فيرجحون أن الملك الحبشي المعاصر للنبي (ﷺ) هو أرماح الثاني[٣] (أو أرمحة) وترجع إلى عهده قطع من النقود النحاسية، نقش على بعضها.

(نجوش أرماح، فشحا ليكون لأحزاب)

ومعناه: الملك أرماح، ليسعد شعبه.

---

[١] ويروى اسمه برسوم مختلفة: أصحمة، وأصمحة، وصحمة، وأصبحة، وأصخمة، والصحيح عندهم هو النطق الأول.

[٢] الحبشان ص ١٥٨_١٦٢.

[٣] .Budge, vo., 1, pp. 137,270,271،وقيل إن الملك المعاصر كان يسمى مليخ الثاني وقيل غير ذلك.

وعلى بعضها الآخر:

(نجوش أرماح، شهل وسلام).

ومعناه: الملك أرماح، رحمة وسلامًا.

وليس من اليسير التوفيق بين أصحمة الذي عرفه المسلمون وأرماح (أو أرمحة) الذي يذكره المحدثون. ولا يبعد أن يكون أصحمة هذا ملكًا على إقليم من الأقاليم الحبشية.

وقد سئل أحد علماء الأحباش في العصر الحديث عن أصحمة هذا فأجاب بأنه كان حاكمًا في إقليم يقع في جوار ما يسمونه الآن (تيحى دنسا)[1]

---

[1] رحلة صادق باشا ص ١٨٦.



الباب الثالث

١

تساءل كثير من الباحثين لماذا كانت الحبشة وجهة المسلمين حين ضاقت بهم سبل الحياة بين قومهم. والواقع أن النبي (ﷺ) لم يأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة إلا بعد تفكير طويل، ووفق سياسة محكمة.

كان لميناء عدول ـ كما رأينا ـ الفضل الأول في تسهيل سبل التجارة بين مكة وبلاد الحبشة، (فقد كانت أرض الحبشة متجرًا لقريش يتجرون فيها ويجدون فيها رفاغًا من الرزق وأمنًا ومتجرًا حسنًا[١])، فلم تكن الحبشة إذًا بلدًا غريبًا على قريش، ولا شك، من جهة أخرى، أنه كان قد ترامى إلى المسلمين أن الأحباش قد قاموا بحماية المسيحية في اليمن من عدوان اليهود، وأنهم جردوا حملة للقضاء على الوثنية في الحجاز. لهذا آثر المسلمون اللجوء إلى بلاد الحبشة لعل الأحباش يستطيعون أن يقوموا بحمايتهم من عبدة الأوثان ومن اليهود كما حموا المسيحية وجردوا على الوثنية حملة من قبل.

---

[١] الطبري جـ ١ ص ١١٨١.

هذه كلها أسباب دفعت النبي (ﷺ)، حين لاقى قومه في مكة العنت، إلى التفكير في هجرة أتباعه إلى بلاد الحبشة، على أنه ليس من المعقول أن تكون فكرة الهجرة قد تمت دون أن يمهد المسلمون لهجرتهم في بلاد الحبشة، وأن يتعرفوا نية القوم الذين سيهاجرون إليهم، ذلك أن ما أضمره المسلمون نحو الأحباش من حسن الظن، والاعتقاد بأنهم سيلقون منهم في هذه البلاد النائية وسيفسح الأحباش لهم صدورهم، لم يكن كافيًا _ فيما أعتقد _ لأن يلقي أتباع النبي (ﷺ) بأنفسهم، وكلهم ذوو نظر ثاقب، في بلاد بعيدة نازحة، محفوفة بالأخطار، دين أصحابها يخالف دينهم، وطباعهم تخالف طباعهم؛ قوم جبلوا على النضال، وأولعوا بسفك الدماء.

وهذا ما أغفل الباحثون التنبيه عليه، والإشارة إليه؛ وفيما يلي سنناقش ما قاله المؤرخون العرب عن هذه الهجرة، ونخلص منها إلى ما يفسر لنا ما قام به المسلمون من خطى لتحقيق فكرة الهجرة.

قال المؤرخون إن الهجرة إلى الحبشة كانت دفعتين: ففي الدفعة الأولى كانوا أحد أو اثني عشر شخصًا وأربع نسوة أو خمسًا، خرجوا خفية في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة فوصلوا إلى ساحل البحر حيث ركبوا سفينتين من سفن التجار إلى أرض الحبشة. وما كادوا يستقرون في تلك يستقرون في تلك البلاد حتى أشيع بينهم أن كفار قريشفي مكة قد آمنوا بالنبي (ﷺ)، فعاد المهاجرون

ثانية إلى مكة في شوال من نفس السنة. فكأنهم لم يمكثوا في الحبشة إلا شهرين أو ثلاثة، ثم قفلوا راجعين إلى مكة.

قالوا: وفي هذه السنة ذاتها بدأت هجرة ثانية إلى بلاد الحبشة، هاجر فيها عدد كبير من الصحابة، وكان فيهم معظم من كان قدم من الهجرة الأولى، وجماعة ممن شهدوا بدرًا (وقد حدثت غزوة بدر في السنة الثانية لهجرة النبي إلى المدينة).

ولكن المؤرخين يذكرون أن أصحاب الهجرة الثانية قد قدموا جميعًا عام افتتاح خيبر أي في السنة السابعة للهجرة. فكيف يكون من المهاجرين من شهدوا بدرًا على حين لم يقدموا من الحبشة إلا بعد وقوع غزوة بدر بخمسة أعوام. وقد نبه ابن القيم الجوزية على هذا الخلط فقال: (فإما أن يكون هذا وهمًا وإما أن تكون لهم قدمة أخرى قبل بدر فيكون لهم ثلاث قدمات: قدمة قبل الهجرة وقدمة قبل بدر وقدمة عام خيبر[1].

وبينما نجدهم يجعلون الهجرة دفعتين، نراهم يذكرون أن المهاجرين لم يهاجروا جميعًا من مكة بل إن منهم فوجًا قد هاجروا من اليمن برئاسة أبي موسى (بلغنا مخرج النبي (ﷺ)، ونحن باليمن، فخرجت مهاجرًا، أناو إخوان لي، أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم، في بضع وخمسين رجلًا من قومي، فركبنا سفينة، فألقتنا إلى أرض

---

[1] زاد المعاد جـ ٢ ص ٤٥ (طبعة ١٩٢٨).

النجاشي، فاجتمعنا بجعفر بن أبي طالب ومن معه من الصحابة بها (وكان جعفر ممن هاجر، على زعمهم، في الهجرة الثانية) فأقمنا معهم حتى قدمنا جميعًا عليه (ﷺ) عام افتتاح خيبر، ويختلف العلماء في معنى قول أبي موسى (بلغنا مخرج النبي (ﷺ) ونحن باليمن) هل يريد مبعث النبي أم خروجه إلى المدينة. ويجمع ابن حجر بين المعنيين بقوله (ويمكن الجمع بأن أبا موسى قد هاجر أولًا إلى مكة فأسلم وبقي بها إلى أن أذن رسول الله (ﷺ) لأصحابه في الهجرة الثانية إلى أرض الحبش، فتوجه معهم إلى بلاد قومه الكائنة في مقابلة بلاد الحبش من الجانب الشرقي للبحر، فمكث بها إلى أن تحقق استقرار النبي (ﷺ) وأصحابه بالمدينة المنورة، فركبوا سفينة في البحر، فألقتهم السفينة لهيجان البحر بالرياح إلى أرض الحبش المقابلة لبلادهم من الجانب الغربي للبحر، فاجتمعوا بجعفر ومن معه.. وعلى هذا فيكون قول أبي موسى الأشعري بلغنا مخرج النبي أي إلى المدينة المنورة لا مبعثه بالرسالة إلخ[1]...)

وظاهر أن ابن حجر يضع لحل هذا الإشكال فروضًا تحتاج إلى إثبات. فرض إسلام أبي موسى بمكة والبقاء بها إلى أن أذن الرسول بالهجرة الثانية، وسفر أبي موسى إلى اليمن، وعزمه في الهجرة إلى المدينة بعد استقرار النبي فيها.

---

[1] الحبشان ص ٢٠٥

ويتضح من مناقشة الروايات السابقة أن هناك خلطًا من الرواة في ذكر حقيقة هذه الحادثة، ونرى أنهم قد كيفوا وضع هذه الهجرة أو هذه الهجرات على وجه بجانب قليلًا عن الحقيقة. والوضع فيما نعتقد هو أن الفوج الأول لم يكن في واقع الأمر قومًا قد فروا بأنفسهم إلى الحبشة، وإنما كانوا بعثة إسلامية، أرسلها النبي (ﷺ) إلى ملك الحبشة لتتعرف مدى رغبة النجاشي واستعداده لقبول المهاجرين، ولتمهد للمسلمين في البلاط الاكسومي، وكان من أفراد البعثة التاجر، والمتكلم، وصاحب النفوذ، والخبير بالحبشة وأهلها. ومكثوا في الحبشة فترة قصيرة، شهرين أو ثلاثة، يفاوضون الملك في أمر إخوانهم. ولابد أنهم قد وجدوا من الملك استعدادًا للقبول، ولكي يتثبت الملك من حقيقة هؤلاء المسلمين، يخبرنا الرواة أنه أرسل وفدًا من الحبشة إلى النبي وهو بمكة، وأغلب الظن أنه قدم قبل أن يؤذن للمسلمين بالقيام بهجرة، أو بهجرات أخرى؛ فقد أخرج الحافظ بن كثير في تفسيره عن سعيد بن جبير والسشدي وغيرهما (أن النجاشي بعث وفدًا من الحبشة إلى النبي (ﷺ) ليسمعوا كلامه، ويروا صفاته، وكان _عدده اثني عشر، وقيل خمسون، وقيل بضع وستون، وقيل سبعون رجلًا، سبعة منهم قساوسة وخمسة رهابين. فلما رأوا رسول الله (ﷺ) وقرأ عليهم شيئًا من القرآن أسلموا. وبكوا وخشعوا ثم رجعوا إلى النجاشي وأخبروه بما شاهدوه[1]). ويرى ابن إسحاق أن عشرين رجلًا أو قريبًا من ذلك من نصارى الحبشة قدموا وهو بمكة (ﷺ) وذلك حينما بلغهم خبره

---

[1] الحبشان ص ٤٢.

فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه، وتكلموا معه، وسألوه عما عندهم من المسائل، ورجال من أكابر قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من سؤالهم رسول الله (ﷺ) عما أرادوا دعاهم النبي (ﷺ)إلى الإيمان بالله تعالى وحده، وتلا عليهم شيئًا من القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله تعالى وآمنوا به (ﷺ) وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره. فلما قاموا من عنده تعرض لهم أبو جهل في نفر من كفار قريش الذين كانوا جالسين حوالي الكعبة؛ وناظرين لما وقع منهم، وقالوا لهم: خيبكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم لترتادوا لهم، فتأتونهم بخبر الرجل، يعنون النبي (ﷺ)، فلما تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم، وصدقتموه، ما نعلم ركبًا أحمق منكم. فقالوا: سلام عليكم. لا نجاهلكم؛ لنا أعمالنا، ولكم أعمالكم[1].

ولاشك أن هذا الوفد قد رجع إلى النجاشي كما رأينا في رواية الحافظ أنهم (رجعوا إلى الحبشة ليخبروا النجاشي بما شاهدوه)، ولاشك أنهم أخبروا النجاشي بروح تنطوي على الإعجاب وتنم عن الود؛ وبذلك صادف المسلمون قبولًا لدى النجاشي فأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة ليكونوا في حماه وتحت رعايته. وتكلل مسعى البعثة الإسلامية بالنجاح. ولم يكن رجوعها لإشاعة سرت بينهم أن أهل مكة قد أسلموا، كما زعم الرواة، ولكنهم رجعوا بعد أن أدوا مهمتهم وفاوضوا الملك في أمر إخوانهم.

---

[1] الحبشان ص ٤٤ .

وأذن النبي للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة بعد أن اطمأن إلى حماية النجاشي إياهم وإفساح صدره لهم، فتدفق المسامون إلى بلاد الحبشة آمنين مطمئنين، وهناك استقر النساء والرجال من المسلمين مع أولادهم، ونسموا الحرية بعد أن مسهم في ديارهم الضر والجزع، ونظم شعراؤهم في الحبشة الشعر يهجون قريشًا الكفار، ويذكرون أن الله خلصهم من شرهم بالمهاجرة إلى بلاد واسعة، وهجا بعضهم أشخاصًا من الكفار كانوا يعذبونهم في مكة، وكان من أشهر شعراء هذا المهجر عبد الله بن الحارث، وعثمان بن مظعون[1].

وأغلب الظن أن المهاجرين لم يرحلوا جمعًا واحدًا إلى الحبشة، بل هاجروا على دفعات، وليس في وسعنا أن نعرف متى بدأت كل دفعة منها بالهجرة، ولا متى قدموا من الحبشة، فإن قدومهم قد حدث غالبًا على دفعات كذلك؛ وربما كان آخر قدمة لهم عام افتتاح خيبر في السنة السابعة للهجرة.

ولم يطب لقريش أن ترى هؤلاء المهاجرين يفلتون من أيديهم ويلجئون إلى سند قوي يظاهرونهم به (فائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي، بعد أن حدثت غزوة بدر[2]، رجلين جلدين منهم، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا له كثيرًا، ولم يتركوا له من بطارقته بطريقًا إلا

---

[1] الحبشان ص ٢١٤_٢١٥.

[2] الطراز المنقوش ص ١٩ ب.

أهدوا له هدية. ثم بعثوا عمرو بن العاص مع عبد الله بن أبي ربيعة (وقيل عمارة بن الوليد) وكان عمرو معروفًا بدهائه وسعة حيله، كما كان عبد الله بن أبي ربيعة تاجرًا موسرًا، خبيرًا بالحبشة، عارفًا بأهلها.

كان الغرض من بعثة قريش إحباط أعمال المسلمين في الحبشة وإقناع النجاشي بالتخلي عنهم. وكان محامي المسلمين بين يدي النجاشي جعفر بن أبي طالب، وقد حاول عرض قضية الإسلام بين يدي النجاشي، وتقريبها إلى ذهن رجل مسيحي مثله.

وكان قصارى عمرو بن العاص أن يتحين الفرص للإيقاع بالمسلمين، فمن ذلك قوله يخاطب النجاشي:(إنهم مستكبرون عليك، ولذا لم يحيوك بتحيتك التي يحييك بها الناس وهي السجود) (إنا كنا نحن وهم على دين واحد، فخالفونا، وأتوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، فنريد أن نردهم إليه)، (إنهم يخالفونك في ابن مريم العذراء)[١].

ولكن جعفرًا استطاع أن يفند ما وجه إلى قومه من التهم، ويجيب على ما خوطب فيه من الأسئلة بوضوح وجراءة، مما جعل النجاشي يحكم لهم بقوله: (أبشروا ولا تخافوا فإنه لا رهبوت اليوم على حزب إبراهيم[٢]).

---

[١] قيل ومن حيل عمرو في الحبشة، حين رأى فشله في قضيته التي جاء من أجلها، أن أوعز إلى عمارة بن الوليد، وكان جميلًا، أن يتعرض لزوجة النجاشي، لعلها أن تشفع لهم عنده، فيقضي لهم ما لأجله جاءوا، ولما مالت إليه، واهدت إليه شيئًا من عطرها كشف النجاشي العلاقة بين العربي وزوجته فأنزل به أشد العذاب.

[٢] الحبشان ص ٢٠٦_٢١٠.

وكان رسول النبي إلى النجاشي رجلًا من بني ضمرة، يقال له عمرو بن أمية، ولا نعرف عن بني ضمرة شيئًا كثيرًا، وأعتقد أن لهذه القبيلة أهمية خاصة لتوضيح جانب من العلاقة بين الحبشة وبلاد العرب، ويروى أن النجاشي كان قد بيع في شبابه إلى رجل من بني ضمرة في بلاد العرب.

والظاهر أن عمرو بن أمية كان ذا مواهب خاصة تؤهله لهذا العمل، لذلك كان النبي كثرًا ما يبعثه في أموره الهامة، فقد بعثه عينًا إلى قريش كما أرسله إلى النجاشي بكتبه في كل مرة.

كان أول كتب النبي إلى النجاشي في السنة السادسة للهجرة، فأرسل إليه عمرو بن أمية الضمري بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، ويذكر له أنه بعث إليه ابن عمه جعفر بن أبي طالب ومعه نفر من المسلمين. وقيل إن النجاشي حين قرأ الكتاب كتب إلى النبي أنه اعتنق الإسلام، وبايع ابن عمه جعفر. وينكر بعض المحدثين رسالة النبي إلى النجاشي واعتناقه للإسلام[1].

وفي السنة السابعة للهجرة بعث النبي عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي بكتاب يطلب إليه أن يخطب له السيدة أم حبيبة، واسمها رملة بنت أبي سفيان، وكان عبيد الله بن جحش بعلها قد تنصر في الحبشة ومات وثبتت هي على الإسلام. فرد أصحمة عليه

---

[1] جويدي في دائرة المعارف الإسلامية _ **Abyssinia Budge, vol. 1, p. 273.**

بأنه زوجهإياها ، وأهدى إليه قميصا،وسراويل، وعطافًا (أي طيلسانًا)، وخفين ساذجين(غير منقوشين) وبعث إليه أم حبيبة.

وفى نفس هذه السنة، أرسل النبي عمرو بن أمية بكتاب يطلب فيه إلى النجاشي أن يرسل من تبقى عنده من مهاجري الصحابة بأرض الحبشة، فجهزهم النجاشي، وأنزلهم في سفينة أو سفينتين مع عمرو بن أمية، وكان فيهم جعفر بن أبي طالب،ووفد من الحبشة، وقدموا جميعا على النبي (ﷺ) عام فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة (٦٢٩ م).

وفى السنة التاسعة للهجرة، كان النبي قد أرسل إلى النجاشي هدايا: حلة، وأواقي من مسك،فردت إليه لموت النجاشي الجديديدعوه إلى الإسلام.

٢

ظل حكم الفردوس على اليمن قائمًا حتى انتزع المسلمون سيادتهم عليها، وكان بأذان آخر وال فارسمن قبل كسرى برويز(خسروالثاني)وقد اعتنق بأذان الإسلام بعد وفاة خسرو٦٢٨ م.

وانتشر الإسلام في بلاد العرب، وأتت وفادات اليمن إلى النبي (ﷺ) تدخل في دين الله. وفد نجران إلى النبي، وهم أربعةعشر رجلا من أشرافهم ، وكانوانصارى، فيهم الرئيس، وصاحب مشورتهم

واسمه العاقب،وأسقفهم وإمامهم وصاحب مدارسهم،أبو الحارث بن علقمة،وهو رجل من بني ربيعة،والسيد،وهوصاحب رحلتهم. قيل إنهم دخلوا على النبي وعليهم ثياب الحبرة وأردية مكفوفة بالحرير،فأعرض عنهم النبي لزيهم فانصرفوا وأتوه بزى الرهبان فسلموا عليه،فرد عليهم،ودعاهم إلى الإسلام فأبوا، وكثر الكلام والحجاج بينهم،ولم يقتنعوا،فصالحوا النبي على ألفى حلة،ألف في رجب وألف في صفر،وكل حلة أوقيةمن الأواقي،كما صالحوه على عارية ثلاثين درعا،وثلاثين رمحًا،وثلاثين بعيرًا،وثلاثين فرسًا، إن كان باليمن كسيد،ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد. ولم يلبث السيد والعاقب إلا يسيرا حتى أسلما[1].

وفى عام ١٣ هـ كتب عمر إليهم أن يسيروا إلى العراق فنزلوا بالنجرانية قرب الكوفة.

٥

كانت الصلة وثيقة بين الحبشة وبطارقة الإسكندرية منذ أن اعتنقت الحبشة المسيحية عليد(فرومنتيوس)في القرن الرابع الميلادي. وظلت العلاقة حتى بعد أن فتح عمرو بن العاصالإسكندريةفى٦٣٨ م. فقد ذكرت إشارة في عهد إسحاق بطريق الإسكندرية ٦٨٦-٦٨٨م، تنبئ بوقوع حرب بين الحبشة

---

[1] ابن سعد القسم الثاني من المجلد الأول ص ٨٥ .

وإلى ملك الحبشة وإلى ملك النوبة في الصلح بينهما حتى لا يحدثا قلاقل في بلادهما، ولا يشعلا نار الخصومة بينهما[1].

ومنذ ذلك الحين، لم نعد نسمع شيئًا عن الحبشة يستحق الذكر، ولم تعد تلعب في السياسة الخارجية دورًا ما، وظلت منطوية في نطاق بلادها، ولعل السبب في ذلك راجع إلى تلك الشيخوخة التي أدركت هذه الدولة بعد خراب ميناء عدول، همزة الوصل بينها وبين العالم المتحضر.

ففيما بين ٦٣٠، ٦٤٠م تم خراب عدول من جراء غارات العرب وغيرهم، فانقطعت الصلة بين الحبشة والعالم الخارجي، وتوقفت سوق أكسوم، ولم نعد نرى فيها الأجانب التجار، وتعطل بناء الكنائس، وهجرت دراسة الأدب القديم[2].

ولم نسمع بعد موت الرسول (ﷺ) ٦٣٢م أن أحدًا من المسلمين قد وطئت قدماه تلك البلاد إلا ما كان من حملة بحرية صغيرة أرسلها عمر بن الخطاب ٢٠هـ (٦٤١م) إلى الساحل الحبشي ولكنها لم تكلل بالنجاح.

ومنذ ذلك الحين ظل المؤرخون والجغرافيون من العرب يحملون جغرافية الحبشة وأخبارها حتى جاء المقريزي (+٨٤٥م)

---

(1) Budge, vol. 1, p. 274.

(2) Id. Passim.

فكان أول مؤرخ ذكر أخبارًا صحيحة عن ولايات الحبشة وتاريخها في عصره[1].

وهكذا انطوت الدولة الأكسومية، وسكت هذا الصوت الجهير الذي ظل مدويًا في أرجاء العالم زهاء ثمانية قرون.

٣

وكانت هذه المعاملة التي لقيها النبي وأصحابه من النجاشي خاصة والحبش بوجه عام. باعثًا قويًا على توثيق العلاقات بين نصارى الحبشة وبين الإسلام، وكان طبيعيًا أن ينوه القرآن الكريم والنبي الحكيم بالحبش ويثنيا عليهم، ولقد روى عن عطاء بن أبي رباح أن ما ذكر الله به النصارى من الخير في القرآن فإنما يراد بهم النجاشي وأصحابه؛[2] ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله﴾، ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون﴾ [سورة المائدة آية ٨٣] إنما هم قوم من الحبش[3].

وكان طبيعيًا كذلك أن يمدح النبي الحبش، وأن يمحو النظرة العربية القديمة التي كانت تنكر العبيد، وتفرق بين الناس باللون

---

[1] جويدى_ Abyssinia

[2] الحبشان ص ٤٤.

[3] الطراز المنقوش ص ١٧ب، ١٨ أ،ب.

والنسب، فجعل التفرقة بينهم على أساس التقوى؛ فقال: (الجنة لمن أطاعني ولو كان عبدًا حبشيًا، والنار لمن عصاني ولو كان شريفًا قرشيًا. وحبب الناس إلى الحبش، وقربهم أليهم، فجعل البركة على أيديهم بقوله: (اتخذوا السودان فإن ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة: لقمان الحكيم، والنجاشي، وبلال المؤذن. وقيل لقمان، وبلال، ومهجع)[١].

وأرسل النجاشي إلى النبي هدايا كثيرة، فأهدى إليه مرة بغلًا، وخفين أسودين ساذجين، وزبرجدًا، وثلاث عنزات (أي رماح)وأهدى إليه مرة أخرى حلة فيها خاتم من ذهب، فيه فص حبشي، فأعطاه لأمامة بنت العاص. والفص الحبشي صنف من الزبرجد ببلاد الحبش لونه إلي الخضرة أقرب[٢]. وأهدى إليه مرة أخرى قارورة غالية، وهي نوع من الطيب مركب من مسك، وعنبر، وعود، ودهن، كما أهدى إليه بغلاً حبشياً[٣].

وكان بينهما مراسلات ودية كما رأينا، وقيل إن النجاشي زوج النبي أم حبيبة التي كانت تقيم، في جملة المهاجرين، في الحبشة، وأدى إليها مهراً قدره ٤٠٠ دينار (أي حوالي مائتي جنيه)، وأرسلها إليه. ولما قدم وفد النجاشي على النبي قام النبي (ﷺ) يخدمهم

---

[١] نفس المرجع ص ١١ ويعني بالسودان الحبش.

[٢] الطراز المنقوش ص ٢٩ أ، ب.

[٣] نفس المرجع . الكلمتان(بغل) و(عنبر) حبشيتا الأصل. الأولى أصلها (بقل) والثانية(عنبر).

بنفسه فقال له أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله، فقال لهم عليه الصلاة والسلام: «إنهم كانوا لأصحابي مكرمين فأحب أن أكافئهم»[1].

ولما بلغ النبي وفاة النجاشي أمر صحابته بالصلة عليه بقوله:(اخرجوا فصلوا علي أخ لكم) فقال المنافقون عند ذلك، انظروا إلى هذا الذي يصلي على علج لم يره قط، ولم يكن على دينه[2].

ولا شك أن النبي نفسه، فضلاً عن المسلمين والعرب برجه عام، قد تأثروا بالحبش في لغتهم وحضارتهم. والرواة يذكرون أنه (ص) قد نطق ببعض الألفاظ الحبشية في بعض المناسبات، كقوله وهو يصف أشراط الساعة: (إن بين يديها فتنة وهرجاً) ولم يعرف الصحابة معنى الهرج، فسألوه فقال: هو القتل بلسان الحبش؛ وكقوله لأم خالد عندما قدمت من أرض الحبشة فكساها خميصة (كساء له أعلام) وجعل يمسح الأعلام بيده ويقول:(سناه سناه) أي حسن حسن بلغة الحبش[3].

وقد أفسح الإسلام بهذه العلاقات الطيبة مجالاً للمؤثرات الحبشية لكي تعمل في جو أكثر طلاقة وحرية في عرب الشمال وأهالي الحجاز بوجه خاص، كما عملت من قبل في أهل الجنوب

---

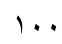
[1] الطراز المنقوش ص ١٨ ب

[2] الحبشان ص ٤١

[3] الطراز المنقوش ص ١٤ أ، ب . وفي الحبشة هرج بمعنى قتل، وشتاي بمعنى جميل.

وكانت هذه المؤثرات الحبشية قوية فعالة، لأنها كانت تتغذى من جهات كثيرة؛ فكانت تنمو وتزداد من تلك الصلات المباشرة بين العرب ووفود الحبشة التي قدمت علي النبي، وبين العرب وهؤلاء العبيد من الحبشة الذين كانوا يعيشون في الحجاز وغيره في أكناف سادتهم، وبين المسلمين وبلاد الحبشة التي اتصلوا بها وهاجروا إليها وعاشوا فيها فترة من الزمان. ثم من تلك الصلات غير المباشرة التي جاءت عن طريق اليمن، ذلك الصقع الذي كان مسرحاً للمؤثرات الحبشية ثمانية قرون، على الأقل، قبل عصر الرسول عليه السلام.

الباب الرابع



آثار الحبش في بلاد العرب

عنى القدماء بتصنيف الكتب والرسائل الجامعة لفضل الحبش وآثارهم في الإسلام.

ولعل أول من كتب في ذلك أبو عثمان الجاحظ(+٢٥٥هـ) فقد ألف رسالة في فخر السودان علي البيضان، ذكر مناقب السودان ومنهم الحبش، وهي مطبوعة في مجموعة من رسائله[١].

وفي القرن السادس الهجري ألف ابن الجوزي (+٥٩٧ هـ) كتاباً سماه «تنوير الغبش في فضل السودان والحبش»، وتوجد منه نسخ خطية في مكتبة جوتا وأسكوريال ورامبور[٢].

ثم جاء أبو حيان النحوي(+٧٤٥ هـ) وكان من أصل بربري، ويقال إنه شرع في تأليف رسالة في اللغة الحبشية ولم يتمها[٣].

---

[١] ثلاث رسائل مط ليدن ١٩٠٣

[٢] Brockelmann, vol. 1, p,505

[٣] دائرة المعارف الإسلامية – أبو حيان النحوي

وكان القرن العاشر أكثر القرون عناية بهذا الموضوع، فألف السيوطي(+٩١١ هـ) ثلاث رسائل، إحداهما«رفع شأن الحبشان» وهي توسيع لرسالة ابن الجوزي السالفة الذكر؛ وتوجد منها نسخ خطية في باريس والمتحف البريطاني، والثانية سماها«أزهار العروش في أخبار الحبوش»؛ وتوجد منها نسخ خطية في جوتا وأسكوريال. والثالثة «نزهة العمر في التفضيل بين البيض والسود والسمر» وتوجد منها نسخ خطية في برلين وليدن[١].

وفي هذا القرن، وضع محمد بن عبد الباقي البخاري الذي كان خطيباً بالمدينة المنورة (+٩٩١ هـ) رسالة سماها«الطراز المنقوش في محاسن الحبوش» اعتمد فيها على رسالة السيوطي «أزهار العروش» وغيرها؛ ويوجد منها نسخ خطية في جوتاوبرلين وباريس والمتحف البريطاني ورامبور ودار الكتب المصرية وغيرها. وقد ترجمها إلى الألمانية الأستاذ فيزفيلر وطبعت في هانوفر سنة ١٩٢٤[٢] وقد اختصر الطراز على بن إبراهيم الحلبي الشافعي وسماه «إعلام الطراز المنقوش» وهو مخطوط بدار الكتب المصرية.

وفي العصر الحديث ألف الشيخ محمد الحفني القنائي كتاباً (المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٢٠ هـ) سماه «الجواهر الحسان»بما جاء عن الله والرسول وعلماء التاريخ في الحبشان،

---

(١) Brockelmann,vol LI, P.158

(٢) Id.(Suppl,), vol LI, P, 519,

وذكر في مقدمته أنه استفاد مما في رسالتي السيوطي (رفع شأن الحبشان) و(أزهار العروش) ورسالة البخاري السالفة الذكر.

١

هؤلاء الحبش الذين هاجروا إلى بلاد العرب أحرارًا وأرقاء، وهؤلاء العرب الذين كانوا قد حملوا معهم كثيرًا من ثقافة الحبشة وعاداتها وحضارتها، فتركوا في المجتمع العربي آثارًا قوية في الجنوب والشمال.

وعن طريق اليمن وصلتنا ثروة عظيمة من الآثار لا شك أنه كان للحبشة منها نصيب كبير، وليس من اليسير أن نحقق أصول كثير من هذه الآثار، فقد انصهرت في البيئات اليمنية، وأصبح من العسير تحليلها، وردها إلى عناصرها.

ولعلك تعجب أيضًا حين تجد اختلاط آثار الحبشة واليمن بالأخبار اليهودية والنصرانية وغيرها مما جاءنا عن طريق الحبشة أو اليمن، مثال ذلك قولهم إن لقمان كان عبدًا حبشيًا، وفي رواية أنه كان قاضيًا في بني إسرائيل، وقولهم إن طفلًا من بني إسرائيل كان يسمى صاحب الحبشة، كان قد نطق في المهد. وقولهم إن أصحاب الأخدود كانوا قومًا من بني إسرائيل، أو قومًا من الحبشة، أو قومًا من اليمن أو غير ذلك.

يرى الأستاذ هارناك أن الكتاب المقدس لم يترجم إلى العربية في عصر ما قبل الإسلام. وهذا دليل على أن المسيحية كانت ضعيفة الأثر في العرب في هذا الوقت المبكر[١].

والواقع أنه لا دليل على أن كنيسة مسيحية كانت تستخدم اللغة العربية في بلاد العرب، وربما كانت السريانية أو العبرية من اللغات المستخدمة في بعض الكنائس المسيحية في هذه البلاد.

ويروي أن ورقة بن نوفل النصراني (كان يكتب الكتاب العربي، فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء أن يكتب) ومنه استنتج هامر أن ورقة ترجم الإنجيل أو قطعًا منه من العبرية إلى العربية[٢].

والراجح أن القراءة الصحيحة لهذا النص هي أنه (كان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء أن يكتب) وقد ذكر مصححًا في الأغاني (مط التقدم ٣\١٤) ومع هذا فإننا لا ننكر أثر المسيحية في اليمن، وفي شمال الجزيرة العربية، ولقد أثرت الحبشة في العرب من هذه الناحية تأثيرًا لا ينكر.

ولقد سمعنا عن كنيسة يمانية، تدين بمذهب الطبيعة الواحدة الذي بثه فرومنتيوس في الحبشة منذ القرن الرابع، ورأينا ذلك الخطاب السرياني الذي أرسله يعقوب السروجي إلى نصارى نجران، مما يدل على أن اللغة السريانية كانت مفهومة هناك.

---

(١) R.Bell, p. 16.

(٢) Renan, Hist, gener. Des langues semit, P.363. (Paris, 1878,)

ومع هذا لم تكن المسيحية كنيسة واحدة ولا مذهب واحد في اليمن، فيرىة البعض أن نصارى الشمال من أهل العراق كانوا يترددون إلى اليمن[1]، وذكر السمعاني في المكتبة الشرقية (٣\٢) بعض أخبار تثبت أنه كان في دولة حمير أربع أسقفيات: في ظفار، وعدن، وعلى مدخل الخليج الفارسي، وفي نجران.

ومهما يكن، فإن آثار المسيحية الحبشية تظهر واضحة قوية في نجران، ومن الآثار المدونة ما كتبه الأحباش عن دخول النصرانية في نجران في تسخة خطية بالحبشة[2] تتحدث عن أعمال القديس (أزقير) وخلاصتها أن أزقير هذا كان كاهنًا نصرانيًا دعا إلى دينه أهل نجران، فأمر الملك شرحبيل يقف بحبسه، لكنه نجا من الحبس، وعمد كثيرين، وتبعه رجل يدعونه قرياقوس، اجتمعت عليه اليهود ففند أقوالهم جهارًا وقضى لمحاوزلته آخرًا بقطع الرأس مع ثمانية وثلاثين آخرين، وله عيد في التقويم الحبشي[3].

ثم إن الأحباش بعد غزوتهم الأخيرة بنوا في نجران مزارًا (وقيل بناه نصارى نجران) ليكون قبلة العرب، ويسمى كعبة نجران أو كعبة اليمن، وفيها يقول الأعشى:

وكعبة نجران حتم عليك حتى تناخي بأبوابها

---

[1] لويس شيخر، النصرانيه وآديها ص ٥٨ طبعة بيروت ١٩١٢

[2] نفسه ص ٦١

[3] لويس شيخر ص٦١

نــزور يزيــدًا وعبــد المــسيح   وقيــــسًا؛ هـــم خيـــر أربابهـــا

ويصف العرب كعبة نجران بأنها قبة من أدم من ثلثمائة جلد كانت على نهر بنجران[1].

وكان الحارث زعيم نجران في زمن ذي نواس، ويسميه الفرنجة أريتاس، وهو الحارث بن كعب الذي عرف أبناؤه في نجران في عهد النبي (ﷺ)، وكانوا من بين الوفود التي جاءت تعلن إسلامها. وقد لفتوا نظر النبي (ﷺ) بضخامة أجسامهم، وسواد لونهم، فقال حين رآهم مقبلين: "من هؤلاء الذين كأنهم رجال الهند"[2] وكان الحارث هذا مسيحيًا متعصبًا، يستمد سلطته من معونة الأحباش، حتى أنه لجأ إليهم حين تحرش ذو نواس به وبقومه، وقيل إن تعذيب الحارث كان السبب المباشر في غزوة الأحباش الأخيرة.

وممن اشتهر في الجاهلية من أساقفة نجران قس بن ساعدة الإيادي، ومن عظمائها يزيد بن عبد المدان، وكلاهما أديبان لهما في الأدب العربي أثر يذكر.

وتجلت آثار المسيحية الحبشية في صنعاء أيضًا، ولا سيما بعد أن بنى أبرهة فيها كنيسة يصفها العرب ويبالغون في عظمتها وفخامتها، ويقال إن كثير من قبائل العرب حجها سنين ومكث فيها رجال يتعبدون ويتألهون ونسكوا لها[3].

---

[1] معجم البلدان لياقوت – نجران.

[2] ابن سعد ، الطبقات الكبير القسم الثانى من الجزء الاول ص ٢٠٧.

[3] الطبرى ح١ ص ٩٤٣.

وكذلك في ظفار، بنى الأحباش كنيسة، كان المتولي تدبيرها أسقفًا يدعى جرجنتيوس، اتخذه ملك الحبشة مستشارًا ومساعدًا لتنصير حمير، فما ألى جهدًا في ذلك. وقد ترك لنا من آثاره كتابًا في شرائع الحميريين التي ترى ترجمتها اليونانية في مجموع الآباء لميني، وكان يجادل اليهود ويرد على مزاعمهم وله جدال مع هربان الرباني[1].

وناحية أخرى تأثر بها المجتمع العربي، تلك هي الخرافة والسحر. ولا شك أن هناك أفكارصا مشتركة هما وهناك، كالجن والرقية والتطير وغيرها.

غير أن هناك أفكارًا أخذها العرب عن الأحباش، وما كانوا يعرفونها من قبل، كالزار – كما حقق دي غويه – معروفًا في زمانه في مكة يديره نساؤها، وانه من أصل حبشي واللفظة في الأمهرية معناها (الروح الشريرة[2]) ويستقدم المصريون بعض أفراد من السود للقيام ببعض المراسم في حلقة الزار كالرقص والغناء.

٢

لعل أجدر الآثار بالذكر تلك الاصطلاحات والألفاظ التي استعارتها من الحبشية اللغة العربية والقرآن بنوع خاص. ومن المعروف حتى لعلماء المسلمين، أن القرآن قد استعار كثيرًا من

---

[1] لويس شيخو ص ٤٦.

[2] نلدكه ص ٥٠ والزارهو مرض الشياطين الذى تتلبس به النساء الجاهلات.

الألفاظ الحبشية. فقد أورد السيوطي في الإتقان أن بابًا ذكر فيه ما ورد في القرآن من الألفاظ بغير لغة العرب، ذكر منها قرابة ستة وعشرين لفظًا أرجعها إلى اللغة الحبشية، ولكن أكثرها لم يثبت اشتقاقه منها.

وقد اجتهد الأستاذ نلدكه[١] في إيراد ما استطاع الاهتداء إليه من الألفاظ الحبشية التي استعملها القرآن واللغة العربية .

وقد ألقى الأستاذ برجشتراسر بالعربية محاضرات مطبوعة الآن[٢] ذكر فيها طائفة من الألفاظ العربية الدينية التي ترجع إلى أصل حبشي. وقد اعتمدنا في أكثر ما ذكرناه في هذا الفصل على ما كتبه هذان العالمان الجليلان في هذين الكتابين.

وقد فطن الباحثون بعد جمع هذه الألفاظ إلى أن كثيرًا منها يعود إلى أمور دينية، كالحواريين ومنافق وفطر ومنبر ومحراب ومصحف وبرهان إلخ..

ورب سائل يقول: إن اللغات السامية ترجع كلها إلى أصل واحد، هي لغة الأم، كما يسميها العلماء، وفيها جميعًا ألفاظ كثيرة مشتركة كالأب والأم واليد والدم والهن والسنة والشفة والأمة وغيرها. فهذه كلها مشتركة في جميع اللغات السامية أو في أكثرها.

---

(١) Th.Noeldeke, Neue Beitrage Zur semit. Sprachwissenschaft, Strassburg, 1910.

(٢) التطور النحوى للغة العربية ص ١٣٦ وما يايها (معر ١٩٢٩).

فلأي سبب يجوز أن نقول إن بعض الألفاظ التي تشارك العربية فيها الحبشية ليست بأصلية في كلتا اللغتين بل هي حبشية الأصل، واللغة العربية استعارتها من الحبشية؟ الجواب أنا نستنتج ذلك من تحقيق لفظ الكلمة ومعناها وكيفية استعمالها في اللغتين والعلاقة بينها وبين سائر اشتقاقاتها. فمن الممكن أن تعد الكلمة حبشية الأصل إذا حققنا فيها صفة من الصفات الآتية:

١- وجود اشتقاق للكلمة في الحبشية أظهر وأبين منه في العربية مثل حواريون ومنافق وفطر ومنبر. فكلمة حواري مع كون بنائها غير مألوف في العربية، لا يمكن اشتقاقها من حار لأن ما هو أقرب إلى معنى الحواريون من معاني هذه المادة وهو الرجوع أبعد عنه بكثير من معناها في الحبشية وهو السير والسفر. والحواريون في لغة الكنيسة رسل المسيح. ومنافق مأخوذ من نافق الحبشية أي شك وداهن وخالف. ولا علاقة في العربية بين النفاق وسائر معاني مادة نفق فيها، وهي في الحبشية تدل على المخالفة والانفصال، فالمنافق هو الذي يخالف ظاهره باطنه. وفطر لم تؤد معنى الخلق في العربية قبل مجيئها في القرآن الكريم، وأصل معناها العربي الشق، وهي في الحبشية مألوفة في معنى الخلق، كذلك منبر فعلها في الحبشية نبر أي جلس، ولا اشتقاق للمنبر في العربية.

ب- نقل الكلمة من الحبشية محرفة أو مغايرة للأصل مثل محراب، فربما كان أصلها محرام في الحبشية أي المعبد، فأبدلت الميم باءً. أو ربما كان أصلها مكراب أي المكان المقدس فأبدلت الكاف حاءً، ومن ذلك كلمة بغل وقد وردت في القرآن، وهي لفظة حبشيةأصلها بالقاف. فقد تبين أن تغير الكلمة في حرف من حروفها قد يكون دليلًا على عدم أصالة الكلمة في اللغة المنقولة إليها.

جـ- انفراد الكلمة في العربية بحيث لا يكون لها قرابة إلا ما اشتق منها، مثل برهان ومائدة. فبرهان من مادة (بره) في الحبشية وهي تقابل (بهر) أي أنار وأضاء في العربية. فأصل معنى برهان النور والتنوير، فهو لفظ منفرد في العربية لا قرابة له فيها إلا ما اشتق منها كبرهن. وكذلك مائدة فهي في الحبشية (مائد) وليس لها في العربية اشتقاقات من مادتها[1].

ومن هذا النوع ألفاظ أخذتها العربية من الحبشية، وهي ليست حبشية الأصل، وإنما سبقت الحبشية إلى أخذتها من لغات أخرى ثم استعارتها العربية منها. من ذلك إنجيل وجهنم وتابوت، فهذه ألفاظ أجنبية بعضها يوناني، وبعضها عبراني[2].

---

[1] راجم التطور النحوي فى باب المفردات.

[2] نلدكه ٣٤ ، ٤٧.

د- ورود نص موثوق به يؤيد أن اللفظة حبشية الأصل. من ذلك ما ذكره القدماء في مشكاة من أن أصلها حبشي فإذا رجعنا إلى الكلمة الحبشية نجد أن **Maskot** معناها الكوة. وفي القرآن يرسم المقطع الثاني بالواو، مما يدل على أن حركته لم تكن فتحةممدودة في الأصل بل كانت **o** كما في الحبشية تمامًا.

ومثلها كلمة مصحف، فيروى أن سالمًا مولى أبي حذيفة جمع القرآن بين دفتين، ثم ائتمروا على أن يسموه باسم، فقال البعض منهم سموه السفر، فقال لهم إن ذلك تسمية اليهود لكتبهم، فكرهوا ذلك، فقال إني رأيت مثله في الحبشة يسمى المصحف فأجمع رأيهم على أن يسموه المصحف فسمي به[1].

وإذا رجعنا إلى الحبشية نجد كلمة **Mashaf** مشتقة من صحف إي كتب. ومصحف في العربية تروى ميمها محركة بالحركات الثلاث.

هـ- وهناك دليل آخر على أن مصحف حبشية الأصل وهو أن العرب لما أخذوا الكتابة من جيرانهم الذين سبقوهم إلى التمدن، يحتمل أن يكونوا قد أخذوا منهم الأسماء الدالة على هذا التمدن. فكان ينتظر إذن أن تكون المصحف آرامية كما أن الخط العربي آرامي الأصل، غير أنا لا نجد في الآرامية كلمة تقابل مصحف، فاتجه العرب إلى اليمن وإلى الحبشة لأن الكتابة كانت معروفة

[1] الحبشان ٩٣.

ومستعملة هناك كذلك[١] وكان بعض العرب يكتب بالحروف اليمانية قبل أن يألفوا الحروف الآرامية[٢].

كذلك مما أدخلته الحضارة الحبشية من الألفاظ في بلاد العرب طائفة تدل على الأبنية وتأسيس الطرق، مثل الخوخة، والسكة، والمشكاة، والصرح؛ وفي الملابس والزينة، كالجلباب والوقف، والدملج، والزريبة، والحنبل؛ وفي التوقيت كالتاريخ والساعة، والزمن؛ وفي الأواني كالشواصين، والصواع، وفي الحيوان كالحريش، والزرافة، والهرماس، والدمة، والبغل.

كذلك مما أدحلته الحضارة الحبشية من الألفاظ فى بلاد العرب طائفة تدل على الأبنية وتأسيس الطرق ، مثل الخوخة[٣]، والسكة[٤]،والمشكاه ، والصرح[٥]؛ وفى الملابس والزينة، كالجلباب والوقف، والدملج، والزربية، والحنبل؛ وفى التوقيت كالتاريخ والساعة، والزمن؛ وفى الأوانى كالشواصين، والصواع، وفى الحيوان كالحريش، الزرافة ، والهرماس، والدمة، والبغل[٦].

---

[١] والقلم كلمة يونانية، جاءت عن طريق الحبشة (قلم) وقد ورد ذكره فى القرآن (نلدكه ٥٠).

[٢] برجشتراسر ، باب المفردات.

[٣] الخوخة الفتحة فى الحائط كالنافذة الصغيرة، وهى فى الحبشية (خوخت).

[٤] أصلها فى الحبشة (سكوت).

[٥] بمعنى القصر، ووردت فى بيت شعر قاله عثمان بن مظمون وهو فى الحبشة:

أخرجتنى من بطن مكة آمنا ... وأسكنتنى فى صرح بيضاء تقذع

أى أسكنتنى فى حجرة أو مخدع، وصرح فى الحبشية بهذا المعنى.

[٦] راجع نلدكه فى المرجع المذكور آنفا.

و– ندرة معنى من معاني الأوزان في العربية مع شيوعه في الحبشية. من ذلك كلمة أخدود، فيما أظن، فمن المعلوم أن وزن أفعول بالفتح يأتي في الحبشية (وربما في لغات يمنية أيضًا) للدلالة على الجمع، فيقال أهجور أي بلاد، جمع هجر وأجموس نوع من النقود جمع جمس. ولا نعرف أن أفعول قد ورد في العربية مفتوح الأول، وإنما ورد مضموم الأول للدلالة على معان شتى من بينها معنى الجمع، على أن ورود هذا الوزن للدلالة على الجمع قليل نادر في العربية. وقد وجدنا أن السيوطي لم يذكر مما جاء على هذا الوزن للدلالة على هذا المعنى إلا ثلاثة ألفاظ[1]: أمعور، القطيع من الظباء، واحبوش جيل الحبش، وأركوب الجماعة من الركاب. وإذا أمعنا النظر نجد ألا فارق بين الوزن المضموم الأول الدال على الجمع في العربية ومثله المفتوح الأول في الحبشية واليمنية، ذلك أن العرب لم تجر ألسنتهم على نطق أفعول مفتوح الاول (كما لا تستسيغ نطق فعول مفتوح الأول إلا في ألفاظ قليلة).

ونرجح أن أفعول الدال على الجمع في العربية دخيل، جاءنا عن طريق الحبشة أو اليمن، وحين تسرب إلى ألسنة العرب أجروه مجرى ما ألفوه فضموا أوله، وأدرجوه في جملة أفعول الدال في أصل اللغة العربية على معان كثيرة لا صلة بينها وبين معنى الجمع. ومما يؤيد رأينا في أن معنى الجمع في هذا الوزن دخيل ما نجده من

[1] المزهر ص ٨٣ (طبع مصر ١٣٢٥هـ).

معاني تلك الألفاظ الثلاثة التي أوردها السيوطي: عن طريق الحبشة أو اليمن.

وإذا رجعنا إلى أخدود نجد أن أكثر المفسرين واللغوييني‌ذكرون أن أخدود مفرد لا جمع، ويجمعونه على أخاديد. وترجع إلى اللفظة في سياق نصوص قديمة فنجدها تعامل معاملة المؤنث، ففي الحديث الذي رواه الطبري أن الملك (خد لقومه أخدودًا وملأها نارًا) ونجد مثل هذا في نصوص أخرى[1].

وأصحاب المعاجم يذكرون أنها مفرد مذكر، فلماذا عوملت معاملة المؤنث؟ لا لشيء إلا لأن القدماء كانوا يدركون أن هذا اللفظ جمع لا مفرد. والمادة موجودة في الحبشية في (حدد) أي أحدث قطعًا، والحاء والخاء وسائر حروف الحلق عرضة كثيرًا للتبادل في الكلمات الحبشية. ثم يؤيد هذا الرأي ما ذكره النسفي، دون سائر المفسرين واللغويين، من أن أخدود جمع خد أي شق عظيم في الأرض[2]. وإذا كنا نجد في العربية أخاديد فإنما هو جمع الجمع كما نجد أفاعيل ترد لجمع الجمع في ألفقاظ كثيرة.

٣

لم يطلق العرب لفظ العبيد على الذين كانوا يشترونهم من الأجناس السواد فحسب، بل كانوا يطلقونه كذلك على الذين

---

(١) راجع تفسير الطبرى لسورة البروج.

(٢) مدارك التزيل على هامش الخازن حـ٤ ص ٤٠٣:

يملكونهم بالشراء أو الأسر ونحو ذلك من الأجناس المختلفة، وفيهم من العرب أنفسهم[1].

وكانت في الحبشة منذ عهد قديم جدًا، أسواق لبيع العبيد، فيروى أن الفراعنة كانوا يبعثون بالحملات إلى بلاد كوش لاستجلاب العبيد منها.

وكان لهؤلاء العبيد الإفريقيين، مناطق على البحر الأحمر، ولاسيما في ميناء عدول، حيث كانوا يخصون ويحملون في السفن إلى بلاد العرب وغيرها.

وكان للعبيد الأحباش والإماء الحبشيات ميزات تجعل سادتهم يؤثرونهم على غيرهم، ويعتمدون عليهم في أعمالهم. ولاحظ بعض الباحثين أن الجواري في بلاد العرب ولاسيما الحبشيات منهن كن أكثر حظوة لدى سادتهن من نسائهم الحرائر لأسباب كثيرة[2] وكانت عادة الغرب في الجاهلية إذا ولد الرجل منهم من إحدى أولاء الجواري ولدًا استعبدوه، فإن أنجب (صار نجيبًا) اعترفوا به، وإلا بقي عبدًا[3]. ويتفاوت ثمن العبد حسب قيمته ومنفعته[4].

وجاء الإسلام والعبيد من الأحباش طائفة ممتهنة قد ذلت نفوسهم وهانت كرامتهم، ولا أدل على ذلك من قول جعال أحد

---

[1] دارة المعارف الاسلامية مادة عبد.

[2] نفس المادة فى دائرة المعارف الاسلامية.

[3] الاغانى حـ ٨ ص ٢٣٧.

[4] نفسه حـ١ ص ٣٣٤.

عبيد مكة من الأحباش حين سأل النبي يا رسول الله! أرأيت إن قاتلت بين يديك حتى أقتل أيدخلني ربي الجنة لا يحتقرني؟ فقال له (ﷺ): نعم، فقال: وأنا منتن الريح أسود اللون، يا رسول الله، قال نعم[1]، وجاء رجل من الحبشة إلى النبي فقال: يا رسول الله فضلتم علينا بالألوان والنبوة، أخبروني إن آمنت بمثل ما آمنت به وعملت بمثل ما عملت به إني لكائن معك في الجنة فقال له النبي (ﷺ): نعم[2].

وهكذا رفع الإسلام من شأن العبيد ولم يفرق بينهم وبين سائر الناس إلا بالتقوى، وأعد الجنة لمن يطيعه ولو كان عبدًا حبشيًا، والنار لمن عصاه ولو كان شريفًا قرشيًا، وجعل البركة مقرونة بالأحباش.

وبذلك سمت روحهم المعنوية، وكان طبيعيًا أن يسرعوا إلى تلبية دعوة الإسلام الذي خلصهم ورفع من شانهم وأنقذهم من وهدة الذل والمهانة، فلا غرو إذا رأيناهم يسارعون إلى الإسلام، فوجدنا بلالًا يبادر إلى الدخول في الإسلام في فجر الدعوة، ووجدنا كثيرين من موالي النبي وموالي صحابته من الأحباش يحذون حذوه، من أمثال لقيط، وكان مولى من موالي النبي (ﷺ)، وأسلم ويسار وكانا عبدين ليهوديين ثم أسلما على يد النبي (ﷺ) في حصار خيبر،

---

[1] الطراز المنقوش ص ٣٤ب.

[2] نفس المرجع ص ٣٥ ا.

وغيرهم كثيرون من "مسلمة الحبشة" الذين ذكرهم النبي (ﷺ) حين حضرت أحد مواليه الوفاة، فقال (ﷺ): "انظروا من بمكة من مسلمة الحبشة فادفعوا ميراثه لهم[(١)]". وكانت حاضنة النبي أم أيمن حبشية مسلمة، فلما كبر النبي أعتقها، ثم أنكحها زيد بن حارثة، وقيل إنها كانت من سبى جيش أبرهة وأنه لما انهزم عن مكة، أخذها عبد المطلب من معسكره. وقد توفيت أم أيمن بعد رسول الله بخمسة أشهر[(٢)].

وكان بلال بن رباح – غالبًا– من سلالة الساميين الذين اختلطوا بالعناصر الحامية والإفريقية في الحبشة، فليس في أوصافه التي ذكرها العرب ما ينطبق على الجنس الحبشي الوطني وما يميز الحاميين والإفريقيين، وهي فطس الأنف وفلفلة الشعر. كانت أم بلال من إماء السراة أو من إماء مكة، وكان سادته بني جمح واشتراه أبو بكر الصديق، وأعتقه بعد ما رأى من تعذيبه، وكان من عمل بلال في صحبة النبي قبل بناء المصلى أنه كان يحمل العنزة بين يديه (ﷺ) ويركزها حيث تقام الصلاة، وكانت إحدى العنزات الثلاث التي أهداها النجاشي إلى النبي، وقد ظلت تتداولها أيدي الحراس في عهود ولاة المسلمين بعد عصر الخلفاء. وكان من عمل بلال أيضًا حمل الزاد للرسول في خرجاته (ﷺ)، ولهذا سمي خازن الرسول.

---

(١) الحبشان ص ١٤٦.

(٢) الطراز المنفوش ص ٣٥ ا،ب.

وكما كان بلال أول ثمرة من ثمار الحبشة فكذلك كان أول مؤذن في الإسلام، ويقال إنه ربما كان قد تلقن من والدته السوداء شيئًا من تلك الخواطر الفجة التي شاعت في الحبشة باسم الديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي فهيأت ذهنه لقبول وحدانية الإسلام.

وعرف الأذان بعد بناء مسجد المدينة، وتحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة، وقد تبين للنبي أنه في حاجة إلى طريقة لدعوة المسلمين إلى إقامة الفرائض العامة والشعائر العلنية، وخطر للنبي أول الأمر أن يتخذ بوقًا للدعوة إلى الصلاة أو ناقوسًا أو ناقورًا من الخشب ولكن لم يرغب في استخدام أداة كان يستخدمها اليهود في بعض الصلوات[١].

وكان يوكل إلى العبيد بعض المهن الصغيرة بالإضافة إلى ما يقومون به من خدمة سادتهم، فكان يسار مولى المغيرة بن شعبة يرش المسجد النبوي ويكنسه[٢]. وكان أنجشة مولى النبي (ﷺ) حسن الصوت بالحداء وكان يحدو بالنساء[٣]. ودخل عمر على النبي وغلام حبشي يضم ظهره (ﷺ) لأن ناقة كانت اقتحمت به[٤]. وكان من الحبشيات الإماء من ينبذن التمر للنبي في سقاءٍ عشاءً فتوكئه

---

[١] من رسالة الكاتب لافكاديو هرن ترجمة الاستاذ العقاد فى كتابه (بلال داعى السماء) ص ١٠٥.

[٢] الحبشان ص ١٤١.

[٣] نفسه ١٤٦.

[٤] الحبشان ص ١٤٤-١٤٥.

فإذا أصبح شرب منه[1]. وكان أيمن بن عبيد مولى الرسول متوليًا أمر مطهرته (ﷺ) وتعاطيه حاجته[2].

ومن الطريف ما يحكى عن موليين كانا لرسول الله، أحدهما حبشي والآخر قبطي، نشأ يومًا، فقال أحدهما للآخر يا حبشي وقال الآخر له يا قبطي وذلك من باب المعايرة لبعضهما بالأصل، فقال لهما رسول الله (ﷺ) "لا تقولا ذلك ، إنما أنتما رجلان من آل محمد[3]".

ومن المعروف عن الأحباش، وهم في ذلك كسائر الشعوب الفطرية، أنهم سريعو التعبير عن انفعالهم، ولهذا سرعان ما تجد الحبشي يعبر بيديه ورجليه وحركات وجهه عما يخالج نفسه من مشاعر. وما الرقص إلا مظهر من مظاهر هذه الطبيعة وهذه ظاهرة تتحقق في كثير مما وصلنا من أخبارهم. من ذلك ما يروى أن حبشيًا سأل النبي (ﷺ) هل يدخل الجنة مع سائر المسلمين، فطمأنه النبي فبكى الحبشي حتى فاضت روحه. قال بن عمر: فلقد رأيت رسول الله يدليه في حفرته(يعي بيده الشريفة)[4]. وذكر النبي النار ذات يوم وبين يديه حبشي قد اشتد بكاؤه، فنزل جبريل عليه السلام وقال يا محمد إن الله تعالى يقول وعزتي وجلالي وكرمي وسعة رحمتي لا

---

[1] نفسه ص ١٥٦.

[2] نفسه ص ١٧٠.

[3] نفسه ص ١٤٥.

[4] الحبشان ص ١٤٤ – ١٤٥.

تبكي عين عبد في الدنيا من مخافتي إلا أكثرت ضحكه في الآخرة[1]. ويروي أن حبشيا أتى النبي(ﷺ) فقال يا رسول الله! إني كنت أفعل الفواحش، فهل لي من توبة؟ فقال له النبي(ﷺ) نعم، فولى الحبشي ثم رجع فقال يا رسول الله! أكان الله يراني وأنا أعمل؟ فقال له النبي(ﷺ): نعم يا حبشي، فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها روحه[2]. ولعلنا نذكر الآية الكريمة:(وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) فقد قيل إنها نزلت في قوم الحبش[3].

على أن للأحباش صفة عظيمة هي الشجاعة في القتال.

والإسلام مدين لهم من هذه الناحية أيضا. نذكر وحشي بن حرب الذي كان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية «يعني حمزة ابن عبد المطلب عم النبي» وشر الناس في الإسلام «يعني مسيلمة الكذاب». وكانت أم أيمن قد ولدت من زيد بن حارثة أسامة بنزيد، وهو بطل من أبطال الإسلام (توفي حول٥٧ هـ) قد استعمله النبي(ﷺ) وهو ابن ثماني عشرة سنة على جيش كان فيه عمر بن الخطاب، وأمره أن يسير به إلى الشام. ولما فرض عمر بن الخطاب للناس، فرض لأسامة بن زيد خمسة آلاف، وفرض لابنه عبد الله ابن

---

[1] نفسه ص ١٤٧.

[2] الحبشان ص ١٤٧.

[3] نفسه ص ٤٢.

عمر بن الخطاب ألفين، فقال له ابنه: أراك قد فضلت علي أسامة يا أبي، وقد شهدت ما لم يشهد من المشاهد، فقال له: إن أسامة وأباه كانا أحب إلى رسول الله منك ومن أبيك[١]، وقيل إن أبا عامر الراهب أحد الكفار في زمن النبي، وكان النبي يسميه الفاسق، حارب النبي في مكة، وفي أحد، ويقال إنه لقي المسلمين في الأحابيش وعبدان أهل مكة[٢]. والأحباش بطبيعتهم يحذقون فن القتال، ويتعلقون بأساليب النضا. وقد عرف العرب فيهم هذه المزية كما استعاروا منهم ألفاظا تدل على أسلحة القتال[٣]. وكان لعبد الله بن أبي ربيعة عبيد من الحبشة، يتصرفون في جميع المهن، وكان عددهم كثيرا؛ فروى عن سفيان بن عيينة أنه قيل لرسول الله(ﷺ) حين خرج إلى حنين: هل لك في حبش نبي المغيرة تستعين بهم؟ فقال: لا خير في الحبش، إن جاعوا أسرقوا، وإن شبعوا أزنوا، وإن فيهم لخلتين حسنتين، إطعام الطعام، والبأس يوم البأس[٤].

وكان كثير من هؤلاء العبيد الأحباش الذين طال بهم العمر بعد موت الرسول(ﷺ)، يعتكفون في ديارهم، وينقطعون عن الحياة السياسية، ويعيشون في عزلة وانكماش بعيدا عن الناس، فقد ذهب

---

[١] الحبشان ص ١٦٨ – ١٦٩.

[٢] ابن اسحاق ص ٥٦١– ٥٦٢.

[٣] ومن ذلك المعابل (وهى آلت مدببة تشبه السهام والنبال) فهى فى الحبشية معبلت جمعها مقابل، والدروع، والوصف بالوضاف(فى الحبشية وضف وضافى أى رمى بالمقلاع) **Noeldeke, p, 53, 55 -6**

[٤] أعائى طبعة دار الكتب حـ ١ ٦٥.

بلال إلي دمشق، وآثر حياة العزلة حتى مات ٢٠ أو ٢١ هـ ونزل أبو بكرة مولى الحارث بن كلدة الثقفي بالبصرة، فلم يسمع عنه خبر حتى مات، ونزل وحشي بن حرب بحمص في آخر أيامه وظل بها حتى مات. وكان عثمان بن مظعون وهو من الذين هاجروا إلى الحبشة من مسلمي مكة مجتهداً في العبادة، يصوم النهار، ويقوم الليل، ويتجنب الشهوات، ويعتزل النساء حتى إنه استأذن رسول الله(ﷺ) في التبتل والاختصاء فنهاه عن ذلك[١].

٤

هاجر جعفر بن أبي طالب بعد البعثة التي هاجرت إلي ملك الحبشة لمفاوضته، تصحبه زوجه أسماء بنت عميس. وكان جعفر شخصية قوية، محبوبة لدي الرسول، وله(ﷺ) فيه أحاديث تدل على حبه له، ويقال أنه كان يشبه النبي في خلقه وخلقته[٢].

ولقد أبلى جعفر في الحبشة بلاء حسناً في الدفاع عن قضية المسلمين بين يدي ملكهم أصحمة. وولد لجعفر في أرض الحبش عبد الله وعون ومحمد، وقيل أنه لما ولد النجاشي بنا كانت أسماء بنت عميس ترضعه مع ابنها[٣].

وقدم جعفر عام خيبر على النبي(ﷺ) (أي في السنة السابعة للهجرة)، وإذا صح أنه كان قد هاجر إلى الحبشة في السنة الخامسة

---

(١) الحبشان ٢٥٨ – ٢٥٩.

(٢) الحبشان ص ٢١٧.

(٣) نفس المرجع ص ٩٦٤.

من مبعث النبي، فهو قد مكث زهاء أربعة عشر عاما في الحبشة، وهي فترة طويلة كفيلة بإحداث مؤثرات فعالة في جعفر وأصحابه.

وقد على النبي مع جعفر وفد من زعماء الحبشة، اختلف العلماء في عدده، قيل كان عددهم اثنين وستين رجلا، وقيل ثمانية شاميون وثنان وثلاثون رجلاً من الحبشة[1].

ومهما يكن من أمر، فإن هؤلاء الأحباش من بقي بجوار الرسول، وتطوع لخدمته وخدمة المسلمين. فيروى أنه كان من بين القادمين منهم ذو مخمر(أو ذو مخبر) ابن أخي النجاشي، وقد لزمالنبي ملازمة كلية حتى عده بعض العلماء من مواليه ونزل الشام في آخر أيامه، ومات في حدود الستين للهجرة، وقد روى الحديث عن النبي، فروى عنه قوله: "تصالحون الروم صلحاً آمناً وتغزون أنتم وهم عدواً من ورائهم، فتسلمون، وتغنمون، ثم تنزلون بمرج ذي تلول، فيقوم رجل من الروم فيرفع الصليب ويقول الأغلب الصليب، فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله، فعند ذلك تغدر الروم، وتكون الملاحم، فيجتمعون إليكم، فيأتونكم في ثمانين غاية، مع كل غاية عشرة آلاف". وحديث آخر رواه ذو مخمر: "كان هذا الأمر في حمير فنزعه الله منهم، فجعله في قريش وسيعود إليهم"[2].

---

[1] نفس المرجع ص ١٤٢.

[2] الحبشان ص ١٣٣ – ١٣٤.

وهذان الحديثان ينمان عن روح حبشية سياسية ظاهرة، فالأول حديث الخبير بالروم وتحالفها ومسيحيتها، وفي حديثه روح تنبؤية قريبة من نزعة الأحباش في نظرتهم الدينية. والثاني يتحدث عن حمير، ومن أكثر خبرة بحمير من هذا الحبشي؟؛ وهو حديث سياسي يخبرنا عن تنقل السلطان بين حمير وقريش. ويتنبأ بصيروة الغلبة لحمير آخر الأمر؛ وفيه روح تمالئ حمير، وتشير إلي عصبية جنسية خفية سنرى آثارها بعد قليل.

ومن الآثار التي أفادها جعفر من هجرته ما يروى أنه لما قدم على النبي سنة ٧هـ احتفى به النبي (ﷺ)، فصار جعفر يحجل حوالي النبي (ﷺ) (وفي رواية وصار يرقص) وقد أقره (ﷺ) ولم ينكره عليه[١]. كذلك من آثار النساء المهاجرات ما يروى أن فاطمة لما حضرها الموت قالت لأسماء بنت عميس زوج جعفر بن أبي طالب: يا أسماء إني والله لمستقبحة لما يصنع بالنساء إذا متن من طرح الثوب على إحداهن عند حملها الذي ربما وصفها. فقالت لها أسماء: ألا أريك شيئًا رأيت من الحبش يصنعونه بنسائهم إذا متن؟ قالت: نعم، فدعت أسماء بجرائد خضر فجئ بها فأخذت أطرافها فحنتها ثم طرحت ثوبًا عليها .. فلما رآه أبو بكر حسبه هو دجا لقرب هيئته من هيئة الهودج[٢].

---

[١] قيل ومن هنا ألحذف الصوفية جواز الرقص عندما من لذة المواحيد فى مجالس الذكر والسماع. والحجل المشى على رجل واحدة بما يشبه الرقص (الحبشان ص ٩٢)

[٢] الحبشان ص ٩٢.

وقد قيل إن نساء رسول الله تذاكرن عنده في مرضه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها مارية، فذكرن من حسنها وتصاويرها، وكانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا من أرض الحبشة، فقال رسول الله (ﷺ): "أولئك قوم إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا ثم صوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله"[١].

٥

يقول الباحث لافكاديو في رسالته[٢]: "وذكر الدكتور بيرون في كتابه عن النساء العربيات الذي نشر بالجزائر ١٨٤٨ أن معظم المشهورين بالغناء كانوا عبيدًا، وأن جميع العبيد قبل الدعوة المحمدية كانوا على وجه الإجمال من الحبش أو الزنوج. ولا يبعد أن تكون القينتان المشهورتان باسم جرادتي عاد ولا يزال لأغانيهما بقية مروية فتاتين حبشيتين، وتقول الأخبار أنهما كانتا لعبد الله بن جدعان من سلالة عاد".

وربما يرجع السبب في أن المغنيين كانوا من بين الموالي في بلاد العرب إلى نقص في الأداة الصوتية أو القدرة الفنية عند العربي الأصيل، أو أنفة من هذه الصناعة واعتقاد منه بأن الغناء بالنساء أولى، وإنما كان العرب أهل تجارة وحرب فلعلهم انشغلوا عن صناعة الغناء بالقتال وتسيير القوافل.

---

[١] طبقات ابن سعد القسم الثانى من الجزء الثاني ص ٣٤.

[٢] نقلا من كتاب بالل داعى السماء للاستاذ العقاد ص ١٥٠ ومابعدها.

وكان للعرب صناعة غناء لا ينكرونها وهي الحداء والنصيب وما إليه[1].

وكانت الأنغام العربية لا تتعدى أنواعًا ثلاثة:

١- النغم البسيط ويغنى به في مقام الوقار، ومعارض البطولة أو السهولة كغناء الحرب والحداء.

٢- النغم المركب ويتألف من حركات عدة، وترجيعات صوتية كبيرة.

٣- النغم الخفيف وهو يستخف السامع إلى الطرب ويهزه ويحرك أشجانه.

(ولما كان بلال عبدًا؛ وكان لا ريب في بعض أوقاته يسوق الإبل فقد كان على الأرجح يتغنى بالحداء، ويعالج النغم البسيط، وربما وجد من وقته متسعًا لترديد الأصوات المركبة، واستطاع أن يلقي الأذان في ألحانه المعروفة متأثرًا بطابعه الحبشي، ولا يبعد أن يكون بلال قد سمع الأذان، وصاغ منه اللحن الذي أوحته إليه سليقته الإفريقية، فأقره النبي عليه كما أقره على بعض الزيادات التي أضافها إلى أذان الصبح كقوله (الصلاة خير من النوم)[2].

وكان من الأحباش من يقوم بصناعة الرقص واللعب بالحراب في الحفلات والأعياد في الجاهلية وصدر الإسلام، وروى أن

---

[1] بلال ص ١٥٥ وما بعدها.

[2] نفس المرجع ونفس الصفحات.

الحبشة لعبوا بحرابهم في المسجد، فكان النبي يستعرضهم مع عائشة وهي متكئة على منكبيه كما يروى أن الحبشة قد زفنوا بين يدي الرسول. وكانوا يرقصون ويقولون محمد عبد صالح فقال الرسول[1] ما يقولون؟ قالوا: يقولون محمد عبد صالح[2]. ورؤي الأحباش يلعبون فأخرج أحد الصحابة درهمين فأعطاهم[3]، وأخذ المسلمون من الأحباش بعض أنواع الرقص وهو الحجل الذي صنعه جعفر احتفاء بالنبي حين قدم من الحبشة. وفي اللغة القنين من أسماء طنبور الحبشة.

وكما كان غير مستساغ لدى العرب الصرحاء أن يقوموا بصناعة الغناء كذلك كان الرقص في نظرهم، فهم يعدونه مهنة لا تليق بأمثالهم، وإن كان لديهم أنواع أخرى من الرقص لا يرون فيها عيبًا كما كان لهم أنواع من الغناء (الحداء والنصيب) لا يرون فيها عيبًا كذلك. حتى الحبشي منهم كان إذا صلحت حاله وعلا مركزه يأنف من صنعة الرقص؛ ولقد مر نصيب الشاعر بعد أن اتصل بالخليفة وحسنت حاله بابن خالته سحيم وهو يزفن ويزمر مع السودان، فأنكر ذلك عليه وزجره[4].

---

[1] الزفن والزفيف نوعان من رقصهم يمتازان بالسرعة وتوالى الحركة.

[2] التراتيب الادارية طبعة الرباط حـ ٢ ص ١٤١.

[3] نفسه حـ ٢ ص ١٤٥.

[4] الاغاني حـ ١ ص ٣٣٩.

٦

على أننا لا نريد الآن أن نعالج مسألة يكتنفها شيء من الغموض، إذ لا نكاد نجد فيها من الأخبار والروايات ما يعيننا على تحقيقها، تلك هي مدى تأثر الأدب الجاهلي وأدب صدر الإسلام بالأحباش. ونلاحظ أن كثيرًا من الشعراء، والأدباء بوجه عام، كانوا في الجاهلية على اتصال بالبيئات الحبشية سواء عن طريق مباشر أو عن طريق اليمن، فضلًا عن طائفة من الشعراء الأحباش كانوا قد استوطنوا بلاد العرب، وتعلموا اللغة العربية، ونظموا بها الشعر.

ولقد عرفنا كيف كانت مدينة نجران، بخاصة معقلًا من معاقل المسيحية الحبشية في بلاد اليمن. والأخبار تدلنا على أنه كان لهذه المدينة أثر في تخريج فريق من الشعراء والخطباء من العرب. وكلنا يعرف أن قس بن ساعدة الأيادي كان أسقفًا لنجران، كما كان خطيبًا مشهورًا، سمعه أبو بكر الصديق وأعجب به[1] وهو يخطب في سوق عكاظ خطبته المعروفة "أيها الناس! اسمعوا وعوا، وإذا وعيتم فانتفعوا، أنه ما مات فات، وكل ما هو آت آت، مطر ونبات، وأرزاق وأقوات، وآباء وأمهات الخ".

ولعلك تحس في هذه الخطبة روح الحكمة التي يمتاز بها رجال الدين كما تحس فيها بذلك السجع الذي يذكرنا بسجع

---

[1] شعراء النصرانية حـ ١ ص ٢١٢.

الكهان. ثم إذا نظرنا في آخر هذه الخطبة نجد قسًا قد ذيل خطبته بأبيات من الشعر:

في الذاهبين الأولين م من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردًا م للموت ليس لها مصادر

أيقنت أني لا محالة م حيث صار القوم صائر

وإن ما اتبعه قس من تذييل خطبته بختام شعري إنما هو طريقة معروفة في الأدب الحبشي، حين يسرد رجال الكنيسة من الأحباش قصة حياة قديس من القديسين، أو شهيد من الشهداء، فيذيلون هذه القصة بمقطوعة شعرية ينشدونها عقب الفراغ من سردها، ويسمونها سلام، لأنها تبدأ بلفظ سلام، وتتناول الإشارة بذكر أعمال القديس أو الشهيد المترجم له. وتجري في أواخر أبيات المقطوعة قافية واحدة. ونظن أن نظام التذييل هذا ولو أنه لم يصل إلينا مدونًا إلا في عصور متأخرة، متأثر بالأدب الشعبي الحبشي. والمعروف أن الأدب الشعبي في أية أمة أعمق في تاريخ أجيالها، وأبعد تأثرًا بالأدب الأجنبي من الأدب الرسمي.

ثم إن هذا الختام الشعري زاخر بالموسيقى اللفظية التي تتجلى بوضوح في نظام التقفية وفي تكرار لفظ سلام في أول كل شطر، وهذا التناسق الموسيقي موجود، من غير شك في أبيات قس، موجود أيضًا في ذلك السجع الذي التزمه في خطبته وتقريبه بين

ألفاظه المسجوعة بتقصير عباراته. والمظنون أن السجع في النثر كالقافية في الشعر، قد انبعثا من وادٍ واحد، من معابد الآلهة، ومن أقوال الكهان، والسحرة، ومنشئ الرقى واالتعاويذ وذلك لما في السجع والقافية من موسيقى، وتوقيعات تساعد الكاهن والساحر والراقي على التأثير في نفوس السامعين وإحاطة صناعته بضرب من التهويل والإغراب، وما أجدر أن تكون نجران وما شاكلها مركزًا لهذا النوع من الأدب.

ويذكر ابن قتيبة أن من أقدم الشعراء الذين لا نعرف عنهم إلا البيت والبيتين، الحارث ولعله الحارث بن كعب زعيم النجرانيين الذي رأينا ذا نواس يعذبه والنجاشي يثأر له. والرواة يذكرون أنه كان شيخًا فانيًا قد بلغ من العمر خمسة وتسعين عامًا، حين أقدم ذو نواس على تعذيبه، ويروى ابن قتيبة أن الحارث هذا قال:

أكلت شبابي فأفنيته   وأفنيت بعد شهور شهورًا

ولكني أشك من نسبة هذا الشعر إليه. وإن كنت أعتقد أن مجرد نسبة الشعر إلى رجل نجراني، إن صح أنه نجراني، مما يلفت النظر في هذا المقام.

ويقول القدماء إن الأعشى وهو صناجة العرب الذي كان يغني شعره ويرتله، (كان يعود غي كل سنة إلى بني عبد المدان " وقيل إن عبد المدان رأس هذه الأسرة، هو الذي بنى كعبة نجران" فيمدحهم

ويقيم عندهم ويشرب الخمر معهم وينادمهم ويسمع من أساقفة نجران قولهم، فكل شيء في شعره من هذا فمنهم أخذه[1]) ومن أسرة عبد المدان النجرانية شاعر جاهلي معروف يقال له يزيد بن عبد المدان ترجم له الأغاني[2].

ثم نرجع إلى شعراء اليمن في الجاهلية فنجد امرأ القيس الكندي، وكندة كما رأيت، كان متجه أنظار الغزاة من الأحباش منذ قديم الزمان، فغزاها أفيلاس في القرن الثالث الميلادي، ثم أخضعها أبرهة وولى عليها يزيد بن كبشة في القرن السادس الميلادي. كذلك كان من الشعراء الجاهليين من اتصلوا بأهل اليمن، وعاشوا معهم كما فعل الأعشى، ومنهم أمية بن أبي الصلت، وكان تاجرًا متصلًا باليمن وله شعر في مدح سيف بن ذي يزن؛ كما أنه يذكر في شعره كثيرًا من الآثار اليمنية.

أضف إلى هؤلاء طائفة من الشعراء ينحدرون من سلالة حبشية، منهم عنترة بن شداد، وخفاف بن ندبة، وسليك بن السلكة، وسحيم عبد الحسحاس، ويقال للثلاثة الأولين أغربة العرب، سموا كذلك لسواد لونهم[3].

---

[1] الأغانى جـ١٠ ص ١٣٦ يشير النص بقولة من هذا إلى بيت الاعشى : استأثر الله بالبقاء وبالعدل وولى الملامة الرجلا.

[2] الاغاني ج ١٠ ص ١٣٦.

[3] بالاضافة إلى هؤلاء تطلق أغربة العرب أحيانا على نفر من الشعراء وهم عمير بن الحباب، وهشام بن عقبة بن الحباب، وهشام بن عقبة بن أبى معيط، وتأبط شرا، والشنفرى وعبدالله بن خازم، وعمير بن أبى عمير، وهمام بن مطرف ومنتشر بن وهب ومطر بن أوفى ، وحاجز، ولم يثبت لدينا أن واحدا من هؤلاء ينتسب إلى جنس حبشي.

فلعلنا نستطيع، بعد الذي سبق ذكره، أن نزعم أنه كان للأحباش أثر في وضع لبنة في بناء موسيقى الشعر العربي، وربما يؤيد ما نذهب إليه، ما نعرفه من أن الأحباش كما مر قد أدخلوا ضروبًا من الرقص والغناء في الحجاز، والصلة وثيقة بين الشعر والرقص والغناء العربي، ولا يبعد أن يكون الشعر قد أفاد من توقيعات الرقص والغناء كما أفاد الأذان من صوت بلال وطريقته في الغناء.

وإذا رجعنا إلى الشعراء من الأحباش في الجاهلية وصدر الإسلام، نجدهم على وجه الإجمال غزلين أو فرسانًا. والحبشي بطبعه يميل إلى الغزل الجامح الذي يصل أحيانًا إلى درجة المجون. ومن المعروف أن الأحباش، لكونهم أمة تعيش على الفطرة، لا يتورعون في التعبير عن انفعالهم وغرائزهم، والعرب أنفسهم يعرفون فيهم هذه الطباع فقد حكم النبي (ﷺ) على عبيد الحبشةبأنهم قوم (إن جاعوا سرقوا وإن شبعوا زنوا). ويروى أإن عبد الله بن أبي ربيعة اشترى الشاعر الحبشي سحيمًا وأحب أن يهديه إلى عثمان بن عفان فكتب إليه: "لا حاجة لنا فيه، إنما حظ أهل الشاعر منه إذا شبع أن يشبب بنسائهم وإذا جاع أن يهجوهم[1]". وفي الأدب الحبشي بعض الأناشيد الدينية يسمونها ملكي، وهو عبارة عن شعر يصف القديس أو الشهيد وصفًا دقيقًا من رأسه حتى أظافر أصابع رجليه وهو لا يتحرج من ذكر القبيح، وهو يذكرنا بشعر نشيد الإنشاد في التوراة.

---

[1] الشعر والشعراء ص ١٤٢.

ولعل سحيما عبد بني الحسحاس خير مثال على هذه الطبيعة، فهو عبد حبشي اشتراه أبو سعيد فشبب ببنته عميرة، وفحش وشهرها ومن ذلك قوله فيها:

ألكني إليها عمرك الله يا فتى ... بأية ما جاءت إلينا تهادينا[1]
وبتنا وسادانا إلى علجانة ... وحقف تهاداه الرياح تهاديًا[2]
وهبت شمال آخر الليل قرة ... ولا ثوب إلا بردها وردائيا
توسدني كفا وتثني بمعصم ... على، وتحوي رجلها من ورائيا
فما زال بردي طيبًا من ثيابها ... إلى الحول حتى أنهج البرد باليًا[3]

ومع ذلك فقد كان سحيم دميم الخلقة، قبيح المنظر وهو القائل في نفسه:

أتيت نساء الحارثيين غدوة ... برجه يراه الله غير جميل
فشبهني كلبًا، ولست بفوقه ... ولا دونه، إن كان غير قليل

وكانت فيه لكنة حبشية، وكان ربما أنشد فيقول أحسنك والله، يريد أحسنت[4] واللغة الحبشية تستخدم الكاف للمتكلم والمخاطب بدلًا من التاء التي تستعمل في العربية[5].

[1] ألكنى إليها : أبلغ رسالتى إليها.

[2] علجانة شجرة معروفة والحقف ماتراكم من الرمل.

[3] أنهج البرد أى أخلق وبلى.

[4] الشعر والشعراء ص ٢٤١.

[5] ويروي النحاة شاهدا على إبدال الكاف من التاء قول الراجز:

يا ابن الزبير طالما عصيكا ... وطالما عنيكنا إليكا

وأورده أبوزيد فى نوادره ونسبه لراجز من حمير (خزانة الأدب للبغدادى جـ ١ ص ٢٥٧)

وهو من المخضرمين أدرك الجاهلية والإسلام ولا تعرف له صحبة ولما أنشد عمر بن الخطاب هذا المطلع:

عميرة ودع إن تجهزت غاديًا   كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

قال له عمر: لو كنت قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك. فقال سحيم: ما سعرت يريد ما شعرت[1].

وأكثر شعره في الغزل، وقد أورد طا ئفة منه البغدادي في خزانة الأدب[2]. ومات سحيم مقتولًا، وقيل إن سبب قتله امرأة كان يحبها وكان آخر ما قال وهو مقدم للقتل:

شدوا وثاق العبد لا يغلبكم   إن الحياة من الممات قريب
فلقد تحدر من جبين فتاتكم   عرق على ظهر الفراش وطيب[3]

ويروى أن عنترة بن شداد كان يعشق عبلة، ولكن أكثر ما قال في شعره في الحرب والفروسية.

ويروى أن عمر بن أبي ربيعة كانت أمه أم ولد من حضرموت أو من حمير أو من الحبشة وقيل بل الحبشية أن أخيه، ويرى بعض الرواة إن من حمير أتاه الغزل. ويقال غزل يمان ودل حجازي.

---

(1) خزانة جـ١ ص ٣٧٢.
(2) نفسه جـ ا ص ٢٧١ – ٢٧٤ ، حـ ٣ ص ٤٠١ – ٤٠٢.
(3) خزانه جـ١ ص ٢٧٣ – ٢٧٤ (٣ن٤) الاغانى جـ١ ص ٦٦.

ونصيب بن رباح مولى عبد العزير بن مروان كان شاعرًا غزلًا أيضًا، وكان حبشيًا، كان يأتي من مشيخة من بني ضمرة، وهم مواليه ومشيخة من خزاعة فينشدهم القصيدة من شعره ثم ينسبها إلى بعض شعرائهم الماضين، فيقولون أحسن والله! هكذا يكون الكلام! وكان هو مشجعًا له على الخروج إلى عبد العزيز بن مروان وهو يومئذٍ بمصر[1].

وكان منظره لا يشجع على الاحترام طلب أن يدخل على عبد العزيز ليمدحه فازدرى وطرد. فلما تمكن من الدخول، صعد عبد العزيز فيه بصره وصوب ثم قال له: أنت شاعر! ويلك! فعندما سمع أحد جلساء الخليفة شعره حكم بأنه أشعر أهل جلدته. وكانت صاحبة نصيب أم بكر زينب بنت صفوان بن غادي كنانية في الأصح وليست زنجية كما زعم. وسبب الوصلة بينهما أن صبيًا كان يرعى إبلًا لمولاه وكانت رعاة مولاه تخالط رعاة صفوان في المبرك بوادي البوار، وكانت زينب تأتي رعاة أبيها فتأخذ لبنًا، وأن نصيبًا تولع ببري القيسي وإراشة السهام وحجز الأوتار، فبرع في ذلك حتى اشتهر في أحياء العرب، وكان يجلس لفعل ذلك وتذهب الرعاة فتقوم عنه بالخدمة، وتتخلف الحلوب من النوق في المعاطن فتأتي زينب وهي جارية صغيرة، فتأخذ اللبن فينظرها وكان حاذقًا حسن التأمل في

[1] الاغانى طبعة دار الكتب جـ ١ ص ٣٢٥.

دقائق المحاسن ولطائف الشمائل وهي من ذلك في أرفع المراتب، فنشأ عنده من حبها ما غير باله فشبب بها، وفشا ذلك، فأتت العرب مولاه فقالت إن عبدك هذا قد برع في الشعرونخشى أن يشبب بنسائنا، فباعه مولاه لعبد العزيز بن مروان.

وقد قص قصصًا غرامية ليزيد بن عبد الملك ولعبد العزيز. وله شعر في الغزل، وهو صاحب البيت السائر:

أهيم بدعد ما حييت فإن مت فيا ويح دعد من يهيم بها بعدي

أما أثرهم في شعر الفروسية في الأدب العربي، فمنه نوع قاله شعراء الأحباش في الحروب والقتال ونوعت قيل في الصلعكة. ومن الصفات الأصيلة في الأحباش الصبر في القتال وجراءة القلب وقوة البنية وخفة الحركة. والعرب يسمون ثلاثة من شعراء الأحباش أغربة العرب، وهم عنترة بن شداد وخفاف ابن ندبة والسليك بن السلكة وكانوا جميعًا فرسانًا.

أما عنترة وخفاف فقد اشتهرا بالشجاعة في الحرب وقتال الأعداء، الأول جاهلي كان يقال له عنترة الفلحاء، وذلك لتشقق شفتيه، وأمه أمة حبشية، يقال لها زبيبة، وكان لها ولد عبيد من غير شداد. وروى أن أباه ادعاه مكافأة له على إنقاذه لبني عبس من بعض الغارات. وله معلقته التي أولها:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

وفيها يصف شجاعته وكره وفره على حصانه وثباته في القتال وقتله لخصمه الشجاع وهجومه على الأعداء.

أما خفاف بن ندبة، فكان مخضرمًا ما أدرك الجاهلية والإسلام، أمه ندبة سوداء حبشية، وكان شديد الأدمة، وأسلم وشهد فتح مكة وكان معه لواء بني سليم، وثبت على إسلامه في الردة، وبقى إلى عهد عمر بن الخطاب. وكان في الجاهلية يهاجي العباس بن مرداس. قال الأصمعي: خفاف ودريد بن الصمة أشعر الفرسان.

أما شعر الصلعكة، فكان من أبطاله السليك بن السلكة، وكانت أمه السلكة سوداء، وهو أحد الصعاليك العدائيين الذين كانوا لا يلحقون ولا تعلق بهم الخيل إذا عدوا. وكان إذا جاء الصيف وانقطعت إغارة الخيل أغار، وكان لا يغير على مضر، وإنما يغير على اليمن، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة، وربما كان هذا راجعًا إلى أنه درس مسالك اليمن أكثر من غيرها من جهة وأن الثروة والمتاع كان في اليمن أكثر وأضمن منها في بقاع الشمال.

كان السليك من أشد رجال العرب، وكانوا يدعونه سليك المقانب، وكان أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها وأشدهم عدوا على رجليه[1].

---

[1] الاغاني مط التقدم جـ ١٨ ص ١٣٤.

وكان إذا جاء الربيع عمد إلى بيض النعام فيملؤه من الماء ويدفنه في طريق اليمن في المفاوز. فإذا غزا في الصيف مر به فاستأثره[1]، وكان يعطي عبد الملك بن مويلك الخثعمي أتاوة من غنائمه، على أن يجيره فيتجاوز بلاد خثعم إلى من وراءهم من أهل اليمن.

انتقل من الأحباش إلي العرب بعض آثار في الحكمة . والقرآن الكريم يذكر عن لقمان وصايا قدمها لابنه وهو يعظه[2]، وزعم وهب بن منبه أنه قرأ عشرة آلاف فصل من حكم لقمان، وقيل إن النضر بن الحارث كان قد حفظ(مجلة لقمان) ليضاهيء بها أقوال الرسول في مجالس قريش[3].

ويروى أن لقمان هذا كان عبداً حبشياً؛ وقيل إنه كان عبداً مصرياً أو نوبياً، وقيل في مهنته إنه كان نجاراً أو راعياً أو وزيراً لداود أو قاضياً لبني إسرائيل، ويجعله الباحثون المحدثون مقترناً بشخصيات ثلاث: بلعام بن باعور، حكيم بني إسرائيل، وأحيقار حكيم بابل القديمة، وإيزوب حكيم اليونان[4]، وبعد عهد الرسول تتطور شخصية لقمان، فبعد أن كان يصنع الحكمة القصيرة، أصبح

---

[1] نفسه ج ١٨ ص ١٣٥.

[2] سورة لقمان آية ١٣ – ١٩.

[3] الطبرى ج ١ ص ١٢٠٨.

[4] دائرة المعارف الاسلامية – Iukman

مؤلفاً للقصص الخرافية والرمزية التي تشبه في تأليفها قصص كليلة ودمنة.

ولقد رأينا كيف كان الأعشى يجالس أساقفة نجران ويأخذ عنهم الحكمة، ورأينا تلك الحكم التي جرت علي ألسنة قس بن ساعدة، أسقف نجران، وغيره من المسيحيين الذين تأثروا بالمسيحية الحبشية.

والأدب الحبشي يميل إلى الخرافة، وحسبك دليلاً أن تقرأ تاريخاً لأحد شهدائهم أو قديسيهم، فستجده حافلاً بالخوارق؛ زاخراً بالمعجزات، ولم تكن هذه الروح وليدة البيئة الحبشية وحدها، وإن تكن هذه البيئة الحبشية قد ساعدت على نموها وازديادها. وللقمان قصة في الجاهلية، تدلنا على أنه رجل قد بلغ من العمر أرذله، وأنه قد عاصر النسور السبعة التي آخرها لبد، وتظهر في هذه القصة روح أسطورية واضحة[1].

ويروى العرب قصة صاحب الحبشة الذي نطق في المهد[2]. ويروى عن أم أيمن الحبشة أنها لما هاجرت إلى المدينة، أمست بالمنصرف(اسم محل بين مكة والمدينة) فعطشت فأدلى عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض، فشربت حتى رويت، فكانت تقول

---

[1] طبرى جـ ١ ص ٢٤٠.

[2] الحبشان ص ١١١.

ما أصابني عطش بعد ذلك أبداً، ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر فما عطشت بعد تلك الشربة[1].

كان العرب في الجاهلية يعتبرون عبيد الحبشة بسواد لونهم، وركاكة أنسابهم، وكان شعراء الحبشة في الجاهلية يردون عليهم شتائمهم في رفق وحذر، فيقال إن عنترة نظم معلقته التي أولها:

«هل غادر الشعراء من متردم» لأن رجلاً من بني عبس سابه؛ فذكر سواده وسواد أمه وإخوته وعيره بذلك، وهو يرد على ركاكة نسبه بقوله:

إني امرؤ من خير عبس منصباً   شطري، وأحمي سائري بالمنصل

ويعير سحيم بأنه عبد أسود فيجيب بقوله:

إن كنت عبداً فنفسي حرة كرماً   أو أسود اللون إني أبيض الخلق

ويرد خفاف بقوله:

كلانا يسوده قومه   على ذلك النسب المظلم

فيظهر من ذلك أنه لم يكن لديهم في الجاهلية من الجراءة ما يجعلهم يتجاوزون هذا الدفاع السلبي إلى ما هو أبعد من ذلك وأقوى، كإثبات أن العنصر الحبشي خير من العنصر العربي مثلاً، أو إثبات أن الأحباش غلبوا على بلاد العرب، وكانوا سادة عليها ردحاً

---

[1] الحبشان ص ١٤٨ – ١٤٩.

من الزمن، فلم يذكروا شيئاً من ذلك، كأنهم كانوا يعترفون بضعف أنسابهم وحقارة عنصرهم.

فلما جاء الإسلام وعظم شأن الأحباش، وأثنى الرسول عليهم، واعترف المسلمون بفضلهم؛ قويت فيهم الروح المعنوية، وأخذ أدباؤهم ينافحون عن الجنس الحبشي، ويفاخرون العرب بماضيهم المجيد، وقد وجدنا هذه النواة في أقوال بعض صحابة النبي(ﷺ) من الأحباش.

ومما قوى هذه النزعة، تلك الهوجة التي انتابت شعراء القرن الأول الهجري، والتي دفعت إليها تلك العصبيات القبلية والسياسية والحزبية التي تفشت في ذلك الحين، فقد اشتدت الخصومة بين عدنان وقحطان، وتنبهت الخصومة القديمة بين الشمال والجنوبووقف شعراء الأحباش يؤازرون القحطانيين على عدنان.ولا شك أن القحطانيين كانوا أقرب إلى الأحباش من عدنان عنصراً .

في ذلك الحين تغيرت تلك الروح الضعيفة التي وجدناها في شعراء الأحباش فانقلبت روحاً قوية، تعير وتفاخر وتشتد وتتعصب، وهي بلا شك روح كانت مكبوتة من قبل ثم أظهرها الإسلام بما أتاح لهم من نفوذ روحي، وما أسبغه عليهم من الرعاية والثناء، لا نستثني منهم إلا نصيباً، فقد كان لا يحب الهجاء ولا يصطنعه، فيروى أنه سئل لم لا يقول الهجاء؟ فقال رأيت الناس رجلين: إما رجل لم أسأله

شيئاً فلا ينبغي أن أهجوه فأظلمه، وإما رجل سألته فمنعني، فنفسي كانت أحق بالهجاء إذ سولت لي أن أسأله وأن أطلب ما لديه[1].

فنراه لا يجيب الفرزدق حين يقول في شعره:

وخير الشعر أكرمه رجالاً   وشر الشعر ما قال العبيد[2]

ولا نراه يجيب حين يقول فيه كثير:

رأيت أبا الحجناء في الناس جائزاً   ولون أبي الحجناء لون البهائم

تراه على ما لاحه من سواده   وإن كان مظلومًا له وجه ظالم

فإن أجاب فأجابته هينة رقيقة، مر به جرير وهو ينشد، فقال له: اذهب فانت أشعر أهل جلدتك، فقال نصيب: وجلدتك يا أبا حزرة[3].

ولكن جريرًا لم يسلم من لسان الحيقطان أحد شعراء الأحباش في القرن الأول الهجري حين هجاه جرير، وقد رأى هذا الأسود ملتفًا في قميصه الأبيض، فأثار سخريته فقال:

كأنه لما بدا للناس   أير حمار لف في قرطا

سفلما سمع بذلك الحيقطان، وكان باليمامة هجا جريرًا بقوله:

وإن كنت تبغي الفخر في غير كنهه   فرهط النجاشي منك في الناس أفخر

---

[1] أغاني جـ ١ ص ٣٥٦.

[2] الشعر والشعراء ص ٢٤٣.

[3] أغاني جـ ١ ص ٣٣٨.

تأبى الجلندى وابن كسرى وحارث وهـوذة والقبطـي والـشيخ قيـصر

وفـاز بهـا دون الملـوك سـعادة فـدام لـه الملـك المنيـع المـوقر

ولقمـان مـنهم وابنـه وابـن أمـه وأبرهـة الملـك الـذي لـيس ينكـر

غزاكم أبو يكسوم في عقر داركم وأنـتم كغـيض الرمـل أو هـو أكثـر

ثم يذكر أن مكة خالية مما يشجع الغزاة على فتحها:

ولـو كـان فيهـا رغبـة لمتـوج إذا لأتتهـا بالمقـاول حميـر

ولـيس بهـا مـشتى ولا متـصيف ولا كجواثًـا ماؤهـا يتهجـر

ثم يشتم جريرًا ويعير قومه بسبة مشهورة:

أسـت كليبيـا وأمـك نعجـة لكم في سمان الضأن عار ومفخر

ومن قبله هجاه النجاشي شاعر اليمن بهذا المعنى.

ومن شعراء الحبشة في ذلك العهد عكيم الحبشي، قيل إنه كان أفصح من العجاج بن رؤبة، وكان علماء الشام يأخذون عنه.

سمع عكيم أحد شعراء بني كلب (وهو حكيم بن عياش الكلبي) يقول:

لا تفخـرن بخـال مـن بنـي أسـد فـإن أكـرم منهـا الـزنج والنـوب

فأحس الشاعر الحبشي في هذا البيت إهانة لكرامة قومه السود، وهو واحد منهم، فرد عليه بقوله:

ويوم غمدان كنا الأسد قد علموا ويـوم يثـرب كنـا فحلـة العـرب

وليلــة الفيــل إذ طــارت قلــوبهم وكلهــم هــارب مــوف علــى قتــب

منا النجاشي وذو العقصين صهركم وجــد أبرهــة الحــامي أبــي طلــب

هبنــي غفــرت لعــدنان تهكمهــم فمـا لحمير والمقـوال فـي النسب

جمــارة جمعــت مــن كــل محزبــة جمع الشبيكة فوق الزاخر اللجب

وهــم الــسود اليمــانيون حــاولوا لــه حــول برديــه أرقــوا وأوســعوا

بين الحبشة والعرب

الكتاب الثاني

الباب الأول

الحبشة والدول الإسلامية

١

أصبحت حدود الحبشة في هذه الفترة أكثر وضوحًا،
وقد انفصلت النوبة عنها، وهدأ إلى حد ما ما كان
يحدث من تنازع القبائل والشعوب على حدودها،
فأصبحت تحد من الشمال والشمال الغربي ببلاد
اللنوبة والسودان المصري، ومن الشمال والشمال
الشرقي بأريتريا الإيطالية والسومال الفرنسي والسومال
الإنجليزي ومن الجنوب بإفريقيا الشرقية البريطانية[١].

ولقد سايرنا تاريخ الدولة الأكسومية وعلاقتها بالعرب منذ قيامها حتى نهاية القرن السابع. والفترة التي بين نهاية القرن السابع وحول منتصف القرن الثالث عشر، غامضة في تاريخ الحبشة، ولا نعرف عنها إلا النزر اليسير. ولم نسمع أن رحالة من المسلمين جاسوا خلال هذه البلاد، في تلك الفترة وظفروا بأخبار هامة عنها.

---

(١) **Budge.vol.1,p.122,**

وهذا هو السبب في أن الجغرافيين من العرب لم يتعرضوا لذكر أي شيء ذي غناء عن بلاد الحبشة، فابن خرداذبة واليعقوبي وابن رستة والمقدسي وغيرهم لم يذكروا من هذه البلاد إلا جرمي الخوارزمي في كتابه صورة الأرض. وفرق الخوارزمي في كتابه بين مدينة جرمى الكبيرة وجرمى الواقعة في بلاد الحبشة. ويقول المسعودي[1] إن بلاد الحبشة كثيرة، ولكنه لا يذكر منها إلا مدينة كعبر، ويزعم أنها عاصمة ملك الحبشة (لعلها أنكوبر أو أكسوم أو قلغور[2]). ويشير ياقوت والمسعودي إلى جزر الباضع[3] (لعلها تحريف الناصع وهو الاسم القديم لمدينة مصوع، ثم أطلق عليها هذا الاسم الأخير قبيل القرن الثالث عشر الميلادي).

ويشيران إلى دهلك، وهي مجموعة من الجزر تقع قبالة مصوع في البحر الأحمر، وكلما تقدم الزمن، وجدنا أخبار المسلمين المؤرخين عن هذه البلاد تزداد وضوحًا وتفصيلًا، وإن كانت تفتقر في كثير من الأحيان إلى الدقة والصحة، حتى إذا جاء القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر، رأينا المؤرخين يذكرون أسماء بعض القبائل الحبشية مثل أمحرة (أمهرة) وسحرت (سهرت) وداموت وغيرها. على أن المقريزي هو أول مؤرخ عربي كتب كتابة صحيحة عن هذه

---

[1] مروج الذهب جـ ٣ ص ٣٤.

[2] جويدى فى دائرة المعارف الاسلامية - Abyssinia

[3] التنبيه ص ٣٣٠ والطبرى جـ ١ ص ٢٤٨٠ وما يليها.

البلاد وأخبارها في عصره (في القرن الخامس عشر)، وذلك في رسالته التي سماها "الإلمام بمن في أرض الحبشة من ملوك الإسلام" وقد كتبها وهو بمكة عام ٨٣٩هـ (١٤٣٤- ١٤٣٥م).

وحول عام ١٥٤٣م كتب المؤرخ العربي "عرب فقيه" كتابًا مفصلًا تحدث فيه عن غزوة أحد ملوك المسلمين (أحمد محمد جراني) الذي كانت دولته تحتل جزءً من الساحل الإفريقي للبحر الأحمر، والذي غزا بلاد الحبشة واستولى عليها فترة من الزمن.

ولم تكن هذه الفترة (أعني التي بين القرنين السابع والثالث عشر الميلاديين) غامضة فيما ذكره مؤرخو العرب فحسب، بل كانت كذلك في غيره من المصادر التاريخية، والظاهر أن الدعاية اليهودية في تلك البلاد كانت قد آتت ما ترجوه من الثمار في هذه الفترة، فقد عظم نفوذ اليهود وترك كثير من الناس الديانة المسيحية وزادت الحالة سوءً على سوء، حتى كان النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، فوجد اليهود الفرصة سانحة لامتلاك ناصية الحكم في البلاد، فقامت امرأة يهودية كانت متملكة على الفلشة في منطقة معين الواقعة شمال الحبشة من جهة الشرق، وهي منطقة نفوذ يهودي منذ عصور قديمة، ويطلق على هذه الملكة يوديث[1] أو

---

[1] يشك الباحثون في تفاصيل هذه الرواية من الوجهة التاريخية (Budge, Vol, 1,p. 214)، ويوديث لفظ عبري معناه يهوديه.

إستير، وزحفت على رأس ثوار اليهود تساعدهم جموع من قبيلة زاجوا (وهم فرع من الأجاو) وكانوا مسيحيين.

وبذكر بعض المؤرخين العرب رسالة أرسلها ملك الحبشة إلى حورج مطران النوبة يسأله أن يستخدم نفوذه عند بطريق الإسكندرية لإرسال مطران للحبشة، وتحدث الملك فيها عن ملكة غزت البلاد وأحرقت المدن وخربت الكنائس وطردت الملك من مكان إلى آخر. وقد أمكن لبعض الباحثين أن يستنتج من بعض نصوص هذه الرسالة أن الملكة اسمها حواء اليهودية، وأنها تنتمي إلى قبيلة زاجوا الأجاوية[1]، واستولت على مملكة أكسوم، وذبحت كل الثوار الذين كانوا يتحصنون في قلعة دامو ونصبت نفسها ملكة على الحبشة، وأنزلت بأكسوم الخراب والدمار وقضت على المسيحيين فيها، ولكن الغريب في الأمر أن خلفاءها الذين حكموا على هذه البلاد وقدموا من إقليم لاستا وكانوا يمتون إليها بصلة القرابة، إنما كانوا يدينون بالمسيحية، ولكن مسيحيتهم كانت مختلفة عن المسيحية التي كان يدين بها الأكسوميون من قبل اختلافا كبيرا[2]، والظاهر أنه كان من أثر فتوح العرب في البلاد المختلفة وتعاليم الإسلام التي نقلت لمحات منها إلى الحبشة هجرات المسلمين في عصر الرسول، ووفود الحبشة إلى النبي، وهؤلاء العرب المسلمون الذين

(1) Budge. Vol .1 p, 215
(2) Budge, Vol, .1P. 154

كانوا بها يهاجرون إلى ساحل أريتريا والسومال ويستوطنون بعض مدنه، ويتصلون باليهود لأسباب اقتصادية وسياسية، كان من أثر ذلك كله أن عبرت بأذهان الأحباش أفكار خاطفة عن الإسلام ربما نبهت أذهانهم، ووجهتهم إلى أفكار جديدة يغذون بها المسيحية واليهودية، وساعد على ذلك ما تصنعه الدعاية اليهودية في البلاد، ثم ما نلاحظه من أن الأحباش، كما يظهر ذلك كلما أمعنا في دراسة طبيعية هؤلاء القوم وتاريخهم، لم يفهموا العقائد السماوية التي اعتنقوها على وجهها الصحيح، وإنما أباحوا لأنفسهم أن يمزجوها بخرافاتهم ومعتقدتهم القديمة.

وقد قيل إن أحد عشر ملكا (وقيل تسعة ملوك) حكموا ٣٤٣ عاما بعد هذه الملكة، أشهرهم لا ليبلا بن جان شيوم (أي ابن الملك شيوم، ويقال إنه حدث قحط شديد في مصر في عهد المستنصر بالله ومكث سبع سنوات (١٠٦٦-١٠٧٢م)، وكان المستنصر بالله يعتقد أن الأحباش قد حولوا مجرى النيل، فأدى ذلك إلى هذا القحط، فأرسل سفارة إلى ملك الحبشة تحمل إليه هدايا ثمينة، وتطلب إليه أن يعيد النيل إلى مجراه الأول[1].

وقد ظلت اسرة زاجوا حاكمة على بلاد الحبشة حتى قام نزاع بينها وبين "يكونو أملاك" الذي زعم أنه سليل سلمان بن داود عليه

---

[1] Budge, Vol, 1, P, 279

السلام، وانتهى النزاع، بتوسط أحد رؤساء الأديار في الحبشة، باعتلاء، يكونو أملاك عرش الحبشة سنة ١٢٧٠م؛ وبذلك عد هذا الملك مؤسس الدولة السليمانية في بلاد الحبشة أو معيد عرش الأسرة السليمانية (إذا أخذنا بالأسطورة المعروفة).

واتخذ "يكونو أملاك" عاصمته، في مر مرعدي بإقليم أمحرة؛ وبهذا انتقلت حاضرة البلاد من أكسوم إلى أمحرة، ولقب الملك منهم بالحطى، وأصبحت اللغة الرسمية في البلاد اللغة الأمحرية (بدلا من الجعز التي كانت قد ضاعت كلغة حديث وأصبحت لغة للكنيسة). واللغة الأمحرية لغة سامية كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وملوك هذه الدولة يدينون بالمسيحية ويتمسكون بالمذهب اليعقوبي القائل بأن المسيح ذو طبيعة واحدة. وقد عرف الأحباش بالتحمس الديني. والسياسة ترتبط عندهم بالدين وبالثقافة ارتباطا وثيقا؛ فملوك الحبشة يحملون القاباً مسيحية حين يجلسون على العرش مثل جبر مسقل (أي عبد الصليب) وهو لقب لا ليبلا، ونأكواتو لأب (أي شكراً للأب)، ونواى كرستوس (أي إناء المسيح)، وبتيد مريم (أي بيد مريم)، ولبنا دتجل (أي بخور العذراء) الخ.

ودخلت المسيحية وحياة الأحباش أقرب إلى الفطرة والهجية فأدخلت معها كثيرا من الأفكار والنظم والأساليب في مختلف نواحي الحياة، فهم– إلى حد ما– مدينون للمسيحية حتى نظمهم

السياسية الإدارية. ومن ثم كانت الصلة وثيقة بين السياسة والدين عندهم. ولمطران الحبشة، المصري الأصل، أثر كبير في التوجيه السياسي والإداري والديني، فغن له نفوذا كبيرا في هذه البلاد، وعليه يعتمد ملوك الحبشة في شئونهم الدينية والسياسية. وكثيرا ما حاول المطارنة المصريون إصلاح ما يدونه متفشيا في المجتمع الحبشي بما يتمشى مع دينهم وعقائدهم؛ فقد بذل المطران ساويرس في محاربة تعدد الزوجات جهدا مشكورا تنفيذا لأوامر البطرك كيراس[1].

كذلك من الممكن أن يقال إن الأدب الحبشي أدب كنسى مسيحي، ظهرت بواكيره بظهور المسيحية في ترجمات الكتاب المقدس والكتب التي احتاج اليها مسيحيو الاحباش في أداء شعائرهم الدينية.

٢

لا شك أن هجرات العرب إلى سواحل أريتريا والسومال كانت مستمرة منذ عصور قديمة. والظاهر أن العرب كانوا قد تعودوا أن يجدوا في هذه السواحل ملجأ يفرون اليه، ومنفذآ يفزعون اليه من ظروف الحياة القاسية التي قضت بها طبيعة بلادهم وأساليب الحياة فيها، وكان العرب يجدون في هذا الساحل فرصآ كثيرة لكسب الرزق باحتراف التجارة وسائر المهن البحرية المختلفة. ولم تنقطع

[1] أبو صالح الأرمنى ص٢١٠.

الهجرات إلى هذه السواحل حتى الوقت الحاضر، حيث يحدثنا ليتمان أن قبيلة عربية، يقال لها الرشايدة هاجرت في العصر الحديث من بلاد العرب إلى الجانب الآخر من ساحل البحر الأحمر، وأخذت تتأثر الطابع الإفريقي، وتتكلم لغة التيجرى الى جانب لغتها العربية[1].

على أن ساحل السومال كان آثر الى العرب من ساحل اريتريا، لقرب الشقة بينه وبين بلادهم، فهاجرت اليه جماعات عربية وكثر عدد المهاجرين منهم، واشتدت شوكتهم فكونوا إمارات في المدن الساحلية. وكانت قبائل السومال، سكان البلاد الأصليون، يقيمون في الأجزاء الداخلية من هذا الساحل، على حين كان العرب المهاجرون يستوطنون المناطق المشرفة عليه.

وأشهر هذه الامارات في هذه الفترة التي نؤرخها: غمارة عدل أو الزبلع، وإمارة مقدشو. والأرجح أن يكون حكام هاتين الامارتين عربا تأقلموا في البيئة السومالية. لا أن يكونوا سوماليين تأثروا بالبيئة العربية.

وكان نشاط العرب عظما فبلغوا الهند وما وراءها، وكان من سكان السومال من هؤلاء العرب، كما يظن، جماعة انتقلوا إلى الهند الغربية واستوطنوا الأماكن الساحلية منها، وعرفوا باسم (حبشى أو سيدي)، وقد عرفهم المؤرخون في القرن الثالث عشر، وذكروا أنهم

---

(1) Encye. Of Religion and Ethics- Abyssinia

كانوا يشتغلون جنوداً أو ملاحين. ولما تأسست دولة المغل في هندستان حوالي عام ١٥٢٦م كانوا قوادآللأسطول المغولي. كذلك كان زعماء جنجيرا وستشين ينحدرون من أصل حبشي[١].

ومن جهة أخرى نزحت جموع من الهند إلى اليمن وسواحل إريتريا والسومال؛ ويقال إن جنود من الهنود، زحفوا إلى جزيرة العرب في القرن الحادي عشر الميلادي وأخضعوا الشعوب العربية التي في طريقهم، وعبروا إلى ساحل إفريقية، واستوطنوا هناك. وقد وجد بعض ضباط الإنكليز الذين كانوا يشتغلون برسم خريطة للسومال بعض آثار المعابد الهندية، كما أن العلماء المتخصصين في اللغات وجدوا مشابهة عظيمة بين لغة هؤلاء السوماليين وبين لغة الدكن[٢].

ويقال إن أمير مسقط امتنع من أداء الجزية لهؤلاء الهنود فجمع جيشا، واجتاز إلى ساحل السومال، واحتل مناطق من تلك البلاد، بعد أن خرب كثيرا من المعالم والمعابد الوثنية وقلب بعض المعابد إلى مساجد[٣].

والظاهر أن هجرات العرب أخذت تزداد بمضى الزمن بحكم تلك العلاقات السياسية والدينية والإقتصادية التي سنوردها تفصيلا في الأبواب التالية. والمعروف أن القبائل كانت حتى القرن العاشر الميلادي محدودة، ثم كثر عدد المهاجرين، فكونوا تلك الإمارات.

---

[١] Encyc. Of Islam-India, P. 480 sq

[٢] رحلة صادق باشا ص ٤٧–٤٨.

[٣] نفس المرجع والصفحة

أما مقدشو، فهي مدينة في إفريقية الشرقية على ساحل المحيط الهندي، وهي عاصمة السومال الإيطالي الآن، عرفت إمارتها العربية في القرن العاشر الميلادي، وكانت هجرات العرب إليها كثيرة متعاقبة، وأشهر هذه الهجرات تلك التي قدمت من الأحساء التي تقع على الخليج الفارسي، في الخلال الصراع الدموي الذي كان قائما بين الخلافة والقرامطة.

وتحالف المهاجرون مع قبائل السومال التي كانت تحيط بمقدشو على أن يكون يدآوحدة على الغزاة الآتين من البحر.

وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر أسس أبو بكر بن فخر الدين سلطنة وراثية في مقدشو بمساعدة أقوى العشائر العربية السومالية، عشائر المقرى التي تزعم انها قحطانية النسب، وفي سنة ١٣٢١م زار ابن بطوطة سلطان مقدشو (ويلقبه رعاياه بالشيخ) واسمه أبو بن بكر بن الشيخ عمر، وكان من أسرة فخر الدين "وكلامه بالمقدشي، ويعرف اللسان العربي[1]".

وفي ظل هذه الأسرة، في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، ازهرت هذه الإمارة وبلغت أوج عظمتها. وقد هاجمها فاسكودا جاما في ١٤٩٩م، وهاجمها غيره من البرتغاليين.

---

[1] ابن بطوطة جـ١ ص ١٦٠.

وفي القرن السادس عشر تولت أسرة المظفر امر مقدشو. ومنذ ذلك الحين أخذت قبائل السومال الداخلية تغير على هذه الدولة حتى اضعفت من شوكتها. وفي أوائل القرن الثامن عشر احتلت جنود إمام عمان، سيف بن سلطان، مدينة مقدشو، ولكنه بعد قليل من الزمن أمر جنوده بأن يعودوا إلى بلادهم. وفي هذه الأثناء كانت سلطنة مقدشو قد انهارت تماما.

وفي القرن الثالث عشر الميلادي سمعنا عن إمارة عربية أخرى، قامت في زيلع، ويسمى ملوكها بملوك عدل، أو ملوك الزيلع. وهي عبارة عن سبع إمارات صغيرة ذكرها المقربون[1]، وقد كانت هذه الإمارات هدف ملوك الحبشة وقتا طويلا، فقامت حروب دامية بينهم لأسباب سنذكرها بعد.

وقد أدى تأسيس هذه الدولة وغيرها على سواحل البحر الأحمر إلى فصل بعض الأراضي الساحلية عن المملكة الحبشية[2].

ويقال إن مؤسس الأسرة السليمانية في الحبشة ((يكونو أملاك)) (١٢٧٠-١٢٨٥م)، اضطهد ملوك عدل وحاربهم، وكذلك فعل عمد صيون (١٣١٤-١٣٤٢م) وقضى على دولتهم.

---

[1] تقع عدل في أقصى حدود هذه الامارات السبع الشرقية. ولعلها هي التي يطلق عليها الآن ساحل السومال الفرنسي، ويتألف سكانها من قبائل السومال وقبيلة عفر (دناكل) العربية الأصل. والخلط ظاهر بين المؤرخين، بين زيلع وعدل، ولعلها لفظان مترادفان، وربما كان ملوكهما من أسرة واحدة.

[2] Arnold, P. 113.

ولكــن المــسلمين المنتــشرين علــى الــساحل لــم تــضعف عزيمتهم، فنهضوا.

مرة اخرى حتى اصبحو قوة لا يستهان بها في زمن المقزيزي وعرب فقيه المؤرخين العربيين. قال المقريزي: "وكان أول قيام هذه الدولة أن قوما من قريش قدموا من الحجاز ونزلوا أرض جبرت وهي أراضي الزيلع، واستوطنوها وأقاموا بمدينة أوفات، وعرفت جماعة منهم بالخير، واشتهروا بالصلاح، إلى أن كان منهم عمر الذي يقال له ولشمع، ولاه الحطى (لقب ملك الحبشة وهي تقابل كلمة النجاشي في العصور الأولى) مدينة أوفات وأعمالها، فحكم بهامدة طويلة. ومات وترك أربعة أولاد أو خمسة ملكوا أوفات من بعده واحدآ بعد الآخر، وتوفى آخرهم صبر الدين في حدود ٧٠٠هـ"[١].

وقد ذكر المقزيزي في الإلمام اثنى عشر إقليما من أقاليم الحبشة، وذكر أن لكل إقليم ملكا، وكلها خاضع للحطى، وتحت يده تسعة وتسعون ملكا، هو تمام المائة، إلا أن بلادهم غير مشهورة عندنا[٢]. ومن هذه الأقاليم ما يسمى إقلم الطراز الإسلامي أو إقليم الزيلع هذا (والزيلع إنما هي قرية من قرى هذا الإقليم وغلب عليه اسمها) وإنما سمى الطراز لمحاذاته لساحل البحر، وهو عبارة عن سبع إمارات لكل منها ملك مسلم، وكل من هؤلاء الملوك يدين

---

[١] الالمام ص ٢٠

[٢] المرجع نفسه ص ٤

للحطى بالطاعة. فالإقليم الأول أوفات (إفات) ويطلق عليها جبرت[1]. وهو شرقي شوا؛ ومن مضافاتها زيلع وهي فرضة من فرض هذه البلاد وأهلها مسلمون، وغالب أهلها شافعية، وفي عهد المقريزي كثر فيها الحنفية، وأهلها يتكلمون الحبشية والعربية كذلك[2]. ويدخل في هذا الأقليم منطقة شوا وعاصمتها أنكوبر، وإقليم دوارو وكان يقع جنوبي اوفات؛ وأقليم أرابيني (وقيل أرابيني التي تقع في الشمال الشرقي من بحيرة صانا)؛ وإقليم شرحا أو شرخا ويقع غربي أوفات وربما كان هو ساركا الواقعة في إقليم جوجام جنوبي بلاد الحبشة[3]، وإقليم هدية ويقع جنوب أوفات، وصاحبه أقوى إخوانه من ملوك هذه الممالك السبع وأكثر خيلا ورجالا. وإليها تجلب الخدام من البلاد، فيذهب بهم إلى قرية قريبة منها يقال لها وشلو، أهلها همج، لادين عندهم، حيث يخصون، وبعد الخصاء ينقلون إلى هدية ليعالجوا فيها. وتجرى عملية الخصاء خفية، لأن ملك أمحرة – فيما يقال– كان يمنع خصاء العبيد وينكر ذلك ويشدد فيه.

ثم الإقليمان بالي ودارة، ويقع الأخير في الجنوب الغربي من بحيرة صانا.

---

[1] كلمة حبشية (أجبرت) بمعنى عباد (الله) وهي جمع مفردها جبر أي عبد والنسبة اليها جبرتي.

[2] إلمام ص ١١

[3] Budge, vol, 1, p, 298

وأكثر ملوك هذه الممالك يأخذون الملك بالوراثة، ومع ذلك فلا يستقل منهم أحد بملك إلا من أقامة سلطان أمحرة، وإذا مات منهم ملك، ومن أهله رجال، قصدوا جميعهم سلطان أمحرة وتقربوا إليه جهد الطاقة، فيختار منهم رجلا يوليه، فإذا ولاء سمع البقية له وأطاعوا[1]. وكان صاحب أوقات أكبرهم مكانة وكان هذا الإقليم أسبق الأقاليم إلى تكوين دولة إسلامية، لهذا فكلهم منفقون على تعظيم صاحب أوفات منقادون إليه. وكل ملوك هذه الأقاليم يؤدون لملك أمحرة قطائع مقررة تحمل إليه في كل سنة، من القماش الحرير والكتان مما يجلب إليهم من مصر واليمن والعراق[2]، إلا أن أهالي هدية قد درجوا على أداء جزية أخرى له، وهي إعطاؤه في كل سنة بنتا من بناتهم المسلمات ينصرها الحطى لنفسه، وقد جرت هذه العادة في بلدهم، بمقتضى معاهدة كان ملك الحبشة يحكم دائما بها كما حكم عليهم ألا يلبسوا عدة الحرب، ولا يمسكوا السيف ولا يركبوا خيولهم مسرجة قالوا:

"وحكم علينا.. ونطيعه مخافة أن يقتلنا ويخرب مساجدنا، وإذا أرسل الينا الذي يتقبل البنت والمال، أخرجنا له البنت على السرير، ونغسلها، ونكفنها بثوب، ونصلى عليها، ونحسب أنها ميتة، ونعطيها له، فإن وجدنا آباءنا وأجدادنا يفعلون ذلك[3]" ومع أن

---

[1] صبح الاعشى جـ٥ ص ٣٣٢.

[2] نفس المرجع والصفحة.

[3] عرب فقيه ص ٢٧٥-٢٧.

ملوك هذه الأقليم كانوا يدينون بالإسلام إلا أن كلتهم متفرقة وذات بينهم فاسدة[1]. والظاهر أنه كان بينهم شئ من التنافس في إظهار الطاعة لملك أمحرة، وكانوا مهرة في التجارة التي درت عليهم بعض الغنى والثروة.

وقد جرت عادة ملوكهم أن يعصبوا رءوسهم بعصابة من حرير تدور بدائر الرأس ويبقى وسط الرأس مكشوفا، أما أمراؤهم وجنودهم فيعصبون رءوسهم بعصائب من قطن، والفقهاء يلبسون العمائم، والعامة يلبسون كوافي بيضا طاقيات، والسلطان والجند يتزرون بثياب غير مخيطة يشدو وسطها بثوب ويتزر بآخر، ويلبسون مع ذلك سراويلات. ولهم عادات وشعائر مدونة في الكتب العربية[2].

والمعروف انه كانت هناك ولاية عربية أخرى بحذاء الساحل الإفريقي، يقال لها "دهلك" وهي مجموعة من الجزائر تقع في البحر الأحمر قبالة مصوع، وكان يحكمها ملك مسلم يدين للحطى بالطاعة، ويداري صاحب اليمن.

٣

نشأت علاقات بين مصر والحبشة منذ دخول الأخيرة في المسيحية.. وازدادت هذه العلاقات، منذ القرن الثالث عشر الميلادي توطداً وقوة؛ وأصبحت مصر قبلة مسيحي الحبشة ومتجه أنظارهم. وفي عصور متآخرة تصبح مصر قبلة مسلمى الحبشة

---

[1] صبح الاعشى ج ٥ص ٣٣٢.

[2] المرجع نفسه ص ٣٣٣-٣٣٤.

كذلك، ييممون شطرها لدراسة الديانة الإسلامية والثقافة العربية في معاهدها الدينية. والواقع أن مصر في هذه العهود قيد تبوأت في علاقتها مع الأحباش مكانة اليمن في العهد الغابر، وكما رأينا أن علاقة الحبش باليمن في العهد السابق كانت ودية أحيانا، وعدائية أحيانا أخرى، فكذلك نجدعلاقتهم بمصر في هذه الفترة، تسوء تارة وتتحسن تارة أخرى. وكما أنتجت هذه العلاقات آثارا في كل من الفريقين كما رأينا في الفترة السابقة فكذلك أنتجت بين الحبش والدول العربية عامة، ومصر بوجه خاص، آثارا سياسة واقتصادية ودينية واجتماعية وثقافية، تأثر بها كل من المسيحيين والمسلمين على السواء.

في هذه الفترة، لم تكن علاقة الحبشة باليمن على ذلك النحو من القوة الذي رأيناه في العهود السابقة. ولما كانت الحبشة في هذه العصور المتأخرة قد سيطرت عليها الروح المسيحية، واصطبغت حضارتها بصبغة مسيحية واضحة، كان طبيعيا أن تتجه اتجاها كليا إلى مصر، صاحبة الفضل الأول في تحويلها إلى المسيحية، ومصدر رؤسائها الروحانيين؛ بذلك أنشغلت الحبشة إلى حد ما عن اليمن التي كانت في ذلك الحين دولة اسلامية، لا يعني الحبشة من أمرها إلا بقدر ما يعنيها من أمر أية دولة مجاورة أخرى. ثم إن هناك أمرآ آخر شغل الحبشة نسبيا عن اليمن، وذلك هو تكوين إمارات الطراز الإسلامي على ساحل البحر الأحمر، وهي كما رأيت، إمارات عربية كان بينهما وبين الحبشة علاقات قليلها ودي، وأكثرها عدائي، فكانت هذه الإمارات تمثل الدولة العربية القديمة،

دولة حمير، فيما كان بينها وبين الحبشة من صلات. فوجه الأحباش إليها حملاتهم كما كانوا يوجهون حملاتهم قديما على حمير، ونظروا إليهم على أنهم عرب مناوئون كما كانوا ينظرون تماما إلى اليمن في العهود السابقة.

لهذه الأسباب انشغلت الحبشة إلى حدما عن اليمن ووجدنا اليمن تعيش في عهد الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ) (١٢٢٩-١٤٥٤م) وفي عهد الدولة الطاهرية (٨٥٠-٩٢٣هـ) (١٤٤٦-١٥١٧م) في هدوء شامل لا يكدر صفوها مكدر، وتنشط في هذين العهدين روح العلم والدراسات الدينية.

وفي الوقت الذي نجد فيه علاقة اليمن ببلاد الحبشة الداخلية محدودة قليلة، نرى العلاقة بينها وبين الإمارات العربية الساحلية قوية. وهذا أمر طبعي عا إليه الجوار واتفاق مؤسس هذه الإمارات مع اليمن في الجنس العام والدين واللغة. ولا شك أنه كان لدعاة العرب أثر كبير -كما سنرى- في نشر الدعوة الإسلامية في هذه البقاع الساحلية. ثم تلك الصلات التجارية التي ازدهرت بين الساحلين منذ أقدم العصور، لا سيما تجارة الرقيق التي كانت مزدهرة في مدينة هدية، إحدى الإمارات السبع الإسلامية. أضف إلى ذلك تلك العلاقات السياسية التي نشأت بين الساحلين. فقد أغارت إمارة عمان على ساحل البحرالأحمر، أكثر من مرة، كما أنها تمكنت من احتلال ولاية مقدشو فترة من الزمن كما رأينا. ولا شك أن ملوك اليمن كانوا يتطلعون إلى نفوذ في إمارات الزيلع كذلك. ويروى أن بعض ملوك اليمن كان قد أراد بناء جامع، في زيلع، فأرسل من عدن

ما يلزم من الحجارة وجميع الأدوات، فأخذ بعض قبائل الزيلع الحجارة، ورمى بها في البحر، ولما علم صاحب اليمن بذلك، عوق مراكبهم في عدن مدة سنة[1].

ومع ذلك كان ملوك الزيلع، إذا أحسوا إضطهادا من جانب جيرانهم المسيحيين، يفرون إلى ملوك اليمن، فيجدون منهم إيواء وترحيبا. من ذلك ما فعله أولاد أحد ملوك الزيلع، سعد الدين حين فروا إلى بر العرب خوفا من تحرش الحبشة، فأكرمهم الملك الناصر احمد بن الأشرف إسماعيل ملك اليمن، وأنزلهم ثم جهزهم وقاد لهم ستة أفراس، فخرجوا، ولحقت بهم عساكر أبيهم، وزحفوا لقتال ملك الحبشة[2]. ويقال إن سلطان جزر دهلك الواقعة في البحر الأحمر قبالة مصوع كان يداري سلطان اليمن[3].

على أنه كان هناك بعض علاقات بين ملوك الحبشة المسيحيين وملوك اليمن، تجارية وسياسية ودينية. وكثيراً ما لجأ ملوك الحبشة إلى ملوك اليمن، يوسطونهم لدى سلاطين مصر في أمر إرسال مطارنة مصريين أو إصلاح ذات بين. وفي عهد أحد ملوك الحبشة النصاري (فاسيلداس) أرسل هذا الملك إلى إمام صنعاء ١٠٥٢هـ (١٦٤٨م) كتابا ومعه هدية من الرقيق والزباد وسلاح الحبشة، وطلب في كتابه استدعاء رجل يصل إليه من خاصة الإمام ليدخل في الإسلام على يديه، ثم عاود الملك الحبشي إمام اليمن

---

[1] الالمام ص ٢٣-٢٤.

[2] المام ص ٢٣.

[3] صبح الاعثي جـ٥ ص٣٣٥-٣٣٦.

١٠٥٧هـ بكتاب آخر وهدية أخرى، واستعجل الرجل المطلوب. فقرر الإمام إرسال الحسن بن أحمد الخيمي إليه في طائفة من أصحابه[١] وقد وصف الخيمي رحلته إلى الحبشة في رسالة نشرها بيرز Peisor في برلين ١٨٩٤؛ ولكن البعثة لم تصادف نجاحا في مهمتها.

والعنصر الحبشي، على وجه الإجمال، منبث إلى اليوم في أنحاء الجزيرة العربية، وفي اليمن بوجه خاص. وقد أثبتت الأبحاث الحديثة التي قام بها المبعوثون إلى اليمن من العلماء والباحثين أثر العناصر الإفريقية بوجه عام في هذه البلاد. كما يلاحظ داوتي Doughty في رحلته إلى بلاد العرب أن الجنس الأفريقي كان منتشراً في كل مدينة وكل قبيلة، سواء منه العبيد والاماء والأسر السوداء الحرة[٢].

وقد ظل السكان الذين يقيمون على حدود الحبشة الشمالية والشمالية الغربية على دياناتهم القديمة حتى أخذ الإسلام في الانتشار بين أهالي السودان في القرن الحادي عشر الميلادي، وبين اهالي النوبة في القرن الرابع عشر الميلادي. وكان في جوب بلاد النوبة في القرن السادس عشر الميلادي ولاية تسكنها قبائل البلو الإسلامية، وكانت حداً فاصلا بين النوبة وبلاد الحبشة. ولكنهم على رغم ديانتهم الإسلامية كانوا يدفعون الجزية لملك الحبشة المسيحي

---

(١) الخيمي ص ١-٤.

(٢) Doughty. Vol. I. P, 553.

(كما كان الحال في إمارات الطراز الإسلامي). وإذا صح أن هؤلاء البلو هم البليون الذين تحدث عنهم الإدريسي في القرن الثاني عشر وعدهم من النصاري اليعاقبة، وقرن اسمهم باسم قبائل البجة الذين كانوا يقطنون بجوارهم (والبجة هم أهالي المنطقة التي يسمونها جزيرة مرو) فمن الجائز أنهم لم يقضوا إلا أعواما قليلة قبل أن يتحولوا إلى الإسلام، وفي ذلك الحين أسلمت قبائل البجة الذين كانوا قد اندمجوا في دولة الفونج[1] الإسلامية عندما كان هؤلاء الفونج يوسعون نطاق فتوحاتهم من سنة ١٤٩٩-١٥٣٠ من الجنوب حتى حدود بلاد النوبة والحبشة وأسسوا ولاية سنار القوية[2].

وعندما غزت جيوش أحمد جراني (أحمد ملوك الطراز الإسلامي) بلاد الحبشة، وشقت طريقها في البلاد من الجنوب إلى الشمال، عقدت اتصالا حول سنة ١٥٣٤ بجيش سلطان مسيحيا أو مزجة[3]

Maseggia or Mazaga، هذه ولاية كانت خاضعة لحكومة إسلامية، ولكنها كانت تدفع الجزية لملوك الحبشة. وتقع هذه الولاية في الوسط بين الحبشة وسنار.

---

[1] تزعم قبائل الفونج الزنجية انها من سلائل بني أمية الذين هاجروا إلى السودان فرارا من اضطهاد العباسيين لهم في القرن الثامن الميلادي. وقد اتحدت قبائل الفونج مع عرب جهينة الذين استقروا ببلاد البجة وشمالي النوبة منذ القرن التاسع الميلادي وأطبقوا على مملكة علوه المسيحية جنوبا وخربوها وأسسو مملكة الفونج ٩١٠هـ (١٥٠٥م) وعاصمتها سنار (حامد عمار ص٨٠).

[2] **Arnold. P. 113**

[3] مزجة مقاطعة يسكنها قبائل من التيجرى وتقع في شمال نازه وغربي سيراي **(Budge, vol ii, p, 348)**.

وكان في جيش هذا السلطان ١٥ الف جندي من النوبيين. والظاهر أنهم كانوا يعتقدون الدين الإسلامي[1].

(1) **Arnold, p. 113**



الباب الثاني

الحبشة والتعصب الديني



جرت العادة، حين كان يريد ملك الحبشة مطرانا لبلاده من مصر، أن يرسل رسالتين: إحداهما إلى صاحب الأمر في مصر، والاخرى إلى بطريق الإسكندرية، ومع الأولى هدايا من العبيد والمسك والعاج ترسل إلى الوالي أو السلطان، ومع رسالة البطريق مبلغ كبير من المال يقدمه الأحباش إلى البطريق- حينئذ يلتمس البطريق الإذن من الوالي أو السلطان للعمل على إرسال المطران، ويقوم برسامة أحد الرهبان الذين يتوسم فيهم الصلاحية مطرانا للحبشة. وفي القرن العاشر الميلادي، أي في أواخر عهد الملكة حواء اليهودية، أرسل بعض ملوك الحبشة يطلب توسيط أحد مطارنة سورية لدى بطريق الإسكندرية لإرسال مطران للحبشة[1].

كان بين الأحباش والقبط علاقات مودة وإخلاص، وكثيراً ما كان يهاجر الأقباط إلى الحبشة حين يحسون من الوالي ظلما وعنتا، حدث هذا في عهد الحاكم بامر الله الفاطمي، كما حدث في اوائل

---

[1] Budge. Vol. 1. p. 215

القرن الثالث عشر أن لجأ عدد كبير من الأقباط إلى ملك الحبشة، لا ليبلا، على أثر ما أنزله بهم السلطان الكامل ناصر الدين الأيوبي من اضطهاد في الوقت الذي كان الصليبيون يحاصرون فيه مدينة دمياط سنة ٦١٨هـ. ولا شك أن هؤلاء الفارين قد بثوا شكواهم إلى ملك الحبشة وطلبوا حمايتهم من السلطان الأيوبي. وكانت الحروب الصليبية في ذلك الحين في أواخر عهدها، وكانت بلاد الحبشة على معرفة تامة بذلك الشعور التعصبي الذي ساد أوربا والشرق في ذلك الحين، بل من المحقق أن الحبشة قد مثلت دورا هاما في تلك الأفكار الصليبية التي شاعت في ذلك الحين.

أصبح شعور التحمس الديني في ذلك الحين أشد ما يكون تنبها وإرهافا، وخلق هذا الشعور في نفوس المسيحيين في أنحاء العالم كثيراً من الأماني والمخاوف، نراها تمثلت في قصص وأساطير لا تزال معروفة للآن في الشرق والغرب. ومن بين تلك الأساطير التي كان لها أثر في العصور الوسطى في العالم المسيحي عامة وفي الحبشة بوجه خاص، أسطورة القسيس يوحنا وتأسيس إمبراطورية مسيحية تحت زعامته، وهي قصة خيالية حاكها المسيحيون ليمثلوا فيها أمانيهم وأحلامهم: هذه الإمبراطورية يسكنها أشخاص خرافيون، ورجال عيونهم في صدورهم، وهي مهد بعض الحيوانات والزواحف المخفية المفزعة التي لا تعيش إلا على لحوم الآدميين، والمخلوقات العجيبة التي تتركب أجسامها من رؤوس الطيور ذات الأجنحة

وأجسام الحيوان، ومخالب الوحوش، ولها ذيول من الأفاعي الحية؛ يحكم هذه الإمبراطورية حاكم مسيحي يعرف باسم القسيس يوحنا. ويقال إن نواة هذه الأسطورة قصة بطريق من بطارقة الهنود، زار رومة في الربع الأول من القرن الثاني عشر الميلادي، وقص حكايات عجيبة من كرامات القديس توما الذي كان أول من نشر المسيحية بين نصاري الملا بار في الهند. فلم يكد ينقضي القرن الثاني عشر حتى رفعت الإشاعات الشعبية هذا البطريق إلى مرتبة ملك، ونسبت إليه فتوحاً عظيمة هائلة، كما نسبت إليه قوى روحية فوق طاقة البشر. ولما كان الجغرافيون القدماء ينظرون إلى إثيوبيا على أنها الجانب الغربي من إمبراطورية الهند العظمى، فقد اعتقدوا في أوائل القرن الثالث عشر أن مملكة القسيس يوحنا هي إثيوبيا التي تدخل فيها بلاد الحبشة. وربما كان هذا راجعاً إلى تلك الرسالة التي تلقاها الملك عما نويل من القديس يؤنس (يوحنا) في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، يقول فيها إن لديه ٧٢ ملكا يأتمرون بأمره، وأنه يعيش في قصر استعد طرازه من توما الرسول، وبلاده تنتج الذهب والأحجار الكريمة والتوابل وغيرها، وفيها من الأعاجيب الكثيرة التي لا تحصي، ساقبة الحياة التي تهب الشباب الأبدي لمن يستحم فيها، وأنه يفتخر بأنه مدين بملكة لقوة الله والسيد يسوع المسيح، وأن كل أمنيته في الحياة أن يمكن الناس من الحج إلى بيت المقدس، وأن يستخدم جيوشه الجرارة في قتال أعداء الصليب. وفي

منتصف القرن الرابع عشر اتجهت الأنظار إلى إثيوبيا، واعتقد أنها مملكة القسيس يوحنا على وجه التحديد.

وكان من ملوك أوربا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر من تطلع إلى معرفة حقيقة هذه المملكة التي شاع أمرها وتحدث عنها الرواة، فأرسل ملك البرتغال سفارة إلى بلاد الحبشة لهذا الغرض[1].

وهكذا استقرت في الحبشة بعض الأفكار الصليبية في نهاية القرن الثاني عشر، حيث يريد القديس يؤنس أن يقضي على أعداء المسيح بجيوشه الجرارة، وأن يمكن للأحباش من الحج إلى بيت القدس. وكان في بيت المقدس دير يعدنواة للأحباش يقيمون فيه، وهو دير عرف باسمهم، يرجح أنه ظهر إبان الحروب الصليبية.

وقد شمله صلاح الدين بعطفه وسماحته عندما دخل بيت المقدس سنة ١١٨٧، واطلق عليه اسم دار السلطان، وله رئيس يعرف باسم (ممهر) أي العلم يعينه ملك الحبشة. وكان لوجود هذا الدير الحبشي بيت المقدس أهمية من حيث علاقة الحبشة بالحروب الصليبية، لأنه كان الوسيلة لإيصال أنباء الصليبيين تباعاً إلى الأحباش.

---

(١) Budge. Vol. 1. pp, 178-9

ولما وقعت الحروب الصليبية، وسفكت دماء الملايين من البشر بسبب التعصب الديني، وتنبه العالم المسيحي على أثر هذه المجازر البشرية، انقسم المسيحيون في أوربا إلى فريقين: فريق رأى إحياء فكرة الحروب الصليبية وتمهيد السبيل للقيام بحرب صليبية أخرى، وفريق آخر من الدعاة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، لم يرغبوا في اللجوء إلى الحرب ولم يؤثروا اتخاذ سبل العنف والقوة لتنفيذ أغراضهم الصليبية. وقد رجحت كفة الفريق الثاني وساعدته الظروف السياسية والدينية في ذلك الحين. أما في الحبشة فقد تظاهرت الأسباب على مضاعفة شعور التعصب الديني في نفوسهم، في الوقت الذي فكر فيه الأوربيون بالانصراف عن وسائل العنف وإراقة الدماء.

فلم يأت النصف الثاني من القرن الثالث عشر حتى وجدنا الحبشة ملجأ للهاربين من القبط الذين كانوا يعقدون عليها آمالهم في حمايتهم وإيقاف مضطهديهم عند حدهم؛ ووجدنا الحبشة تظهر أمام نفسها وأمام العالم المسيحي بأنها مركز الإمبراطورية المسيحية التي سيلتف حولها المسيحيون وسيتحقق على يدي حاكمها القسيس يوحنا آمالهم وأحلامهم؛ ووجدنا الحبشة تتشبع بفكرة الصليبيين، وتتحين الفرص للاشتراك الفعلي في محاربة المسلمين؛ ولكن بعد الشقة حال بينها وبين تحقيق هذه الأمنية، فظلت هذه

الرغبة مكبوتة في نفوسهم يغتنمون لها الفرص للتعبير عنها في مناسبات كثيرة.

٢

اضطهد يكونو أملاك (١٢٧٠-١٢٨٥م) جيرانه المسلمين من عرب الطراز، وجند كل ما لديه من قوة لمهاجمتهم، ولكنه تحمل خسارة جسيمة في تلك الحروب، وخرب المسلمون جهات كثيرة من بلاده[١].

وكان الظاهر بيبرس قد أرسل رسلًا إلى ملك الحبشة فلم يتمكنوا من مقابلته لأنه كان منشغلًا في بعض الحروب. ولكن بيبرس تضايق من تأخير سفارته. وبلغ الحطى غضب بيبرس لذلك، وكان محتاجًا إلى ترسيم مطران لبلاده، فكان موقف الحطى يتطلب في ذلك الحين شيئًا من مداراة السلطان واسترضائه ليأمر بإرسال المطران إليه. فأرسل إليه كتابًا رقيقًا سنة ٦٧٢هـ (١٢٧٢م) يظهر فيه الخضوع والاستعطاف؛ ولكنه لم يرسل كتابه إلى السلطان مباشرة بل وسط في الأمر صاحب اليمن، وأرسل كتابه إليه ليوصله إلى السلطان. وهو يقول: "إن سلطان الحبشة قد قصد الملوك في إيصال كتابه إلى السلطان" ويقول: "إن أقل المماليك محر أملاك (وهي تحريف من يكونو أملاك) يقبل الأرض، وينهي بين يدي

---

(١) Budge. Vol. 1. p, 285

السلطان الملك الظاهر، خلد الله ملكه، أن رسولًا وصل من جهة قوص بسبب الراهب الذي جاءنا فنحن ما جاءنا مطران (فليأمر) مولانا السلطان ونحن عبيده، فيرسم..للبطرك يعمل لنا مطرانصا يكون رجلًا جيدًا عالمًا لا يحب ذهبًا ولافضة، يسيره إلى مدينة عوان[1] فأقل المماليك (يعني نفسه) يسير إلى نواب الملك المظفر صاحب اليمن ما يلزمه وهو يسيره إلى أبواب السلطان". وهو يعتذر عن تأخير رسل السلطان بقوله: "وما أخرت الرسل إلا الأبواب إلا أني كنت في بيكار (أي في حرب). وعندي في عسكري مائة ألف فارس من المسلمين وإنما النصارى فكثيرلا يعدو كلهم غلمانك وتحت أوامرك، والمطران الكبير يدعو لك، وهذا الخلق كلهم يقولوا آمين، وكل من يصل من المسلمين إلى بلادنا نحفظهم ونسفرهم كما يحبوا. والرسول الذي حضر إلينا من جهة وإلى قوص مريض، وبلادنا وخمة (أي من مرض بها) لا يقدر أحد أن يدخل إليه شيء، ومن يدخل ويشم رائحته يمرض ويموت"[2].

وعلى الرغم مما أظهره يكونو أملاك من آيات الزلفى والاعتذار فقد رد عليه بيبرس ردًا يشعر بأن ملك الحبشة قد خالف التقاليد المتبعة في طلب المطران، ثم قال في رده: (أما ما ذكره (أي ملك الحبشة) من كثرة عساكره وأن من جملتها مائة ألف فارس

---

[1] على ساحل البحر الاحمر مقابل تهامة اليمن (صبح الأعشى حـ ٥ ص ٣٣٦).

[2] المفضل بن أبي الفضائل ص ٢١١ – ٢٢٢ وفيه أخطاء نحوية ولغوية أورجناها كما هي.

مسلمين فالله تعالى يكثر من عساكر المسلمين، وأما وخم بلاده فالآجال مقدرة من الله تعالى[1]). ويقال إن يكونو أملاك قد لجأ في ذلك الحين إلى سوريا فاستحضر لبلاده مطرانًا سوريًا يقال له يوب. ومهما يكن، فمن الواضح من رسالة يكونو أملاك، ورد بيبرس عليها ـن ملك الحبشة كان في ذلك الحين يحاول التقرب إلى السلطان وتملقه، كما نلاحظ أن رسالة الحطى مكتوبة بلغة عربية عقيمة حافلة بالأخطاء، وهي قريبة الشبه بلغة الأقباط في ذلك الحين، حيث بدأت الكنيسة القبطية تتخذ اللغة العربية لغة لكتبها وصلواتها، ولا يبعد أن تكون هذه الرسالة مكتوبة بلغة بعض القبط المقيمين في الحبشة، أو ربما ترجمتها من الحبشية إلى العربية بعض القبط في مصر.

وفي الوقت الذي أرسل يكونو أملاك إلى بيبرس كتابًا بهذه العبارات الرقيقة الخاضعة، نجده يضطهد مسلمي الطراز، ويشب عليهم القتال.

ولما تولى بعده ياجبعاصيون (١٢٨٥-١٢٩٤م) أحب أن يؤكد لسلطان مصر حسن نيته نحوه ونحو المسلمين في مملكته، فأرسل إلى السلطان قلاوون رسالة ذكر فيها أنه سشيتخذ سياسة غير التي اتخذها والده من قبل، وأنه يذود عن حقوق المسلمين في

---

[1] نفسه ص ٢٢١- ٢٢٢.

بلاده. ولم يستطع المطران السوري أن يقوم بأعباء الكنيسة الحبشية على الوجه المطلوب، ونظر إليه الأحباش على أنه أجنبي عنهم وعن كنيستهم، فعاد ياجبعاصيون يطلب مطرانًا من مصر، ويشكو مر الشكوى من المطران السوري، ثم وعد السلطان بإرسال الهدايا والرقيق في أقرب فرصة ممكنة. وقد استجاب قلاوون لطلبه وسمح بترسيم المطران وسفره[1].

٣

تطورت معاملة ملوك الحبشة لسلاطين مصر في القرن الرابع عشر، فأصبحت لغة رسائلهم إلى السلاطين شديدة اللهجة، وتجرؤا على تهديدهم، واشتدت العداوة بين الحبشة والمسلمين وخاصة جيرانهم من مسلمي الطراز. وكان من أثر اضطهاد ملوك الحبشة إياهم والإغارة عليهم، أن تنبه شعور التحمس الديني في نفوس جيرانهم المسلمين، وعدوا محاربة هؤلاء الأحباش المسيحيين جهادًا في سبيل الله. ففي أوائل هذا القرن بدأوا سلسلة حروب دامية قام بها العرب في وجه الأحباش، تلك الحروب التي ظلت حوالي ثلاثة قرون، وأوشكت أن تقضي على الدولة الحبشية.

كان قد انتهى إلى عند صيون (١٣١٤-١٣٤٤م) أن الأقباط يلقون عنتًا من المماليك في مصر، فأرسل إلى السلطان

---

[1] حامد عمار ص ٩٨ نقلا عن كانرمير.

المملوكي في مصر، سنة ٧٢٦هـ (١٣٢٥م) رسلًا مثلوا بين يدي السلطان في قلعة الجبل في يوم الاثنين ١٦ محرم، وكان مضمون رسالتهم من ملكهم أنه بلغه أن كنائس النصارى غلقت وأن النصارى في ذلة وهوان، والتمس من السلطان الإحسان إليهم وفتح كنائسهم، وأنهم إذا لم يعاملوا بالإحسان عامل من ببلاده من المسلمين وما بها من المساجد كما يفعل بالنصاربوكنائسهم في مصر؛ وذكروا عنه أنه قال إن نيل مصر الذي به قوام أمرها وصلاح أحوال ساكنيها مجراه من بلادي وأنا أسده. فضحك السلطان من كلامهم واستثقل عقل رسلهم وعوملوا بغاية الإطراح والإهانة[1].

وفي ذلك الحين، هاجم صبر الدين ملك أوفات بلاد الحبشة وقتل منها وأسر خلقًا كثيرًا، وخرب الكنائس أينما ذهب وأعلن بأنه سيدخل الحطى في الإسلام أو يقتله، وأنه سيجعل زوجة الحطى الملكة جان منجشة، تطحن له حبًا لتصنع له خبزًا. فلما سمع الحطى بذلك سير جيشًا إلى هدية (أو حدية) وحاصر صبر الدين فهرب الأخير، ولكن الحطى أخذه أسيرًا، وولى أخاه جمال الدين مكانه. وأعقب هذه المعركة معارك أخرى في عصر هذا الحطى انتصر فيها ملك الحبشة.

ولكن هذه الحروب قد جعلت مسلمي الطراز يفزعون إلى الأبواب السلطانية بمصر، فسعى الفقيه عبد الله الزيلعي لدى

[1] حامد عمار ص ١١١ نقلا عن النويرى.

السلطان في أن يستكتب البطريق رسالة إلى الحطى يطلب منه أن يكف أذيته عمن في بلاده من المسلمين وعن أخذ حريمهم، وصدرت المراسيم السلطانية للبطريق بكتابة ذلك، فكتب إليه كتابًا بليغًاشافيًا فيه معنى الإنكار لهذه الأفعال وانه حرم هذا على من يفعله بعبارات أجاد فيها[1].

وفي عهد نواي كرستوس سيف أرعد (١٣٤٤-١٣٧٢م) حدث أن طلب سلطان مصر من بطريق الإسكندرية زيادة الضرائب المقررة على المسيحيين، فرفض البطريق فزج به في السجن. فلما سمع بذلك سيف أرعد قبض على جميع التجار المصريين (الكارمية) في مملكته، وبعث بفرسانه لطرد القوافل الآتية من القاهرة إلى خارج الحدود الحبشية. وبذلك أصاب التجار من مصر والحبشة الكساد والبوار، سواء عن طريق البحر أو عن طريق البر. فشكا المصريون سوء الحالة مر الشكوى، ورموا السلطان بالشح. ولم يسع السلطان آخر الأمر إلا أن يطلق سراح البطريق وأن يرجوه في استخدام نفوذه لدى ملك الحبشة لكي يسمح بتسيير القوافل كما كانت[2].

وكانت هذه محاولة إيجابية أخرى قام بها ملوك الحبشة لمناوأة سلاطين مصر. ومن المحاولات التي قام بها أولئك لإرهاب

---

(١) صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٣٣.

(٢) Budge. Vol. 1. p, 299

هؤلاء السلاطين ما حكاه فيت من أن الجيش الحبشي أغار على أسوان في ١٣٨١م (٧٨٣هـ) فتوسط البطريق في إنهاء تلك الأزمة[1]. ولم يعد هؤلاء السلاطين منذ ذلك الحين ينظرون إلى هؤلاء الأحباش نظرة الاحتقار والسخرية، بل بدئوا يقيمون لهم وزنًا ويحسبون لهم حسابًا.

كذلك قام سيف الدين أرعد بنصيب في محاربة ملوك الطراز الإسلامي؛ فقد حارب علي بن صبر الدين وهزمه وقبض عليه، وولى ابنه أحمد حزب أرعد ثم رضي عن علي فأرجعه، وأمر أن يتولى أحمد موضعًا من أعمال جبرت. قثم قام حق الدين حفيد علي بن صبر الدين بقتال سيف أرعد في حروب مستمرة، وما زال يحارب الحطى وعساكره ويأسر منهم إلى أن مات سيف أرعد، وخلفه نواي مريم بن سيف أرعد. وولى قتال حق الدين حتى مات الأخير ٧٧٦هـ (١٣٧٤–٥م). وقام من بعده أخوه سعد الدين أبو البركات محمد بن علي بن صبر الدين، فمضى على سيرة أخيه في جهاد ملوك أمحرة، وفي إحدى الغزوات جرد الحطى عليه أميرًا من أمرائه، فلقيه سعد الدين بنفسه ومعه الفقهاء والفقراء والفلاحون وجميع أهل البلاد، وقد تحالفوا جميعًا على الموت، فكانت بينهما وقعة شنيعة استشهد فيها من المشايخ الصلحاء ٤٠٠ شيخ كل شيخ منهم له عكاز وتحت يده من الفقراء السالكين عدد عظيم؛ فاستمر القتال

---

[1] حامد عمار ص ١١٢ نقلا عن فيت.

في المسلمين حتى هلك أكثرهم وانكسر من بقى[1]. وهرب سعد الـدين وتعقبـه أهـل أمحـرة حتـى أدركـوه، وقتلـوه عـام ٨٠٥هـ (١٤٠٢–٣م). وبعد موته ضعف المسلمون واستولى الحطى وقومه على البلاد.

وفي القرن الخامس عشر توترت العلاقات بين ملوك الحبشة وسـلاطين مـصر؛ واشـتد اضـطهاد الـسلاطين للقـبط وبطارقـة الإسكندرية. ويظهر أن السلاطين قد أحسوا بأن لهؤلاء يدًا فيما ظهر به ملوك الحبشة من سلوك إزاء المسلمين في بلادهم، وما وجهوه من تهديدات متكررة إلى سلاطين مصر. ويتضح ذلك مما ورد من أن الـسلطان كـان قـد اسـتدعى البطريـق فـي عهـد يـسحاق الأول (١٤١٤–١٤٣٩م) ليقـبض عليـه نظيـر مـا لحـق المـسلمين فـي الحبشة من ذلة ومهانة، فوبخه في مجمع من المشايخ والقضاة، ولم يسمح له بالجلوس في حضرته، وهدده بالقتل، وانتدب له محتسب القاهرة صـدر الـدين أحمـد بـن العجمـي (واسـمه المكـروه)[2]. ولمـا وجد السلطان برسباي ما فعله يسحاق هذا في الحبشة من تنكيل بالمسلمين أصـدر منـشورًا باضـطهاد القـبط وإغلاقـه كنيـسة القيامـة والقــبض علــى البطريــق[3]. ويــروى الــسخاوي أن فــي ٨٥٣هـ

---

[1] إلمام ص ٢٦.

[2] حامد عمار ص ١١٢ نقلا عن المقر يزى فى السلوك.

[3] نفس المرجع والصفحة.

(١٤٤٨م) عقد مجلس بين يدي السلطان بالقضاة الأربعة وغيرهم. وكان السلطان غضب على البطريق بحيث ضربه وحبسه في المقشرة، وأخذ منه شيئًا كثيرًا فأمر بكتابة شهادة عليه ألا يكتب إلى ملك الحبشة بنفسه ولا بوكيله لا ظاهرًا ولا باطنًا ولا يولي أحدًا في بلاد الحبشة لا قسيسًا ولا أعلى منه ولا دونه إلا بإذن من السلطان ووقوفه على كتابته، وأنه متى خالف ذلك انتقض عهده وضربت عنقه[1].

وأصبحت الحبشة ملجأ معروفًا للمصريين المضطهدين[2] فقد شجع توتر العلاقة بين الدولتين كثيرين في مصر، من الأقباط وغيرهم، على الفرار إلى الحبشة، وخدمة ملوكها؛ وكثرت الشواهد التاريخية الدالة على هذه الظاهرة في عهد يسحاق هذا، فيذكر لنا المقريزي أن بعض المماليك الجراكسة في مصر قدم على يسحاق وأقام عنده، وعمل له (زرد خاناة) عظيمة تشتمل على آلات السلاح من السيوف والرماح والزرديات ونحو ذلك، كما قدم عليه أيضًا الطنبعا والي قوص هاربًا من مصر، وكان عارفًا بالشئون العسكرية، ملمًا بآلات الحرب والفروسية فحظي عند الحطى وعلم عساكره رمي النشاب واللعب بالرمح والضرب بالسيف، وعمل لهم النفط فعرفوا

---

(١) التبر المسبوك ص ٢١٠.

(٢) وقيل إنه قتل مروان الحمار الأموى (١٣٢هـ) أى فى القرن الثامن الميلادى هرب عبدالله وعبيد الله ابنا مروان إلى أرض الحبشة فلقوا من الحبشة بلاء، وقاتلتهم الحبشة فقتلوا عبدالله وأفلت عبيد الله فى عدة ممن معه (الطبرى حـ ٣ ص ٤٦).

صناعات الحروب. وقدم عليه أيضًا من قبط مصر نصراني يعقوبي يعرف بفخر الدولة فرتب له المملكة وجبى له الأموال، فصار ملكًا له سلطان وديوان، بعد ما كانت مملكته ومملكة آبائه همجًا لا ديوان لها ولا ترتيب ولا قانون؛ فانضبطت عنده الأمور، وتميز زيه عن رعيته بالملابس الفاخرة، بعدما كان داود بن سيف أرعد يخرج عريانًا وقد عصب رأسه بعصابة حمراء، فصار إسحاق يمر في موكب جليل بشارة الملك[1].

فلما تحضرت دولته وقويت شوكته عن له أن يواصل محاربة المسلمين التي بدأها خلفاؤه، فشب حروبًا دامية على ملوك الطراز وصفها المقريزي بقوله: "فأوقع بمن تحت يده من ممالك الحبشة من المسلمين وقائع شنيعة طويلة، قتل فيها وسبى واسترق عالمًا لا يحصيه إلا خالقه سبحانه[2]".

وكان ممن قاتل الحطى من ملوك الطراز جمال الدين محمد بن سعد الدين وكان يستعين في قتاله ملك الحبشة وغيره بقائده حرب جوش، الذي كان يستعين في قتاله ملك الحبشة وغيره بقائده حرب جوش، الذي كان من أمراء الحطى ثم أسلم في أيام سعد الدين، وقدم إليه[3] فصار من أكابر الأمراء لقوته وشجاعته وكثرة

---

[1] الالمام ٥-٧.

[2] نفسه ص ٨.

[3] الالمام ٣٠ .

أتباعه؛ فكان كثيرًا ما يرسله لقتال البربر وبلاد بالي ودوارو. وقد أبلى هذا القائد فوائد جمة، ودخلت بفضله جماعات من عمال الحطى وولاة أعماله في طاعة ملك المسلمين، كما قتل وأسر من أمحرة كثيرًا مما لا يدخل تحت حصر، حتى امتلأت بلاد الهند واليمن وهرمز والحجاز ومصر والشام والروم والعراق وفارس من رقيق الحبشة. وفي إحدى غزواته أسر عددًا عظيمًا من أمحرة، حتى صار يعطي لكل فقير ثلاثة رؤوس من الرقيق، ومن كثرتهم بيع الرأس من الرقيق بربطة ورق وبخاتم واحد[1].

وفي عهد جمال الدين أسلم من أمحرة خلق كثير على يديه وعاصر من ملوك الحبشة النصارى يسحاق السالف ذكره، فابنه أندرياس، فحر بناي بين داويت بن سيف أرعد، فسليمان بن يسحاق بن داويت. وقتل جمال الدين عام ٨٣٥هـ (١٤٣٩م)، وخلفه شهاب الدين أحمد بدلاى وهو أخو جمال الدين، وقد جرى على سنة أخيه في غزو أمحرة، وفتح من بلادهم عدة أعمال، وقتل وسبى وغنم منهم، وكثرت الأموال في أيدي جماعته، وحازوا من الوظائف ما لا يعد، وخرب ست كنائس، وعدة قرى، واسترد إقليم بالي من أيدي النصارى. وفي عام ٨٣٩هـ (١٤٤٣م) حدث وباء عظيم، مات فيه من المسلمين والنصارى عوالم كثيرة جدًا وهلك الحطى[2].

---

[1] الالمام ص ٣٠.

[2] نفسه ص ٣٦.

وكانت لدى يسحاق ملك الحبشة فكرة القيام بحرب صليبيةعلى دولة المماليك. فكتب إلى ملوك الإفرنج (١٤٢٨م) يحثهم على ملاقاته لإزالة دولة الإسلام، وواعدهم على ذلك، واخذ في تمهيد ما بينه وبين البلاد الإسلامية واستجلاب العربان إليه[1]. وقد لبى ملوك أرغونة والبرتغال وفرنسا دعوة يسحاق ولكن المشروع لم ينفذ، وتوفي يسحاق على أثر ذلك سنة ١٤٢٩م.

والظاهر أن زرء يعقوب (١٤٣٤-١٤٦٨م) أراد أن يسلك مع سلطان مصر طريقًا غير العنف والتهديد فيما يتعلق بمسألة اضطهاد القبط في مصر؛ فأرسل إلى السلطان جمقمق رسالة باللغة العربية،[2] ومع حاملها هدايا من الرقيق والجواري وطست وإبريق من ذهب وسيف منقط بذهب إلخ.. وفيها يقول: (إنه قد اتصل إلينا جميل أخباركم، وأنكم – حفظكم الله تعالى – أمرتم بإبطال المظالم من سائر المعالم، وردعتم القوم الظالمين، ورفعتم أسباب المضرات من الرعايا بكل البلاد والأقاليم.. ولما بلغ إلينا ما أنتم عليه من الخير استنشقنا منه عرفًا طيبًا.. وقصدنا تجديد ما سبق من العهود من الملوك المتقدمين من بلادنا وبلادكم اتباعًا لآثارهم المشكورة، وقصدنا إعلامكم ذلك بشارقلكم، ليكون ذلك مستمرًا بلا انحراف، والاتفاق بيننا وبينكم بلا خلاف، وآخر ذلك ماكان في أيام الشهيد

---

[1] الالمام ص ٨.

[2] نشرها السخاوى فى التبر المسبوك كاملة ص ٦٧ – ٧٢ ، ونورد منها هنا مقتطفات.

الظاهر برقوق ونجله الناصر، سقى الله عهدهما صيب الرحمة.. وأنهم كانوا قائمين بالعدل خصوصًا بإخواننا النصارى متوصين). وقد عدد زرء يعقوب في هذه الرسالة المسائل التي يشكو منها الأقباط من تصرفات وجهت ضدهم أو ظلم وقع عليهم، وهو في الرسالة يتحدث عن لسانهم ويحامي عن حقوقهم، فيقول مثلًا: (ثم بلغنا أيضًا أن ثم من يتعرض إليهم في كنائسهم في أوقات صلاتهم وفي أيام أعيادهم، بقطع مصانعاتهم، وأخذ ما لا يستحقون أخذه، وأنهم في غاية الضيق من ذلك، وأنتم- حفظكم الله- ليس يخفى عليكم ما في بلادنا الواسعة من المسلمين تحت حكمنا، ونحن لهم ولملوكهم مالكون، ولم نزل نحسن إليهم كل وقت وحين؛ كما طلب أن يصدر السلطان أمره للحبوش بعمارة قبر مريم عليها السلام. ونحن مقيمون على العهد القديم من أيام أجدادنا وآبائنا من إقتامة جوامعكم ومساجدكم وآذانهم، وأنتم أيضًا تأمرون بالنداء ألا يقول أحد للنصراني يا كلب، فإن الله مقسم الأديان ويعاقب كل أحدٍ على قدر ذنبه، وأما نحن فنقول للشريف يا شريف وللقاضي يا قاضي وللشيخ يا شيخ).

وفي الوقت الذي قال فيه زرء يعقوب هذا الكلام نراه يضطهد مسلمي الطراز ويشب عليهم حربًا دامية، يقتل فيها ويأسر منهم خلقًا لا يحصى. وكان ملك المسلمين في عصره شهاب الدين بن سعد الدين، قتله يعقوب. وقد رد السلطان جمقمق على زرء

يعقوب برفض الإصاخة لما أسدى إليه من نصح، وما وجه إليه من مطالب، وأرجع سبب رفضه إلى أن (نصارى الديار المصرية قد كثر تعديهم واستطالتهم بالمبالغة في البناء، ولإحداث الكنائس ونحو ذلك). وقد حدث أن زرء يعقوب أخر قاصد السلطان الذي ذهب برده إليه. ولما قتل هذا الحطى شهاب الدين، أرسل القاصد إلى المقتول لمشاهدته، حتى يكون ذلك أنكى للمسلمين، فما استطاع القاصد مخالفته، وسار إلى المكان الذي هو فيه أيامًا حتى رآه ثم رجع).

واستأنف خلفاء زرء يعقوب قتال مسلمي الطراز من بعده، فحاربهم بئيد ماريام (١٤٦٨-١٤٧٨م) وإسكندر (١٤٧٨-١٤٩٤م) وغيرهما، كما أخضع بئيد ماريام إلى جانب مسلمي الطراز قبيلة حبشية مسلمة كانت تحتل _ولا تزال إلى اليوم_ المنطقة التي تقع بين البحر الأحمر والسهل الحبشي، ويقال لها قبيلة عفر أو الدناكل، وقيل إنها عربية الأصل إلا أنها تتكلم لغة كوشية.

الباب الثالث

انتشار الإسلام في الحبشة

١

يمتاز القرن السادس عشر بتلك الحماسة البالغة التي دفعت مسلمي الطراز إلى الزحف إلى الداخل، بعد أن كان مسرح الحروب السابقة لا يتجاوز المناطق الواقعة على حدود الحبشة.

كما يمتاز بانتشار حركة الدخول في الإسلام بين الأحباش، الامر الذي أهم ملوك أمحرة وجعلهم ينظرون جادين في وضع حد لهذه الحركة والقضاء عليها بشتى الوسائل.

ولا شك أن الإسلام كان يشق طريقه إلى داخل البلاد بالتدريج. وقد رأينا فيما سبق أن يكونو أملاك (١٢٧٠-١٢٨٥م) يذكر في رسالته إلى الظاهر بيبرس أن عنده في عسكره مائة ألف فارس من المسلمين. وبعد ذلك بقيل (حوالي ١٣٠٠م) شق أحد الدعاة إلى الإسلام طريقه إلى بلاد الحبشة ليدعو أهلها إلى هذا

الدين، فتمكن من هداية مائتي شخص في السنة التالية من دعوته، فهاجم بهم ملك أمحرة واشتبك معه في معارك كثيرة[1].

ولم يكن المسلمون على الحدود الحبشية الشرقية فحسب بل كان منهم قبائل تسكن على الحدود الغربية كذلك. ويقال إن الملك بئيد ماريام (١٤٦٨-١٤٧٨م) قد قضى معظم فترة حكمه في محاربة المسلمين على الحدود الغربية من مملكته[2].

وكان من العرب جماعات خاضعة لملوك الحبشة لا يناصبونهم العداء، هؤلاء هم الذين يروى انهم كانوا في النصف الأول يسكنون في مصوع ويعيشون في كنف الأحباش، يطوفون جماعات كل جماعة تتألف من ثلاثين أو أربعين شخصًا، ومعهم أطفالهم ونساؤهم، وعلى رأس كل جماعة قائدها المسيحي، ويروى أيضًا أن بعض المسلمين كانوا في خدمة الملك وكان يعهد إليهم مراكز خطيرة، وكان من هؤلاء العرب من يظل على دينه، ومنهم من كان يترك إسلامه ويدين بالمسيحية[3]. أضف إلى هؤلاء جماعات العرب الذين كانوا يفدون على بلاد الحبشة تجارًا أو دعاة إلى الإسلام -كما سنرى بعد- فهؤلاء كانوا يتقربون إلى زعماء الأحباش ويؤسسون معهم علاقات طيبة.

(١) Arnold.p.113-4.
(٢) ld.p,114
(٣) ld.p,115

وكان طبيعيًا أن تحدث هذه العلاقات آثارًا اجتماعية بعيدةالمدى. ولعل أقرب مثل وأبسطه ما كان يحدث من مصاهرة بين الأحباش والعرب. ومن ذلك ما فعله بئيد ماريام من زواجه بامرأة عربية، كان لها أثر كبير في إدارة الشئون السياسية والدينية في الحبشة فترة طويلة. كانت عربية مسيحية؟، ولكنها كانت تحن إلى عنصرها. وتتمنى أن تتحسن العلاقات بين الحبشة وملوك عجل. ولكنها قد اضطرت بحكم الظروف القائمة في ذلك الحين أن تناصب الإسلام والمسلمين العداء.

هذه المرأة العربية يقال لها زومنا (أي رمانة) وتسمى إلينى أيضًا (أي هيلينا)، كان أبيوها محمد حاكمًا على إقليم دوارو، وكانت كل أمنيتها أن نتوجد تفاهمًا بين ملوك عدل والأحباش. وتوقعت أن هؤلاء المسلمين سيغزون البلاد، وسيخربون فيها ما استطاعوا، وسينتقمون شر انتقام. وفي أوائل القرن السادس عشر ساعدت هي والمطران مرقس لبنادنجل على تولي العرش (١٥٠٨–١٥٤٠م) وكان صغير السن، فقامت هي بإدارة شئون البلاد وأخذت ترشد الملك وتوجهه. ولكن الجهود السلمية التي قامت بها الملكة إلينى قد أخفقت فجرد لبنادنجل حملة على محمد ملك عدل فهزمه، وغزا عدل وأحرق المدن وخرب القلاع. وقد حصر المسلمون في مكان ضيق من الوادي بين فطيجار وعدل وقتل منهم ما يقرب من ١٢٠٠٠ مسلم. واعتصم الباقون بالجبال.

حيث هلكوا من الجوع والعطش. وانتزع الأحباش الراية الخضراء، شعار ملك عدل، كما غنموا أشياء كثيرة. وفي أثناء هذه الموقعة (١٥١٦م)، كان البرتغاليون قد جردوا حملة على زيلع واستولوا عليها وأحرقوا المدينة. وفي نفس هذه السنة هزم قنصوة الغوري، آخر سلاطين المماليك في مصر، في وقعة مرج دابق أمام جيش سليم الأول السلطان التركي. وأرسل هذا السلطان قائده سنان باشا في حملة إلى بلاد العرب، وأخضع حكامها وزعمائها، وعين حكامًا من الأتراك في كل المدن؛ واحتل الأتراك كل موانئ البحر الأحمر الواقعة في بر العرب، كما استولوا على سواكن الواقعة على الساحل الإفريقي. وكان احتلال الأتراك لهذه البقاع باعثًا على قلق الأحباش والعدليين جميعًا. فبادر العدليون إلى توثيق الصلات بينهم وبين الأترك، وكان أمر هؤلاء العدليين أيسر من أمر جيرانهم الأحباش في هذه السبيل، فالعدليون إخوان الأترك في الدين، ومن الممكن أن يتفاهموا. ووجد الأتراك، من ناحية أخرى، أنهم سينتفعون من وراء هذا التفاهم بخبرة العدليين في التجارة وأساليبها في هذه البلاد. وكان الأتراك، قبل أن تتحسن العلاقات بينهم وبين العدليين قد استولوا على جزيرة زيلع حيث أسسوا أسطولًا يهاجمون به السفن التجارية المناوئة. وهذا ما حفز العدليين إلى إلقاء السلم إلى هؤلاء الغرباء. أما الأحباش فكان أمرهم أصعب، فهم مسيحيون يناصبون المسلمين العداء، وهم من ناحية أخرى، قوم لم يكونوا من الرقي

الحربي والعسكري بحيث يستطيعون أن يصمدوا أمام الجيش التركي المنظم. فلم يكن الأحباش قد عرفوا من الأسلحة حتى ذلك الحين إلا القوس والسهم والرماح والنبال والتروس والدروع، على حين كان الترك مزودين بالمدافع والبنادق والنفط والوسائل الحربية الحديثة التي كان الأحباش يجهلونها جهلًا تامًا. لهذا رأت الملكة إلينى (رومنا) أن تبحث عن حلفاء من الأوربيين يقفون إلى جانبها في وجه العدو المتحضر، فأرسلت إلى قنصوة الغوري سنة ١٥١٦ (قبل محاربة سليم الأول)،ن ولكنه سرعان ما قتل واجتاح الترك بلاده. فتطلعت إلى البرتغاليين، ولاسيما بعد أن سمعت عن انتصاراتهم في المحيط الهندي، وأنهم قضوا على تجارة مصر مع الهند. فأرسلت الملكة إلينى إلى الملك عمانويل ملك البرتغال في ذلك الحين رسالة تقول فيها: (بسم الله.. السلام على عمانويل سيد البحر وقاهر المسلمين القساة الكفرة.. تحياتي إليكم ودعواتي لكم.. لقد وصل إلى مسامعنا أن سلطان مصر قد جهز جيشًا ضخمًا ليضرب قواتكم، وليثأر من الهزائم التي ألحقها به قوادكم في الهند، ونحن على استعداد لمقاومة هجمات الكفرة بإرسال أكبر عدد من جنودنا في البحر الأحمر أو إلى مكة أو جزيرة باب المندب. وإذا أردتم فإنا نسيرها إلى جدة أو الطور، وذلك لنقضي قضاءً تامًا على جرثومة الكفار.. ولعله قد آن الوقت لتحقيق النبوءة القائلة بظهور ملك مسيحي يستطيع في وقت قصير أن يبيد الأمم الإسلامية المتبربرة..

ولما كانت ممتلكاتنا موغلة في الداخل وبعيدة عن البحر الذي ليس لنا فيه قوة أو سلطان فإن الاتفاق معكم ضروري، إذ أنكم أهل بأس شديد في الحروب البحرية[1]..

وفي سنة ١٥٢١ زحف المسلمون على هرر بقيادة أبي بكر بن محمد سلطان عدل واستولوا عليها.

وفي سنة ١٥٢٥ توفيت الإمبراطورة هيلينا التي كانت تشد أزر لبنادنجل، والتي كانت قد حكمت الحبشة أعوامًا كثيرة. وأصبح لبنادنجل وحيدًا أمام قوة المسلمين التي بدأت تظهر وتعظم على صورة أثارت في نفسه الرعب والفزع. فقد أدرك الأتراك خطر تحالف البرتغاليين مع الأحباش ووجدوا أن البرتغاليين يلقون في بلاد الحبشة نجاحًا سريعًا، فلجئوا إلى الاتفاق مع العدليين وأمدوهم بالأسلحة النارية، ووجد الأتراك الفرصة سانحة لقيام أحمد جرانى ملك عدل يساعده الباشا التركي حاكم زبيد، الذي أرسل الأسلحة والمدافع إليه، ويؤازره شريف مكة الذي بعث إليه جنوداً من العرب. وزحف أحمد جراني على قلب بلاد الحبشة، فتحرك إلى (وهي شبه) وغزا الجلا وسائر الشعوب التي تجاور مدينة هرر، ثم وصل إلى هرر، ثم زحف إلى شوا وسار شمالاً إلى غندار فأكسوم. ولبنادنجل

---

[1] حامد عمار ص ١٠٩.

في هذه الأثناء ينتقل هارباً من مدينة إلى أخرى، وجراني يطارده ويقتل من الأحباش خلقاً كثيراً، ويحرق الكنائس ويخرب الآثار المسيحية . وقد لبثت غزوة جراني هذه من ١٥٣٨ إلى ١٥٤٣م وكان لها أثر كبير في نشر الإسلام في البلاد.

يروي أحمد جراني عن نفسه أنه كان ابن أحد قساوسة أيجو، وكان قد ترك موطنه، واعتنق الإسلام في عدل. ولما قام بهذه الغزوة انضم إلى جيشه الظافر كثير من زعماء الأحباش مع أتباعهم، ودخلوا في الإسلام، كما آثر سكان بعض الأقاليم التي فتحها جراني دفع الجزية والبقاء على دينهم. وقد استغل زعماء المسيحيين الذين انتقلوا إلى الإسلام على يد أحمد جراني نفوذهم الشخصي في تحريض جيوشهم على الدخول في الإسلام، وكان من الميسور إدخال كثير منهم في الإسلام لما كانوا عليه من جهل تام بعقائد المسيحية. وقد اغتنم كثير من المسلمين، الذين كانوا قد أقاموا في الحبشة قبل هذه الغزة، فرصة انتصار هذا الملك المسلم وساعدوا بإخلاص في نشر الدعوة الإسلامية بين الأحباش. بل كان منهم من تظاهر بالنصرانية حرصاً على مال أو جاه أو سلطان، فما كادوا يرون غزوة جراني وانتصاراته، حتى بادروا إلى نبذ ولائهم للمسيحيين ولذلك المسيحي، وجاهر وامرأة أخرى بأنهم مسلمون[1].

---

(1) Arnold,p.115-6

وقد كتب أحد هؤلاء إلى أحمد جراني خطاباً هذا نصه؛ أنا من أول من مسلم وابن مسلم وأسروني المشركون ونصروني، وإن قلبي مطمئن بالإيمان، والآن أنا جار الله وجار رسوله وجارك أن تقبل توبتي، ولا تؤاخذني بما عملت، فأنا تائب إلى الله، وهذه جيوش الملك الذين هم معي أنا أحتال عليهم حتى يدخلوا عندك ويسلموا. وقد حدث فعلاً أن معظم جيشه قد آثروا أن يقتدوا بقائدهم، فأسلموا جميعهم، وهم فيما يقال نحو عشرين ألفاً مع نسائهم وأطفالهم[1].

ولم ينقض حكم لبنا دنجل سنة ١٥٤٠ حتى كان العرب قد جعلوا من أنفسهم سادة على الحبشة كلها[2].

وبعد وفاته تولى ابنه جلاوديوس(١٥٤٠-١٥٥٩م)، واستطاع بمعونة البرتغاليين أن يتخلص من حكم العرب الذين كانوا قد أحالوا البلاد صحراء مقفرة، وقتل أحمد جراني على يد أحد الجنود البرتغاليين سنة١٥٥٩م .

وقبل ذلك التوقيت بعامين، احتل الترك مصوع واستولوا على المدن المجاورة، حتى وصلوا إلى المدينة دياروة عاصمة الإمارة البحرية التي ساعد حاكمها الأتراك في احتلالهم مصوع .

---

[1] عرب فقيه ص ١٨١ – ١٨٢، ١٨٦.

[2] كتب المؤرخ العربي أحمد بن عبد القادر شهاب الدين المعروف بعرب فقيه تاريخ عزوة جرانى فى القرن السادس عشر، وهو المؤلف الوحيد بالغة العربية الذى ذكر لنا أماكن كثيرة فى الحبشة. وقد نشرة رينيه باسيه مع ترجمة فرنسية فى باريس ١٨٩٧ – ١٩٠١.

وفي ذلك الحين، كانت حالة الدولة تزداد سوءاً على سوء، فالأتراك يوسعون سلطانهم، ويحتلون المدن الساحلية في الشرق، وقبائل الجلا الذين يعيشون في الجنوب يقتلون ويخربون، والفالشة يعلنون لواء العصيان والثورة. وعلى هذه الحال تولى عرش البلاد الملك سر صادنجل الذي سماه القضاة(ملك سجد) لكي يقهر كل الملوك الذين سيحاربونه(حكم من ١٥٦٣_١٥٩٧م)، وبدأ سر صادنجل صراعاً قوياً مع تلك القوى المختلفة التي تهدده من كل حدب وصوب. فثار عليه حاكم دباروة، تلك الإمارة البحرية التي قدمت يد المساعدة للترك ومهدت لهم على الساحل. وتحالف حاكماً مع الأتراك. وقامت بينهم وبين سر صادنجلحرب انتهت بهزيمة الحلفاء في وقعة عظيمة قرب أبا جريمة في سنة ١٥٧٨م. وفي سنة ١٥٨٩ تغلب سر صادنجل على الباشا التركي كداورد، قرب آركيكو، ومات الباشا التركي في المعركة. وكان للبرتغاليين فضل كبير في إمداد سر صادنجل بالمساعدة. ووجه الملك همه إلى محاربة ملوك عدل، فانتصر على محمد الرابع ملك عدل في سنة١٥٧٧م. وبهذه الإنتصارات المتوالية على المسلمين من الأتراك ومن أهل عدل، لم يعد المسلمون. من الوجهة السياسية، خطراً كبيراً على البلاد كما كانوا من قبل.

وتغلب الملك سوسنيوس(١٦٠٧-١٦٣٢) على مملكة سنار الإسلامية. وفي ١٦٧٤ حرض الثائرون طلحة، أمير عدل على امتلاك ناصية الحبشة، ولكنه أفهمهم أن هذا الأمر محال.

وطالما شغبت قبائل البجة(أو البلو) الذين كانوا قد أسسوا ولاية إسلامية حول سنة ١٦٥٠ في سمهر بزعامة نائب آركيكو على سكان الحدود، ولكنهم أحسوا أنهم من الضعف بحيث لا يستطيعون أن يصمدوا أمام ملوك الحبشة. وكذلك ذهب النائب موسى سنة ١٦٩٣(وهو من سلالة أمر قنو) إلى أكسوم ليستميح الملك العفو لما اقترفت يداه. وبعد ذلك بزمن قصير انهزم أحد أمراء البجة في ١٦٩٧، وكان لرأس ميكائيل فضل كبيرفي وقف مطامع النائب عند حدها.

٢

ولم يكن ضياع سلطة المسلمين السياسية من الحبشة معناه ضياع النفوذ الوحي للعقيدة الإسلامية في هذه البلاد. فمن المحقق أن الإسلام كان يشق طريقه في الحبشة. ولاسيما بعد غزوة أحمد جرانى، في نجاح محسوس، وربما كان هذا راجعًا إلى اتصال المسلمين بالمسيحيين من الأحباش اتصالًا مختلف المظاهر. فقد توغل جيش أحمد جرانى في الحبشة، وكان له من التأثير ما رأينا

وتردد التجار المسلمون على هذه البلاد، وظفروا بكثير من الداخلين في الإسلام. أضف إلى ذلك هؤلاء الدعاة من العرب الذين كانوا يترددون بين حين وحين على إفريقية الشمالية الشرقية بخاصة، وهم يملئون بحق صورة من نشاط الدعوة الإسلامية. وقد قيل إن عدة مئات من الدعاة المسلمين كانوا يأتون كل عام من بلاد العرب ويلاقون نجاحًا في أعمالهم بين أهالي الصومال إذ هم أقرب إلى بلاد العرب التي جاء منها هؤلاء الدعاة من أية بقعة أخرى من بقاع الحبشة، وفي القرن الخامس عشر وفدت شرذمة تتألف من أربعة وأربعين عربيًا من حضرموت على أرض الحبشة دعاة إلى الإسلام ورسوا في ميناء بربرة على البحر الأحمر، ومن هناك تفرقوا في بلاد الصومال للدعوة إلى الإسلام. وقد قيل إن أحدهم ويدعي الشيخ إبراهيم أبو زرباي شق طريقه إلى مدينة هرر حول ١٤٣٠م، وظفر من بين أهالي هرر بعدد كبير من الداخلين في الإسلام، ولا يزال قبره مثابة تشريف وتكريم في تلك المدينة؛ ولا يزال يطلق على تل قريب من بربرة جبل القديسين تذكاراً هؤلاء الدعاة الذين قيل إنهم اجتمعوا في هذا المكان اجتماعاً سرياً قبل أن يتفرقوا إلى مختلف البلاد للدعوة إلى الإسلام[1].

وفي عصر الملك فاسيلداس، وهو السلطان سجد الثاني ملك أمحرة(١٦٣٢-١٦٦٧)، سرت إشاعة من جانب اليسوعيين

---
(1) Arnold,p.350

تقول إن الملك فاسيلداس قد اعتنق الإسلام. وإنه أرسل إلى اليمن يطلب معلمين يرشدونه ويفقهونه في الأسلام[1].والظاهر أنه كان لهذه الإشاعة نصيب من الصحة، ففي سنة ١٠٥٢هـ(١٦٤٨م) أرسل هذا الملك كتاباً إلى إمام اليمن المؤيد بالله يطلب منه أن يرسل إليه بعثة لدعوته إلى الإسلام، فلم يرسل إمام اليمن أحداً، فعاوده بكتاب آخر سنة ١٠٥٧، فأرسل إليه الخيمي في نفر من أصحابه كما أشرنا من قبل. وتقرر حمل هذه البعثة في المراكب المعدة مع جماعة من العسكر المحافظين في بندر المخا، وذلك خوفاً من تعرض الأتراك لهم[2]، وأخذوا طريقهم إلى بلاد الحبشة، وكانوا يخشون قبائل الجلا (ويسميها الخيمي القالة ويصفهم بالبأس والفظاعة[3]).

ووصلت البعثة إلى إندرتا، وكان يحكمها أمير يقال له بعل جادة (أي صاحب الحظ). وكان في استقبال البعثة بعض فقهاء هذه المدينة وكان في استقبال البعثة بعض فقهاء هذه المدينة ويسمون آل كبيري صالح، وهو اسم تعظيم يسمون به الرجل المعتقد، وبعضهم يعرف اللسان العربي، كما جاءهم كذلك (كبيري خير الدين) وله معرفة جيدة بمذهب الإمام الشافعي[4].

---

(1) Budge,vol,ii p.401.

(2) الخيمي ص ١-٤.

(3) نفسه ص ١٧.

(4) الخيمي ص ٢٣.

ثم اجتازت البعثة بلاد السحرت، واتصلت ببلاد الفاشة (أي اليهود ويسميهم الخيمي الفلاسة)، ومنها إلى أمحرة حيث قابلوا الملك. وكان يترجم لهم بين يدي الملك رجل من أخصائه شريف ينسب إلى الحسين بن علي، ولكنه اعتنق النصرانية، وعاش مع الملك ونزل الضيوف في مكان من أمحرة كان يسكنه مسلمو هذه المدينة[١]. وبدأ القلق يدب في نفوس اليمني وأصحابه، ولاسيما بعد أن وجدوا من الملك مماطلة وتسويفًا، ورأت البعثة أن بقاءهم في هذه البلاد قد يعرضهم للخطر، فرجعت سنة ١٠٥٩ إلى اليمن ومن أهم العوامل التي ساعدت على نشر الإسلام هناك تلك الجهود التي قام بها التجار المسلمون الذين كانوا كثيري التردد على بلاد الحبشة.

تمكنت طائفة من التجار المسلمين من الانتشار في شتى البقاع للبيع والشراء، تركزت في قوص المدينة المصرية التي كانت سوقًا تجارية هامة ترد إليها منتجات إفريقية الوسطى والمغرب واليمن والهند والحبشة وغيرها. والظاهر أن النواة الأولى التي تكونت منها هذه الطائفة كانت من التكارير (أهالي تكرور وهم مسلمو السودان)، وأطلق عليهم الكارمية[٢] منذ العصر الأيوبي. ثم اتسعت هذه

---

[١] نفسه ص ٢٣ – ٣٣ ،٣٤– ٤٤.

[٢] ربما كان هذا اللفظ نسبة إلى مملكة الكانم من دول السودان الغربوأهل هذه المماكة ينتسون إلى أصل عربي من ذرية الحسن بن على (دائرة المعارف الاسلامية kanem)

التسمية فأطلقت على عامة التجار الذين اشتغلوا بتجارة التوابل. وأصبح لهم بمرور الزمن نفوذ كبير وثروة عظيمة، وانضم إليهم تجار من مختلف البلاد. وقد مارس هؤلاء التجار تجارة العاج والتوابل والأقمشة وغيرها، كما كانوا يجلبون الرقيق الأسود إلى مصر. والظاهر أن هؤلاء التجار كانوا على جانب كبير من التدين، كما كانوا يودون أن يأنسوا إلى علماء من ملتهم، يركنون إليهم، ويشرفون لهم على أعمال البيع والشراء في بلادهم. لهذا عملوا على نشر الإسلام بين من اتصلوا بهم. وكان من هؤلاء التجار علماء وفقهاء وقيل إنهم بنوا بمصر مدرسة للمالكية عرفت بمدرسة ابن رشيق[١].

وقد وصل الكارمية بمتاجرهم إلى بلاد الحبشة، ووجدوا ترحيبًا كبيرًا من زعماء الحبشة، ولاسيما بين الأمراء والحكام، نظرًا لما أوجدوه لهم من أسواق لبيع حاصلاتهم التجارية، وما كانوا يقدمونه من خدمات في تصدير المواد الصناعية الأجنبية إلى بلاد الحبشة. أضف إلى ذلك أن السبي وقطع الطريق وغارات القبائل المختلفة كانت تجلب كثيرًا من الرقيق الذين كانت تجارتهم تدر ثروة كبيرة على الأحباش. ولما وجد الأحباش أنفسهم عاجزين عن تصدير هؤلاء الرقيق إلى الخارج ووجدوا في هؤلاء التجار خير عون لهم على تصديرهم إلى مختلف البلاد، رحبوا بهم وأفسحوا لهم

---

[١] حامد عمار ص ٥٩،٥٨.

صدورهم. فكان التجار يتخذون من علاقتهم الطيبة بالأحباش وزعمائهم سلمًا لبث الدعوة الإسلامية[1].

وكان هؤلاء التجار يمكثون في هذه البلاد فترات طويلة، فكانت لديهم فرص كثيرة عرفوا جيدًا كيف يستغلونها في سبيل العمل على نشر الإسلام. وقد أسلم على أيديهم كثير من قبائل الجلا[2] التي تتصف بالوحشية وشراسة الطباع. ومن المحتمل أنهم كانوا أصحاب الفضل الأكبر في دعوة أهالي الصومال إلى الإسلام.

ولما لم تكن في البلاد حكومة مركزية قوية، ساعد ذلك على قيام أمراء صغار مستقلين، وكان لكثير منهم ميول إسلامية، على الرغم من أن قوانين البلاد كانت لا تبيح أن يتولى أمر الولايات الحبشية إلا أمراء يدينون بالمسيحية. والظاهر أن هؤلاء كانوا يكتمون إسلامهم خوفًا من السلطان المسيحي وحرصًا على مراكزهم. وقد استخدموا في الواقع نفوذهم في نشر الإسلام وتشجيع المسلمين[3].

ولا شك أن اشتغال المسيحيين بالخلافات المذهبية قد ترك الفرصة للإسلام أن يشق طريقه آمنًا في هذه البلاد. فإن ما قام به اليسوعيون من أعمال تبشيرية في البلاد، وما فعله المبشرون من

---

(١) Cederquist, Moslem World, Vol.ii,p.153.

(٢) Arnold, p. 348-9.

(٣) Id.p.117.

الزومان الكاثوليك، وما صنعه البرتغاليون من تدخل فعال في كل الشئون المدنية والسياسية –كل ذلك قد أثار معارضة عنيفة بين جمهور المسيحيين من الأحباش[1].

ثم إن الطبقات الفقيرة من الأحباش المسيحيين لم يلقوا أية عناية من رؤسائهم، بل كانوا يحتقرونهم ويبهظونهم بالضرائب ويحدون من حريتهم الدينية. وسلط عليهم القساوسة والرهبان يضايقونهم، ويملون عليهم إرادتهم، ويفرضون عليهم ما يعملون حتى في طعامهم وشرابهم، وينذرونهم، إن لم يفعلوا ما يأمرونهم به أشد العقاب[2].

هذا إلى جانب تفوق المسلمين في الحبشة، فقد كانوا على اختلاف قبائلهم ينعمون بحرية دينية كاملة، وكان لهم أن ينشروا الدين ويعلموا من يريدون، وكانوا يبذلون عناية خاصة بتعليم أبنائهم وتلامذتهم أصول الدين وتعاليمه[3]. وينقل توماس أرنولد عن ريبل أنه كثيرًا ما لاحظ أثناء رحلاته إلى بلاد الحبشة، أنه عندما كان يراد ملء منصب من المناصب التي تطلب أن يكون الشخص الذي يشغلها أمينًا كل الأمانة موثوقًا به تمام الثقة، كان اختيارهم يقع دائمًا على شخص مسلم. وقد عقد ريبل مقارنة بينهم وبين المسيحيين،

---

(1) ld.p.116.

(2) Cederquist.p. 154.

(3) ld.passim.

فقال إنهم (أي المسلمين) كانوا أعلى همة وأكثر نشاطًا، فقد التزم كل مسلم تعليم أبنائه القراءة والكتابة في الوقت الذي نرى فيه أبناء المسيحيين.

لا يتعلمون إلا عندما يزمعون القيام بأعمال الكهنوت[١]. أضف إلى ذلك أن المسلمين في الحبشة، منذ القدم ، هم سادة التجارة الحبشية،ذلك أنه كان من اللازم، لكي تدخل التجارة إلى بلاد الحبشة أن تمر بحدود المسلمين الذين كانوا يحتلون أكثر حدود الحبشة، كما أن التجارة زادت في عددهم، وشجعت غيرهم على الاقتداء بهم، ودرت عليهم ثروة كبيرة ونفوذًا عظيمًا. فملكوا الخدم والعبيد، ولبسوا أردية زاهية تلفت الأنظار.

وهذا كله جعل المسيحيين من الأحباش يعتقدون أن المسلمين أسمى قدرًا وأعظم منزلة من السواد الأعظم من بني وطنهم[٢].

وهكذا انتشر الإسلام وانبث المسلمون في بقاع كثيرة، وربما استطاع المرء أن يقدر مدى التقدم الذي أحرزه الإسلام في غضون هذه الفترة مما أثبته رحالة عاش في القرن السابع عشر الميلادي، إذ يخبرنا أن المشايعين لهذا الدين كانوا منبثين في كافة أنحاء بلاد الحبشة، وأنهم يؤلفون ثلث جميع السكان[٣].

---

[١] Arnold, p. 117.
[٢] Cederquist, p.154.
[٣] Arnold, p. 117.

وفي هذا القرن نفسه ضاق الأحباش ذرعًا بتلك المذاهبالمسيحية المختلفة التي تريد أن تقضي على الكنيسة اليعقوبية التي يعدها الأحباش كنيستهم القومية، يحرصون على بقائها حرصًا على ديانتهم ذاتها. فدب البغض في نفوس الأحباش من هؤلاء الأجانب، ولاسيما البرتغاليين الذين تدخلوا في شئونهم، وآزروا مذهبًا دينيًا (أي المذهب الكاثوليكي) دخيلًا عليهم، حتى إن بعض القواد قد أعلن صراحة أنه من الخير للأحباش أن يخضعوا للحكام المسلمين من أن يستمروا في محالفة البرتغاليين[١].

وحول سنة ١٦٣٢ طرد الأحباش البرتغاليين وأخرجوا كل المسيحيين من البلاد، وتنبه ملوك أمحرة إلى خطورة انتشار الإسلام بين أهالي الحبشة، فعقد الملك يوحنس الأول (١٦٦٧-١٦٨٢م) مجمعًا في السنة الثانية من حكمه، وقضى بمنع المسلمين أن يعيشوا إلى جانب المسيحيين، وأمرهم بأن يسكنوا في أماكن نائية عن المسيحيين[٢]. ثم تجدد هذا المنع في سنة ١٦٧٨، وهذا يدلنا على أنه كان هنالك عدد لا يستهان به من المسلمين في ذلك الحين.

٣

كانت مناوأة الحبشة للمسلمين، قبل عهد يوحنس الأول، مقصورة على المسلمين المجاورين لبلاد الحبشة الذين يعدون غرباء

---

[١] Arnold,p. 116.
[٢] Budge, vol.ii.p.407.

عن الحبشة وعن جنسهم، على حين كان المسلمون المقيمون في داخل البلاد، على قلتهم في ذلك الحين، آمنين لا يتعرض لهم أحد بسوء في أغلب الأحيان. ولكن يوحنس الأول سن هذه البدعة، فقضى بإقصاء مساكن المسلمين عن المسيحيين كما رأينا، وتبعه في هذه السبيل ملوك آخرون. على أن الاضطهادات كانت ترجع غالبًا إلى ما أحدثته ممالأة بعض زعماء الحبشة المسيحيين لرعاياهم المسلمين من رد فعل، وإلى تلك الحرب التي نشبت بين المصريين والحبشة في القرن التاسع عشر، ثم إلى انتشار الإسلام في الحبشة الذي أصبح ملوك الحبشة ينظرون إليه على أنه خطر يهدد المسيحيين والدولة المسيحية في البلاد.

ولعل (راس علي) كانت خير من يمثل زعماء الحبشة الذين كانوا يمالئون المسلمين ويؤثرونهم على المسيحيين. وكان هذا الزعيم حاكمًا على (بيجامدر) ونائبًا عن ملك الحبشة، واستطاع أن يباشر فعلًا سيادة البلاد سنة ١٨٥٣، قبل أن يجلس الملك تيودور ملك الحبشة على العرش (١٨٥٥–١٨٦٨). ومع أن راس علي هذا كان مسيحيًا، آثر المسلمين، ووزع المناصب الحكومية عليهم، وجعل لهم أنصباء من غنائم الكنائس. وفي أثناء حكمه دخل في الإسلام نصف أهالي الولايات الوسطى من الحبشة. وقد أحدث هذا رد فعل في عهد الملك تيودور. وكان من ألد أعداء المسلمين، فاضطهدهم اضطهادًا شديدًا.

ومما زاد في استياء ملوك الحبشة من المسلمين، ذلك الشقاق الذي وقع بين الحبشة والحكومة المصرية والذي أدى إلى نشوب الحرب بينهما من سنة ١٨٧٥ إلى سنة ١٨٨٢. وقبل نشوب هذه الحرب بنحو ثلاثين عامًا احتل المصريون بعض المقاطعات الواقعة شمالي الحبشة، مثل هالنجه وألغيدن وسبدرات وغيرها. ونشروا الإسلام في تلك البقاع، كما تمكنوا في سنة ١٨٦٤ من انتزاع مدينة مدينة مصوع من أيدي الأتراك. ثم استولوا على هرر وبعض مناطق جنوبي الحبشة وغربيها. وعلى أثر ذلك أرسل الخديوي إسماعيل قوة عسكرية إلى بلاد الحبشة من طريق مصوع، ولكن الملك يوحنس الرابع (١٨٦٨-١٨٨٨٩) استطاع أن يتغلب عليها في معركة جدا جدي (في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٧٥)، فأرسل المصريون حملة أخرى بقيادة حسن باشا بن الخديوي إسماعيل، ولكن كان نصيبها الإخفاق كذلك معركة جورا (في ٧ مارس ١٨٧٦). ونظر الأحباش إلى هذه الغزوة على أنها حلقة جديدة في سلسلة العلاقات بين ملوم الحبشة المسيحيين وسلاطين مصر المسلمين.

فقد رأينا كيف كان ملوك الحبشة في العصور السابقة يصانعون هؤلاء السلاطين تارة، ويوجهون إليهم أساليب التهديد تارة أخرى. والآن، وقد غزا المصريون بلاد الحبشة، انكشف ما بين الفريقين من عداء، ونظر الأحباش إلى هذه الغزوة على أنها ذات هدف ديني، على الرغم من أن المصريين أنفسهم لم يكونوا يهدفون إلى مثل هذا

الغرض، حين فكروا في القيام بهذه الغزوة. وانعكست كراهية الأحباش للعدو المسلم على المسلمين من الأحباش الذين كانوا يقيمون بين ظهرانيهم. ففي سنة ١٨٧٨ دعا الملك يوحنس أعضاء الكنيسة الحبشية إلى الاجتماع، ونادوا به حكمًا يقضي بينهم في شئون الدين، وقرروا جميعًا وجوب الاقتصار على دين واحد في كافة أنحاء المملكة، وأعطى المسيحيون من جميع الطوائف، عدا اليعاقبة الذين يتألف منهم السواد الأعظم من مسيحي الحبشة، والذين يعد مذهبهم مذهب الكنيسة الحبشية من قديم الزمان، مهلة عامين يصبحون بعدها متفقين في المذاهب مع الكنيسة القومية. أما المسلمون من الأحباش فقد ألزموا بالتسليم في مدى ثلاث سنوات.

وبعد أيام، أذاع الملك يوحنس مرسومًا أنذر فيه كل الموظفين من المسلمين بالتخلي عن مناصبهم إذا لم يقبلوا التعميدج في مدى ثلاثة أشهر. ولم يكن لمثل هذا التنصير الإجباري بطبيعة الحال أثر يذكر، ففي الوقت الذي تظاهر فيه المسلمون بالقبول والإذعان، كانوا في الخفاء يكتمون ولاءهم للدين الإسلامي. وقد شوهد بعض الموظفين من الأحباش المسلمين، على أثر صدور هذا المرسوم، يخرجون من الكنيسة التي كانوا يعمدون فيها، قاصدين على المسجد يلتمسون فيه رجلًا مباركًا من رجال دينهم يمحو عنهم ما لحقتهم من التعميد الذي أجبروا على فعله[1]. على أن هذا المرسوم لم يشر إلى

---

[1] Arnold,p. 119.

تعميد النساء في قليل ولا كثير، وإنما اقتصر على ذكر الرجال وحدهم. وكان هذا سببًا قويًا في جعل ما صنعه الملك يوحنس في هذه السبيل أضعف أثرًا وأقل قيمة، فقد قام النساء المسلمات بدور خطير في انتشار الإسلام في بلاد الحبشة[1]. وفي سنة ١٨٨٠ أرغم الملك يوحنس ما يقرب من خمسين ألفًا من المسلمين على التعميد، كما أجبر عشرين ألفًا من إحدى القبائل الوثنية، ونصف مليون من الجلا على الدخول في النصرانية[2]. وفي سنة ١٨٨٣ استطاع بعض المسلمين من أهالي سيراي وحماسين وغيرها أن يحصلوا على إذن للبقاء في بلادهم، على أن يعيشوا في أماكن بعيدة عن وسكتت مصر عن معاودة الكرة على الحبشة، ولاسيما بعد أن انشغلت بعزل إسماعيل باشا، وثورة عرابي، وظهور المتمهدي في السودان.

وقد مثلت السودان دورًا هامًا مع الأحباش في هذه الفترة، فقد حدث أن هاجر إلى السودان كثير من مسلمي الحبشة الذين فروا بدينهم من اضطهاد ملوك الحبشة المسيحيين، ولاسيما في عهد يوحنس هذا.

في ذلك الحين قام محمد أحمد المهدي بحركته، وغزا كردفان ودارفور وبحر الغزال وسنار ثم الخرطوم أخيرًا (١٨٨١-

---

(١) ld. passim

(٢) ld. passim

١٨٨٨٥). وشاع ذكره في بلاد الحبشة على أنه المهدي المنتظر الذي جاء ليخلص الناس مما هم فيه من كفر وعناد، فهاجر إليه من الأحباش خلق كثير، وكان من بين هؤلاء رجل من كبار الحبشة يقال له محمد جبريل، وفد على المتمهدي واتبعه، فأرسله المتمهدي إلى الحبشة ليدعو جميع المسيحيين فيها إلى إتباع الديانة الإسلامية، ودعوة المسلمين كلهم إلى الإيمان بمهدويته والخضوع له، فصدع محمد جبريل بأمر المتمهدي. فلما رأى يوحنس هذه الحركة اهتم للأمر، ولاسيما بعد أن اتبعت شقيقة الملك يوحنس نفسه الإسلام وتزوجت أحد أمراء المسلمين. فكان هذا، بالإضافة إلى حرب المصريين سببًا فيما أقدم عليه هذا الملك من اضطهاد واسع النطاق. وهاجر كثيرون من مسلمي الطراز إلى شيعة المهدي. وأقاموا لهم محلًا يشبه معسكرًا مكان البقعة التي يسمونها (عراديب) شمالي القلابات، وسموا هذا المحل (تبارك الله). وولى التعايشي خليفة المهدي أميرًا عليهم يقال له محمد فقرا، وقد أغار هذا الأمير، بإيعاز من التعايشي على أطراف المملكة الحبشية، فرد الأحباش غارته، وأقاموا على حدودهم حراسًا.

وكانت القلابات مركزًا من مراكز الدعوة المهدوية، يسكن فيها وفيما جاورها من النواحي جموع كبيرة من الأحباش المسلمين الذين تأثروا هذه الدعوة، وأصبح كثير منهم من شيعة المهدي المتحمسين. ولكن الحبشة كانت ترسل قوادها من حين لآخر لمهاجمة مدينة

القلابات. وفي إحدى هذه الغارات هزم القائد الحبشي محمد فقرا واضطره إلى التقهقر. كما تمكن الأحباش من قتل محمد أرباب وأكثر جنوده، وكان قد نشأ محمد أرباب هذا يعلم الأولاد القرآن الكريم في مدينة القلابات، فالتحق بالقوم، فأقامه التعايشي داعيًا من دعاة المهدوية[1].

فلما بلغ خبر هذه الهزائم أم درمان جهز التعايشي عشرين ألف درويش وأرسلهم مددًا للذين تقهقروا إلى القضارف، فهاجمهذا الجيش مدينة القلابات، وانسحب الأحباش، واحتل التعايشي المدينة وأعطى الأمان لمن فيها، وأعلن لتجار الأحباش الحرية التامة في ذهابهم وإيابهم إلى القلابات، وأذاع ذلك بين الناس، فأخذ تجار الأحباش يفدون على المدينة بمتاعهم وسلعهم وبضائعهم. فلما كثر هؤلاء التجار في المدينة، انقض عليهم قائد التعايشي فاعتقلهم جميعًا، وصادر أموالهم ومتاعهم وأرسلهم إلى التعايشي في أم درمان. وفي هذا العام نفسه أرسل التعايشي حملة أخرى إلى القلابات بقيادة حمدان أبو غنجة.

وفي هذه الموقعة انهزم الأحباش، ودخل أبو غنجة غندار، ونهب المدينة وأحرقها، ودمر الكنائس، وقتل رجال المسيحية، ثم عاد إلى القلابات ومعه كثير من الأموال والأنعام والنساء والغلمان. وبعد ذلك بعامين (١٨٨٩) زحف يوحنس على القلابات، وهجم

---

[1] رحلة صادق باشا ص ٦٦.

الأحباش على الدراويش. وفي ذلك الوقت فوجئ الأحباش بجيش من المصريين آت من الشمال وهو الذي كان قد انضم إلى الدراويش، عندما وقعت السودان تحت حكم المهدي، فتقدم قائدهم فرج الله وهاجم الأحباش، ووجه نيرانه إلى حيث يوجد يوحنس فقتله. وبذلك انتصر الدراويش وأرسل رأس يوحنس إلى التعايشي في أم درمان، فسر هو ورجاله بذلك النصر[1].

وخلف يوحنس على عرش الحبشة منيلك الثاني (١٨٨٩- ١٩١٣)، وكان ملكًا على إقليم شوا قبل أن يسيطر على كافة أنحاء البلاد الحبشية. وقد أرسل إليه التعايشي أكثر من مرة يدعوه إلى الإسلام والانتظام في سلك أتباع المهدي[2]. وفي أثناء فتنة المتمهدي سنة ١٨٨٤ أخلى المصريون هرر من جنودهم، وتركوا المدينة لرجل يسمى عبد الله كان أمير المدينة قبل احتلال المصريين لها. فقام وأنزل العلم العثماني، ورفع بدلًا منه علمًا خاصًا به، وانتحل لنفسه لقب أمير المؤمنين، وأمر بقراءة الخطبة باسمه، ولم يكتف بذلك، بل أرسل إلى منيلك (وكان ملكًا على شوا في ذلك الحين) سجادة صلاة وكوزًا وطستًا للوضوء، ودعاه إلى الدخول في الإسلام، وهدده بالمسير إذا لم يجب طلبه. وأما منيلك فقد بعث إليه يلاطفه بكلام لين، ولكن عبد الله لم يصغ لأقواله، فنشبت

---

[1] رحلة صادق باشا ص ٨١.

[2] عبد الله حسين ك السودان جـ ١ ص ٢٥٠ – ٢٥١.

الحرب بينهما سنة ١٨٨٦، ودارت الدائرة فيها على عبد الله، وأخذ أسيرًا بين يدي منيلك، ودخلت هرر في قبضة إمبراطور الحبشة ولا تزال كذلك إلى الآن[١].

ولا شك أن كل هذه الحركات التي قام بها ملوك الحبشة المسيحيون في وجه المسلمين قد أثؤت إلى حد ما في إضعاف روحالإسلام في هذه البلاد. ولكن مما لا شك فيه أن الإسلام ظل يكسب أنصارًا من الأحباش كلما تقدمت الأيام. وقد لقي هذا الدين مناصرًا قويًا في شخص خليفة منيلك وحفيده ليج إياسو (١٩١٣–١٩١٦) الذي أنكر الدين المسيحي وزعم أنه ليس من سلالة سليمان ولا ملكة سبأ، وإنما هو من سلالة النبي محمد، وأوعز إلى بعض فقراء المسلمين أن يكتب له نسبًا عربيًا، وتزوج كثيرًا من النساء المسلمات، واقتنى بعض الجواري، وانتظم في سلك المسلمين، وتعبد في مساجد هرر، وتردد على أضرحة الأولياء، ولم يدخل في كنيسة، وانتزع من المسيحيين منازلهم، وأعطاها للمسلمين. وثارت قبائل الجلا، وكثير منهم مسلمون، فرفض أن يرسل حملة إليهم. وأرسل الصوماليين حملة إلى داخل الحبشة، وقتلوا عددًا من أهليها، ولكنه لم يحرك ساكنًا؛ وبنى مسجدًا، وطرح زيه العادي ولبس زي المسلمين، فارتدى رداءهم وعمامتهم، وتقلد السيف العربي، وكتب على العلم بالحروف الحبشية (لا إله إلا الله

---

[١] رحلة صادق باشا ص ٦١.

محمد رسول الله). بل فكر في إذكاء حرب مقدسة يقضي بها على المسيحيين، فدعا الصوماليين وبعض الأهالي لإعانته في هذه الحرب، وجيش جيشًا عظيمًا من المسلمين لهذا الغرض. ولكن الدول الأوربية تدخلت في هذا الأمر، فاضطر إلى النزول عن العرش، وتولت الأميرة زوديتو ملكة، وأصبح رأس تفارى ولي عهد المملكة.

وربما ترجع نزعة ليج إلى الإسلام إلى تربيته الأولى، فقد ولد في طنطا ونشأ في المدارس المصرية، وألم بالعربية، وتربى تربية رياضية حرة، ولهذا كان يؤثر الطلاقة وسعة الأفق، ويضيق بقيود الملك وحفلات الدولة، ويكره الأوروبيين وكل شيء يرجع إلى أصل أوربي.

ولاشك أن حركة كهذه قد جعلت كثيرين ممن يكتمون إسلامهم ويتظاهرون بالمسيحية، يظهرون على حقيقتهم، كما ساعدت من غير شك على نشر الإسلام بين شعوب الحبشة وقبائلها الوثنية والمسيحية. وفي الصفحات التالية، سنعرض بإيجاز لمدى تأثر هذه القبائل والشعوب بالإسلام.

٤

كان من أثر انتشار الإسلام في البلاد، واختلط العرب بأهالي الحبشة، أن نشأت بين أهالي الحبشة فكرة (التعرب) أو إيجاد

رابطة، أياً كان لونها، بين شعوب الحبشة والعرب. ولم تكن هذه الفكرة وليدة هذه البلاد وحدها، بل كانت سائدة في كثير من البلاد التي فتحها المسلمون أو تسرب إليها الإسلام. ومن أمثلة هذا التعرب ما يزعمه أهالي السومال في أساطيرهم من أنهم من نسل عقيل بن أبي طالب عم النبي(ﷺ). كذلك تزعم قبائل البشارية، ويسكنون بين النوبة والبحر الأحمر، أنها من سلالة عربية، ويربطون نسبهم برجل يقال له بشر. ويفسر مسلمو الحبشة لفظ الجلا (وهو اسم القبائل المتعددة التي كانت تسكن في الجنوب، ثم ارتحلت إلى الشمال في جموع غفيرة، وانتشرت في عدة أماكن من بلاد الحبشة) تفسيراً طريفاً، فيزعمون أن النبي ﷺ كان قد أرسل رسولاً إلى جدهم الأكبر، ولاب، يدعوه إلى الإسلام، فرفض ولاب، (وقال لا) فسمى (قال لا) أو (جال لا). ومن ثم أطلق على هذه القبائل الجلا[1]. ولكن أكثر هذه المزاعم لا يعدو أن يكون وضعاً وانتحالاً، صنع في عصور متأخرة، تحمساً للإسلام وارتفاعاً بأنسابهم وتاريخهم إلى مرتبة أرقى، حتى تعظم منزلتهم في نظر لعرب والمسلمين.

كذلك تشبع الأفراد من هذه الفكرة، فرأينا ليج إياسو الذي جلس على عرش الحبشة من ١٩١٣-١٩١٦، ينكر دينه المسيحي ونسبه الوطني وينتسب إلى فاطمة بنت النبي، ويعلن ذلك

---

[1] Budge, vol.ii.p.616. ويسميهم الخيمى القالة.

أمام السوماليين، ونظر إليه هؤلاء نظرتهم إلى المهدي المنتظر وإلى المخلص الذي جاء لينقذهم من كوارث الدنيا والآخرة. ويظهران هذه الفكرة، فكرة التعرب، كانت أقوى وأشيع بين أهالي السومال منها بين سائر القبائل الحبشية. ولا أدل على ذلك مما صنعه محمد بن عبدا الله حسان، مهدي السومال(١٨٦٠-١٩٢٠) الذي كان ينتمي إلى قبيلة أوجدين باه جيري السومالية؛ فقد كان يغضب حين ينسبه أحد إلى قبيلته، ويحب أن يلقبه الناس بالهاشمي(نسبه إلى ما تزعمه الأسطورة التي ترجع سلالة أهالي السومال إلى عقيل بن أبي طالب). أضف إلى ذلك أن هذا المهدي، كان ذا أثر كبير في جعل العقيدة الدينية هي الرابطة التي تجمع بين القبائل الإسلامية. وكان يتمنى في قرارة نفسه أن يوحد بين المسلمين برباط الإسلام أو على حد تعبيره (أن يفرش سجادة صلاته على هذا البحر لتؤلف بين المسلمين وتؤاخي بينهم).

وفكر في تنظيم القبائل تنظيماً جديداً لا يقوم على أساس النسب والعصبية، وإنما يقوم على أساس الدين والجهاد في سبيل العقيدة، فاختار من بين قبيلة هبر جدير قوة سماها حجاتو(أي الخداشون)، ومن بين قبيلة ميكاهيل قوة سماها ضوجر (أي الصياد)، ومن بين ضول بهنتا قوة سماها القياد. ولكنه لم يمض في هذه السياسة إلى آخر الشوط، فقد وقفت في سبيله عقبات، وشغلته العداوة التي قامت بينه وبين بعض القبائل السومالية، وما

وجهه إليه بعض خصومه من نقد مرير، وما وجده من صعوبة في الحصول على غنائم لعساكره.

وقبائل السومال، كما قلنا من قبل، تحتل المناطق الداخلية من بلاد السومال التي تقسمها أخيراً الفرنسيون (١٨٨٤) والإنجليز(١٨٨٤) والطليان(١٨٨٩) فيما بينهم، على حين استوطن العرب منها المناطق الساحلية، ليتسنى لهم مزاولة تجارتهم. وإذا رجعنا بتاريخ قبائل السومال إلى وراء، لنتبين كيف تسرب إليهم الإسلام، نجد أن الساكنين في شمال السومال منهم يروون قصة رجل عربي. من سلالة كريمة، كان قد اضطر إلى هجر وطنه، فعبر البحر إلى عدل، حيث دعا إلى الإسلام بين أجدادهم[1]. وإن مجاورة هذه القبائل للعرب النازحين، وتردد الدعاة المسلمين على بلادهم، وقرب الشقة بين بلادهم وبلاد العرب، لما يحملنا على الظن بأن الإسلام قد تسرب إليهم في عصور مبكرة، وإن كانت الأخبار التاريخية تشير إلى أن الزيلع، المدينة السومالية التي يسميها ابن بطوطة مدينة البرابرة، ويصف أهلها بسواد اللون، كانوا مسلمين في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي.

فإذا تجاوزنا ساحل السومال إلى الشمال نلتقي بمستعمرة أريتريا. والسواد الأعظم من أهلها من الجنس الحامي، بعضهم بدو

---

(1) Arnold, pp. 349-350.

رعاة مثل قبائل الهدندوة وبني عامر؛ وبعضها يسكن المدنيحترف الزراعة كمسيحي اريتريا وقبائل الباريه والكونامه الوثنية؛ وبعضها يعيش بين البداوة والاستقرار.

وقيل إن أول من سكن إريتريا ثماني قبائل، وعلماؤهم اليوم يجعلون عددهم عشرة أو خمسة عشرة. ومن الممكن أن نمير بين خمس طوائف من مسلمي اريتريا: فالطائفة الأولى مسلمو مصوع ، تلك المدينة التي تعد من أهم موانئ البحر الأحمر في الوقت الحاضر، وفيها فريق من العرب، يسكنون هذه الميناء، ويتوفرون على الدراسات الدينية، ويذهبون إلى القاهرة لتلقي الدرس في الجامع الأزهر. الطائفة الثانية قبائل الساهو وتسكن في جنوب سمهر، وفي الجنوب الغربي من اريتريا. وقد اعتقد جانب منهم الإسلام في القرن الرابع عشر. والطائفة الثالثة مسلمو ساهل وأنسبه الوسطى، ودخلوا في الإسلام في عصر حديث. ويؤلف مسلمو برقة طائفة رابعة، وهم من قبائل البجة (التي تعيش بين النيل والبحر الأحمر وتحتل جزءً من اريتريا) وعناصر حبشية أخرى، دخلوا في الإسلام منذ زمن بعيد، ودعوا إليه قبائل الغيدن والبارية[١].

وقد كانت الأخيرة تدين بالوثنية منذ أكثر من نصف قرن، ولكنهم الآن يعتقدون الإسلام جميعًا ويتكلمون لغات تختلفتمامًا عن

---

[١] بارية مناها بالامحرية العبيد، وسموا بذلك لاستخدامهم عبيدا في أنحاء بلاد الحبشة.

اللغات الكوشية والسامية. والطائفة الأخيرة تتألف من مسلمي التيجري الذين يحتلون جزءً كبيرًا في شمال أريتريا. وهم يتكلمون بصفة عامة، لغة التيجري (وهي لغة سامية رئيسة في الوقت الحاضر).

وكانت قبائل هذا الجزء تدين بالمسيحية إلى مستهل القرن التاسع عشر، ثم دخل الإسلام في بني عامر، إحدى قبائل هذه المنطقة، وهم خليط من عدة عناصر، يشتغلون بالرعي، ويسكنون بين الجبال والبحر الأحمر، ويتكلمون لغة البجة (البضاوية). وأسلمت قبيلة الحباب التي تعيش بين بني عامر والبحر وهي عبارة عن ثلاث قبائل، كانوا يقطنون بين خطى عرض ١٦، ١٧٣٠ في الشمال الغربي من مصوع، وكانوا ميسحيين، ثم غيروا ديانتهم لما كان لدعاة المسلمين من أثر فعال، ولان زعماء هذه القبائل كانوا يغادرون البلاد تدريجيًا، لفرط انشغالهم مع جيرانهم في حروب لا تنقطع[١].

كذلك أسلمت قبائل مسيحية مثل تيمارياm (أي عطية مريم)، وهبتيه (أي عطية يسوع) وتاكليه (أي نبات يسوع)، كما اعتنق السواد الأعظم من قبيلتي المنساع الإسلام في مستهل القرن العشرين، وكانتا تدينان بالمسيحية حول منتصف القرن التاسع عشر[٢].

---

(١) Arnold.p.349.
(٢) ld,pp.120-121

وتنتشر قبائل عفر (أو الدناكل) في الشرق بحذاء الساحل، وتمتد مساكنهم جنوبًا حتى تصل إلى بلاد الصومال، وتحتل جزءً منها، وشمالًا حتى اريتريا، وتقيم فيب منطقة فيها. وهم مسلمون يشتغلون بالرعي. وسواء أكانوا من أصل عربي أم كانوا خليطًا من الإغريق والمصريين، كما يقال، فإن السواد الأعظم منهم بدو يتكلمون لغة كوشية. وكذلك أسلم جانب من قبائل البوجو (وتسمى البلين كذلك) وهم من أصل أجاوي، على حين ظل اتلجانب الآخر يدين بالمسيحية.

وبالجملة، قيل إن عدد مسلمي أريتريا يقرب من مائتي ألف مسلم في الوقت الحاضر، وإنهم يؤلفون ثلثي عدد السكان[١].

فإذا انتقلنا إلى الحدود الشمالية الغربية والغربية من بلاد الحبشة، نجد أن من القبائل التي اعتقدت الإسلام قبائل البجة، وورود اسم البجه في نقوش عيزانا في القرن الرابع الميلادي، ويطلق جغرافيو العرب لفظ البجه على ما يعرف الآن بقبائل البضاوية أو البجاوية، ومنه سميت لغتهم باسم البضاوية. وطالما خلط المؤرخون بين قبائل البجة والبليميين، ولكن من المؤكد أن الأخيرين ليسوا من مجموعة تلك القبائل، فالاسم القديم **Blemmyes** لم يتحور إلى بجة، إنما تحور إلى البليين[٢].

---

[١] Encyc:of lsam, Guidi - Abyssinia

[٢] دائرة المعارف الاسلامية – بجة.

ولم تكن مساكن البجة تقع في أربتريا وحدها، بل كانت تمتد بين النيل والبحر الأحمر متجاوزة حدود الحبشة إلى بلاد النوبة والسودان ومصر. بل يروي التاريخ أن نفوذها قد امتد يوما ما من القاهرة حتى حدود الحبشة. ويبدو أن العرب كانوا ينظرون أول الأمر إلى هذه القبائل نظرة الاحتقار ويرون أنهم قبائل همجية تعبد الأوثان، لا يليق أن يختلطوا بهم أو يحالفوهم. ثم قويت شوكة هذه القبائل وأغاروا على مصر أكثر من مرة حتى اضطر عبد الله بن الحبحب أن يعقد معها اتفاقا في أيام المأمون (القرن الثاني للهجرة). أضف إلى ذلك أن العرب كان قد انتهي إليهم ما تحويه أراضي هذه القبائل من الذهب والعلاقي وسائر الأحجار الكريمة، فربما كان ذلك كله قد حدا بالعرب إلى الاتصال بهذه القبائل والنزوح إليها.

ومن هذا القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) بدأت قبائل من ربيعة تفد عليهم وتعيش بين ظهرانيهم ثم اختلطوا تدريجا بالسكان الأصليين. وكذلك نزحت إليهم قبائل من جهينة واندمجت فيها وبذلك كثرت بطون البجة وعشائرها وتناثرت مساكنها في بقاع شتى فكما وجدنا فريقا منهم في إريتريا (مثل بني عامر والهدندوة) فكذلك تجد فريقا منهم يسكنون الأراضي التي تجاوز القصير على البحر الأحمر وآخرين يقيمون قريبا من أسوان وكثير منهم ينتشرون جنوبا إلى ما يلي عطبرة (وهؤلاء يقال لهم البشارية) وتؤلف قبائل بني عامر والهدندوة والبشارية والعبابدة وحدة متجانسة من الناحيتين

الفسيولوجية واللغوية ويشملهم جميعا اسم البجة الذي أطلقه العرب عليهم إلا أن هناك اختلافا بينهم إلى حد ما من الناحية الاجتماعية. ولا ندري إلى أي حد تعتبر البشارية من أصل عربي وهم يرجعون نسبهم كما قلنا إلى رجل يقال له: بشر بن مروان بن إسحاق بن ربيعة قدم في الرابع الهجري إلى هذا الموضع ومعه ثلاثون ألف رجل من الحدارب وهم فرع آخر من البجة يتألف منهم زعماء البجة وحكامها وكانوا وثنين ثم اعتقدوا الإسلام في عهد مبكر.

وكل ما ذكرنا من القبائل التي اعتقدت الإسلام سواء في السومال أو أريتريا أو في الشمال إنما يرجع إلى أصل حامي (أي كوشي) أو سامي (كالعرب). على أن هناك طائفة أخرى من القبائل تسكن في الجزء الشمالي الغربي والغربي من بلاد الحبشة ويرجعون إلى عنصر أفريقي واعتقدوا الإسلام في عصور متأخرة ويطلق عليها قبائل الشنجلة أو الشنقلة. وكان هذا الإسم يطلق في الأصل على قبيلة منهم ثم شملت التسمية جميع القبائل التي لا تنحدر من أصل سامي ولا حامي من سكان هذه البلاد.

فإذا انتقلنا إلى جنوب الحبشة نجد قبائل الجلا (أو الفالة) التي أشرنا إليها فيما سبق وقبائل الجلا كثيرة قد تبلغ سبعا أو ثمانيا رحلوا إلى الحبشة وانبثوا فيها ولاسيما في الجنوب حيث نجد جموعا غفيرة منهم. وكانوا جميعا في الغالب عبدة اوثان زمن نزوحهم

إلى هذه البلاد وظل فريق كبير منهم على وثنيتهم حتى ذلك اليوم وكانوا يتخذون في كثير من الأحيان بعد أن يستقروا في الحبشة لغة أهالي البلاد وعاداتهم وطبائعهم وقد قيل أن الساكنين منهم في الجنوب كان أكثرهم مسلمين في القرن الثامن عشر على حين كان الذين سكنوا منهم في الجهات الشرقية والغربية لا يزالون على وثنيتهم(١). ولاشك أن الإسلام تسرب إليهم شيئا فشيئا حتى أن أحد علماء أوروبا من الذين رحلوا إلى بلاد الحبشة تنبأ بأن كل قبائل الجلا سيدخلون في الإسلام في مدى وقت وجيز(٢).

وقد كان لتجار العرب أثر كبير في نشر الإسلام بين هذه القبائل ولاسيما بين رؤسائهم الذين كانوا يرحبون بتجار المسلمين لما أوجدوه لهم من سوق لبيع حاصلاتهم التجارية في البلاد(٣). والجلا معروفون بالوحشية وشراسة الطباع وفيهم همجية قديمة وطالما أوجس المسافرون إلى بلاد الحبشة منهم إلا خيفة لتعرضهم لهم وقطعهم الطريق عليهم وكان ملوك الحبشة يستعينون بهم في القتال ويؤلفون منهم فرقا عسكرية وقد أرغم الملك تبودور فريقا منهم على الدخول في المسيحية حتي يضمن ولاءهم ويكسبهم إلى جانبه ولكن القوة والعنف لم يجديا كثيرا في هذه السبيل.

---

(١) Arnold,p. 316

(٢) ld. Passim.

(٣) ld. P. 348.

وكان من الجلا كثيرون من العبيد ينقلون إلى مختلف البلاد لبيعهم في الأسواق ومنهم عدد كبير من بلاد العرب في الوقت الحاضر وتسميهم العرب الحبوش[1] ومنهم في بلاد العرب قوم تحرروا من العبودية وشغلوا بعض المناصب[2] وقد ظهرت شدة الطبع التي يتميزون بها في إخلاصهم لعقيدتهم وتحمسهم لها ونستدل على ذلك مما أورده دواتي في حديث جرى بينه وبين أحد أفراد الجلا الذين اعتقوا وعاشوا في خيبر فقد أظهر حماسة بالغة لدينه الإسلامي وكان قد نزح هذا الرجل عن وطنه وهو طفل وبيع بيع الرقيق في جده ولما سأله داووتي عما إذا كان يضمر شيئا على هؤلاء الذين سرقوه واسلموه لحياة الرق والعبودية في بلاد نائية أجاب بان شيئا واحدا قد عوضه هذه الكوارث وهو أنه لم يعد كما كان من قبل غارقا في الجهل وعبادة الاوثان ثم قال:

"آه إنها عناية الله الرائعة! تلك التي جئت بفضلها إلى بلاد الرسول وعرفت بعونها دين الإسلام" "آه أية حلاوة أجدها في الإيمان! صدقني أيها الأخ العزيز إنها لتفوق كل وصف وإن لساني ليعجز عن أن يبوح عما في قلبي" هداك الله إلى تلك المعرفة الربانية لا شك أن الله لو أراد بك خيرا لتداركك بالإسلام قبل أن يقبضك

---

(1) Doughty, vol.iip.582

(2) ld. Vol.l.p.201

إليه كم يكون جميلا حقا أن أراك مسلما وأن تصبح واحدا منا ولكني أعلم أن المقدر في يد الله يصنع الله ما يشاء[1].

فلعلك تدرك من ذلك كيف أحاطت القبائل الإسلامية بقلب بلاد الحبشة من كل جانب وكان طبيعيا أن يتسرب الإسلام إلى داخل الحبشة من طريق اتصال هذه القبائل بمن يليهم من أهالي المناطق الداخلية ثم من طريق الدعاة والتجار وغزوات المسلمين التي عرضنا لذكرها في الصفحات السابقة. ولعل من أهم المراكز الداخلية التي كان لها فضل يذكر في نشر الإسلام مدينة هرر التي لم تكن بعيدة عن ساحل البحر والتي كانت ذات مركز جغرافي متميز مما جعلها مدينة تجارية هامة اتصلت بأهالي السومال كما هاجر إليها كثير منهم وامتزجوا بها واتصلت بها ببلاد العرب وكانت تصدر إليها أنواع الرقيق والحاصلات التجارية التي كانت ترد إليها من المناطق الغنية الآهلة بقبائل الجلا وسائر الشعوب الجنوبية لهذا كانت أسبق من غيرها وأقدر على نشر الإسلام بين قبائل الجلا إرسال الدعاة إليهم ونشره بين الآتين منهم إلى هذه المدينة كذلك كان بينها وبين مصر صلات تجارية وثيقة فلا عجب إذا رأينا الإسلام يتسرب إلى هذه المدينة في عهد مبكر ولعل أسبق الدعاة إلى الدخول في هذه المدينة وبث الدعوة الإسلامية فيها رجلا لا يزال أهالي هذه المدينة ينظرون إليه بعين الرعاية والتقديس اسمه

---

(1) Doughty, vol.iip.168

الشيخ أبادير له فيها مسجد عظيم يسمى باسمه ويعدونه وليا من أولياء الله كما يعدونه حامي مدينة هرر[1] ويقال أنه أدخل الإسلام في هرر قبل أن يعرف الإسلام سبيله إلى قلب بلاد الحبشة (حول سنة ١٠٠٠ م) وأنه دعا القبائل الوثنية إلى هذا الدين ومازال نفوذ المسلمين يعظم في هذه المدينة حتى استولى ملوك عدل عليها رسميا سنة ١٥٢١م.

وفي القرن التاسع عشر استولى عليها المصريون ولكنها لم تلبث أن وقعت في يد الأحباش في عهد منيلك الثاني سنة ١٨٨٦.

---

[1] فكرة نجدها فى مصر ، حيث يعتقد المصريون مثلا أن السيد البدوى حامى مدينة طنطا، وعبد الرحيم القنائى حامى مدينة قنا ونحو ذلك.

الباب الرابع

الحبشة والثقافة العربية



١

يتكلم السواد الأعظم من القبائل الشمالية التي تقيم في أريتريا وسمهر وغيرها لغة التيجري السامية وليس هذه اللغة أدب يذكر اللهم إلا إذا استثنينا قطعا مترجمة من الكتاب المقدس وكتبا دينية أخرى وفي منطقة دولة أكسوم القديمة يتكلم السكان لغة التيجرينيا وهي لغة سامية ذاعت في القرن الخامس عشر ولا نعرف لها أدبا كذلك إلا ما دون بها من بعض الرسائل والوثائق والمجلات[1].

أما اللغة الأمحرية فهي أشهر اللغات السامية التي يتكلم بها أهالي الحبشة في هذه الفترة من تاريخ هذه البلاد وقد أخذت في الإنتشار منذ قيام الأسرة السليمانية في القرن الثالث عشر الميلادي وهي الآن لغة البلاد الرسمية ونكتب هذه اللغة كالجعز من الشمال إلى اليمين وقد حاول أهالي هرر في بعض الأحيان كتابة الأمحر بحروف عربية كما حاولوا أن يكتبوا بهذه الحروف لغتهم الوطنية.

---

(1) **Budge, vol.ii.p,577.**

والكتابة العربية شائعة الإستعمال من قديم بين القبائل الكوشية كالأجاو والجلا والبجة والساهو ولكنها رديئة جدا ويكتب السوماليون لهجاتهم بالحروف العربية ولكنهم يكتبون خطهم العربي من أعلى إلى إسفل ويتميز بالخط العربي السواحلي عن غيره من الخطوط العربية بشكله الخاص وصعوبة قرائته[١] أما اللغة العربية فهي التجارة السائدة في كافة أنحاء البلاد ويتكلمها كثير من سكان الساحل الشرقي كما تتكلمها القبائل الشمالية إلى جانب لغاتهم الأصلية وهي في نظر مسلمي الحبشة لغة مقدسة مثل الجعز في نظر نصارى الحبشة ومثل التيجرنيا لغة المسيحيين الحديثة التي يسمونها زريفا خشتان أي لغة المسيحين.

كان طبيعيا أن يلجأ الأحباش المسيحيون إلى القبط يستمدونهم الثقافة الدينية التي يحتاجون إليها لإقامة شعائرهم الدينية وفي الوقت الذي نجد الأسرة السليمانية فيه تتولى عرش الحبشة في القرن الثالث عشر وتتخذ اللغة الأمحرية لغة رسمية لها كانت اللغة القبطية في مصر في طريقها إلى الضعف[٢] والانحلال وكان للقبط

---

[١] ابراهيم جمعة قصة الكتابة العربية، عدد ٥٣ من سلسلة إقرأ، ص ٤٤. يطلق لفظ (سواحلى) الان على مجموعة السكان من العاصر الوطنية، والعبيد، والعرب الذين يقيمون فى معظم المدن الواقعة على الساحل، وفى جزيرة زنجبار الواقعة على الساحل الشرقى لافريقية.

[٢] منذ القرن الحادى عشر، بدأ تخوف علماء القبط من ضياع لغتهم، فقاموا بحركة نرمى إلى تدوين قواعد اللغة القبطة وجمع ألفاظها وبعد قرنين تقربيا، قام أفراد من أسرة العسال، وهى أسرة قبطية معروفة، كان منها وزير تولى الوزارة فى مصر والموصل، وعملوا على استخدام اللغة العربية، وادخالها فى الكنيسة القبطية.واشتهر منهم ثلاثة علماء : أبو تافضائل أسعد جامع القوانين التى ترجمها لأحباش كما سنرى، وأبوإسحاق مؤلف كتاب السلم المقى والذهب المصفى، وهو معجم للغة القبطية رتب فيه الكلمات حسب أواخرها متأثرا طريقة المعاجم العربية. ويفضل هذه الأسرة ترجم الانجيل إلى العربية كما كتبوا بها كثيرا من الطقوس الدينية والرسائل المختلفة التي تبحث فى العقيدة والمذهب الأرثوذكسى وغيره. وقد عملت هذه الأسرة، بما كان لها من مكانة فى الدولة الاسلامية، ونفوذ فى المجتمع القبطى، على ادخال العربية فى الكنيسة القبطية، وبدأت الكنيسة منذ ذلك الحين تستخدمها بدلا من القبطية.

الأدب مدون باللغة القبطية ولكنه أدب ديني يكاد يكون مقصورا على الكتب الدينية وترجمات الكتاب المقدس وحياة القديسين ومعظم هذه الكتب منقول عن اليونانية فلما دلفت اللغة القبطية إلى الضعف وأصبح القبط أنفسهم لا يفهمونها كان لابد أن يلتفتوا إلى اللغة المفهومة إذ ذاك أعني اللغة العربية التي كان القبط قد تعلموها وكتبوا بها مؤلفاتهم في كثير من العلوم لهذا عنو بنقل كثير من كتبهم الدينية إلى العربية.

ضاعت اللغة القبطية بين عامة القبط في الوقت الذي لازالت فيه اللغة الحبشية القديمة (الجعز) بين السواد الأعظم من الشعب الحبشي بيد أن القبط اتخذوا العربية لغة للدين والكنيسة على حين احتفظ الأحباش بالجعز لكتابة أكثر كتبهم الدينية برغم استغلاق فهمها على معظم الشعب.

وإن ما وصل إلينا من الأدب الحبشي إنما يرجع إلى عهد دخول المسيحية في القرن الرابع الميلادي والأدب الحبشي ذو صبغة مسيحية واضحة وهناك فترتان واضحتان في تاريخ الأدب الحبشي: تقع الأولى منهما فيما عرضنا لذكره في الشطر الأول من هذا الكتاب وفيما نقل الأحباش ما نقلوه من اليونانية أو السريانية إلى الجعز وكل ما نقلوه لا يتعدى ترجمات من الكتاب المقدس (التوراة والانجيل) والفترة الثانية تبدأ بحيث يكونو أملاك رأس الأسرة السليمانية وتمتد حتى الوقت الحاضر وفيها نقل الأحباش ما

نقلوه من العربية (والقبطية أحيانا) إلى الجعز والمعروف لدى الباحثين أن أكثر هذا الأدب لا يعدوا أن يكون ترديدا لأفكار أجنبية أو ترجمات منقولة من مؤلفات غريبة عنهم وأنه ليس في مجموع ما وصل إلينا من آدابهم طابع قومي بالمعنى الصحيح وهذا الرأي وإن كان صحيحا في جملته إلا أننا يجب أن نذكر أن هذا الأدب قد يمثل الشخصية الحبشية من جهتين: فهي واضحة نوعا ما في تلك الكتب اليسيرة التي أرخ الأحباش فيها لبلادهم وملوكهم وفي تلك اللفائف والكتب التي تناولوا فيها الكلام عن السحر والأدعية السحرية وصيغ الرقي والتعاويذ ونحو ذلك كما تظهر شخصيتهم من جهة أخرى في هذا الميل الذي أوحى إليهم اختبار الكتب التي ترجموها، والأفكار التي نقلوها.

فالحبشي الذي رأيناه قد أشرب الميل إلى الخوارق والأساطير في حياته الأولى، نراه ينتقى من الكتب التي ينقلها في دور حياته الجديد ما يلائم طبيعته ويتمشى مع ميوله، فيعني عناية خاصة بترجمة الكتب الدينية غير القانونية[1]. وينقل الأحباش من العربية قصصا تروى أعمال الرسل، وآدم وحواء. وكتبا في معجزات السيد المسيح وعجائب مريم العذراء، وحياة القديسين والشهداء

[1] الكتب الدبنية عند المسيحيين نوعان: كتب قانونية، وهي عبارة عن العهدين القديم والجديد (التوراة والإنجيل، بوضعها الحالي، وكتب غير قانونية، لم يجمع علماؤهم على صحتها أو صلاحيتها، ومنها الأبوكريفا (أي الاسفار المستورة) والابو كالس (أي أسفار الرؤية).

وعجائبهم[1]. وهذه القصص مكتظة بالعجائب التي لا تصدقها العقول. وعنوا بكتب العذراء عناية خاصة (وكثير منهم يعبدون العذراء كما سنرى في الصفحات التالية)، فنقلوا في مدائحها وتاريخها وعجائبها ومزاميرها كتبا كثيرة.

كذلك ظهر ميل هؤلاء القوم إلى الرقص والغناء في تلك الأناشيد والمزامير الكثيرة التي حفل بها أدبهم، والتي نجد منها المنقول من العربية وغيرها، ومنها المحاكى الذي نسجوا فيه على منوال أناشيد أجنبيه، ومنها الشعبي الأصيل[2]. ولديهم مجموعة من الاناشيد والترانيم (يسمونها المعراف) مدونة مع النوتة الموسيقية الخاصة بها [3].

ومن الطبعى أن ينقل الأحباش كذلك إلى لغتهم كل ما يجدون أنفسهم في حاجة إليه من الكتب الدينية الخاصة بالكنيسة والتعاليم المسيحية. فقام الأحباش منذ القرن الرابع عشر بمقابلة الكتاب المقدس الذي كان قد ترجم من اليونانية في أوائل الفترة الأولى، على النص العربي من هذا الكتاب، كما ترجموا كتباً خاصة بخدمة

---

(١) كان القبط قد انتخبوا مجموعة كبيرة من حياة القديسين باللغة العربية لاستخدامها في كنائسهم. وقد نقل الاحباش هذه لمجموعة من العربية إلى الجعز في القرن الخامس عشر ويسمونها (مصحف سنكسار). وهناك مجموعة أصغر من السابقة تتناول حياة القديسين والشهداء، بعضها نقل من العربية وبعضها من القبطية. وهناك كتب مخصوصة بحياة فرد بعينه من القديسين والشهداء: من ذلك حياة القديس جرجس التي نقلت من العربية.

(٢) Littmann, p. 214,230

(٣) Id. P. 214. Budge vol, ii. P. 570.

القداس وطقوس العماد والدفن والصلوات المختلفة والعظات وغير ذلـك، ممـا لا تـستطيع أن تقـوم كنيـسة بدونـه، ولا يـستغنى عنـه المسيحي في إقامة شعائره الدينية. ونقل الأحباش إلى الجعز كتبا في اللاهـوت كانـت قـد دونـت باللغـة العربيـة، أهمهـا رسـائل الـشيخ الروحاني (يوحنا سابا)، وشرحه رسالة بولس إلى العبرانيين، وشرح رسالة أخرى تنسب إلى ديونيسيوس أسقف المشرق[1]. وترجمت كتب عربية إلى الجعز للدفاع عن المذهب اليعقوبي، بعد أن قدم اليسوعيون ونادوا بمذهبهم في البلاد، وذلك في مستهل القرن السابع عشر. ومن هذه الكتب كتاب الدر الثمين في إيضاح الدين لساويرس بن المقفع، وفيه يثبت مؤلفه أن الله ذو ثلاثة أقاليم وذو طبيعة واحدة. وهذه هي الفكرة التي قام على أساسها مذهب الكنيسة اليعقوبية؛ ويسميه الأحباش (فكارى ملكوت) أي (تفسير الألوهية).

ومن ذلك أيضا كتاب اعتراف الآباء لبولس بن رجاء ترجمه الأحباش من العربية وسموه (هيمانوت أبو) أي إيمان الآباء.

وفيه يناقش المؤلف شتى المسائل التي تتعلق بمذهب الطبيعة الواحدة، كما يتناول بعض رسائل محفلية، ومقالات وردود على لهراطقة[2]. زد على ذلك أنه كان هنالك ظاهرة تنافس أدبي في سنة ١٥٦١، فترجم بعض رهبان الحبشة في مصر بعض كتابات خاصة

---

(1) Murad Kamil (1), p. 64

(2) Id. Passim.

بالطقوس الدينية، من ذلك كتاب التوبة (مصحف نسحا)، وصلاة القنديل (مصحف قنديل). وفي عهد سر صا دنجل (١٥٦٣–١٥٩٧) قام عنبا قوم اليمن بترجمة كتاب بر لعام ويوشافاط من العربية إلى الجعز[١]. وفي سنة ١٥٨٢ نقل أحد رؤساء الأديار في الحبشة كتاب مختصر البيان في تحقيق الإيمان وهو الجزء الأول من الكتاب المسمى الحاوى المستفاد، إلى الجعز. وهو كتاب يتحدث عن حياة الكنائس والأديار، والفضائل المسيحية والصلوات وما شاكل ذلك[٢].

وكان الأحباش يرجعون في قوانينهم المدنية والدينية، حتى عهد قريب، إلى كتاب ألفه بالعربية أحد علماء القبط في القرن الثالث عشر، وهو أبو الفضائل أسعد بن العسال، الذي أشرنا إليه فيما سبق، فجمع شرائع الرسل، والدسقلية التي كانت تسير عليها الكنيسة القبطية، ورسالة بطرس إلى قليمنطوس، وقوانين المجامع الكبرى السابقة، وبعض قوانين المدن، في مؤلف واحد سماه المجموع الصفوى (أو الصفى) [٣]. ثم نقله الأحباش إلى لغتهم، ربما في منتصف القرن السادس عشر، حين تغيرت الأوضاع السياسية فجأة، وأحسو إحساسا عميقا بضرورة تنظيم حقوقهم الدينية والمدنية[٤]. وسموه (فتح نجست).

---

(١) Murad Kamil p. 65.

(٢) id p. 65.

(٣) Budge, vol.ii.p.568-9.

(٤) Murad Kamil (1) p. 65.

ومنذ القرن الثاني عشر، ربما في نهاية عهد ملوك زاجوا، أخذ كتبة الأحباش في تدوين تاريخ بلادهم. ويظن أن أحد مؤرخي العرب من المسيحيين قد أفاد من هذه التواريخ، فصنف منها كتابا بالعربية، ثم نقله الأحباش فيما بعد، وسموه كبر نجست أي (عظمة الملوك). وهو كتاب يريد المؤلف أن يثبت فيه أن ملوك الحبشة من سلالة البطارقة العبرانيين، وأن مؤسس دولة أكسوم هو منيلك الأول بن سليمان من ملكة سبأ[1]وهناك كتاب في تاريخ اليهود ألفه يوسف بن جوريون ونقله الأحباش من العربية إلى الجعز نقلا أكثر تحريا للدقة، وذلك في القرن الثالث عشر أو الرابع عشر الميلادي[2].

وقد نقل الأحباش كتباً تاريخية هامة تعد مرجعا في تاريخ العرب والدول الإسلامية بوجه عام. من ذلك تاريخ يوحنا أسقف نقيا الذي لخص فيه التاريخ العام من بدء الخلفية حتى سنة ٦٤٠م، ويقرر رايت أنه نقل من الأصل العربي في عهد يعقوب ملك سجد سنة ١٠٢، وأن الذي نقله أحد أساقفة قليوب. وقيل عن نقله هو غبريال المصري بامر والدة الملك سر صادنجل (١٥٦٣–١٥٩٧)، والنسخة الحبشية قيمة عظمى بين المؤلفات التاريخية؛ إذ أن الأصل العربي من هذا الكتاب لم يعثر عليه للان.

---

[1] Budge, vol. ii. P. 566-7 وقارن هذا بمخطوطة عربية في المكتبة الاهلية بباريس كتبها أحد القبط، عنوانها "شرح سبب انتقال مملكة داود من ولده سليمان ملك إسرائيل إلى البلاد النجاشية وهي الحبشة".(Murad (1), p. 67.)

[2] Murad Kamil (1), p. 67-8.

ومن مصادر التاريخ الإسلامي الهامة تاريخ أبى شاكر بطرس ابن الراهب، الذي كتبه في نهاية القرن الثالث عشر، وهو يؤرخ فيه من بدء الخلفية حتى سنة ٦٥٧هـ. وقد ترجمه عشاقوم اليمني في عهد الملك سرصادنجل. كذلك نقل الأحباش كتاب تاريخ المسلمين السكين بن العميد الذي يسميه الأحباش (ولد عميد) وذلك في أثناء حكم الملك لبنادنجل.

ولما كان الأحباش قد ظلوا قرون عديدة ينقلون آدابهم من اللغة العربية، إلى لغتهم، كان طبعا أن تؤثر العربية في لغة المترجمين إلى حد بعيد، ويحدث في هذه الفترة من تاريخ اللغة الحبشية نقبض ما حدث في الفترة الأولى. فقد أخذت العربية من الحبشية في الفترة الأولى كثيرا من الألفاظ والعبارات، والآن نجد في الكتب المترجمة إلى الحبشة أثرا عربيا واضحا في كثير من العبارات والصيغ والألفاظ، كما تظهر في النصوص الحبشية عبارات أخذها الأحباش المترجمون بنصها من العربية، إما لأنهم كانوا لا يفهمون معانيها، أو لأنهم لم يهتدوا إلى ما يقابلها في لغتهم. ومن ذلك قولهم: (وأخزوا فنوت لاعل سبأ) أي "أخذوا الطرق على الناس" وهو تعبير عربي معروف، وكقولهم (وديب رأس) ترجمة للعبارة العربية التي أخذها الأحباش: الحبس والحكيم والمنار والقارورة والوباء والخف واللواحق (أيام النسئ) والورد والجنين وضابط الكل والدر الخ[1]..

---

(1) Murad Kamil (1)p. 68-69

وإنما يرجع سوء فهم المترجمين من الأحباش لكثير من ألفاظ النصوص العربية وعباراتها إلى إلمامهم الضعيف بالعربية من ناحية، وإلى قلة ضبط الألفاظ وتشكيلها في المخطوطات العربية التي نقلوا منها من ناحية أخرى. لهذا كان من الصعب على القارىء أن يفهم كثيراً من الترجمات بدون الاستعانة بالنص العربي. ومن أمثلة ماوقعوا فيه من تصحيف للألفاظ قولهم:

النسور بدلا من السينور، وقيصر بدلا من بمصر. وبأخبار اليهود بدلا من ياجبار اليهود، وحضروا فيها بدلا من حضر وقتها الخ.

ومما أساءوا فهمه قولهم ما معناء (ليس في النافذة بشر) ترجمة للعبارة العربية المعروفة ليس في طاقة بشر[١].

ومهما يكن من أمر، فإننا نستطيع ان نتبين بوضوح مما سبق مدى تأثر الأحباش المسيحيين بالثقافة القبطية العربية.

٢

وإذا انتقلنا إلى مسلمي الحبشة لننظر في ثقافتهم الدينية، نجد أن أكثرهم لا يسيرون على التعاليم التي رسمها الإسلام. وقد لاحظ الأستاذ جويدى أن الإسلام الذي تدين به الشعوب الكوشية في بلاد الحبشة، كالجلا والساهو والبجة وغيرها، ليس بالقوة التي

---

(١) Id .(2) p. xxiv, xxv, xxvl.

نجدها في عقيدة سائر الشعوب الإسلامية. ذلك انه لا توجد في الغالب مدارس إلى جانب المساجد، ولا تتجلى مظاهر الأخوة الإسلامية بين مسلمي الحبشة، وأن مسلمي أرتيريا مستهترون[١]، قليلو الإلمام بشعائر الإسلام، حتى لقد شوهدوا يحضرون الاعياد المسيحية الدينية، ويتمسكون بعادات تتنافى مع تعليم الإسلام[٢].

ونظم الحسن بن أحمد الخيمي قصيدة عربية، ذكر فيها مشاهداته أثناء تنقله في بلاد الحبشة، وعاب المسيحيين والمسلمين على سواء: فمن قوله يذم مسلمي الحبشة:

ورأينا فرقة ظالمة	تركب الفحش وتاتي بالقذع
تدعى الإسلام، لكن مادرت	شارع الإسلام ما كان شرع
تنظر المنكر في ساحتهم	وعليه الناس جمعى وجمع[٣]

وللقبائل الحبشية في السومال عادات قديمة جروا عليها ووثنية عاشوا فيها فترة طويلة، ولهذا كان من العسير أن يقتلعها الإسلام من نفوسهم، فتمثلت عقيدتهم الجديدة كثيرا منها. نذكر من بقايا الوثنية في السومال، على سبيل المثال، عادة يسميها أهالي هذه البلاد (السار)، وهي نوع قديم من الرقص المقدس: يزدحم الأهالي على هيئة دائرة، ويأخذ المنشدون في الغناء على نغمة

---

(١) Murad kamil (1) ,p.70

(٢) Encyc. Of Islam- Abyssinia.

(٣) الخيمى ص٧٠-٧١

خاصة؛ وفجأة يسقط أحدهم على الأرض مغشيا عليه، ويعزف الآخرون (السار) مع الغناء والتصفيق وضرب الأرجل أو دق الطبول والنقارات. وفي هذه الأثناء، ينهض الملقى على الأرض نهوض المتثاقل، ثم يتناول خنجراً بيده، ويرقص في الحلقة مشهراً هذا الخنجر. ثم يفعل فعلته الأولى، فيسقط على الأرض مغشيا عليه، ولكنه سرعان ما ينهض في هذه المرة نشطاً متحفزاً، وإذا به ينبرى من الحلقة مسرعا إلى مكان قريب، حيث يختفي لحظة، ثم يعود وخنجرة يقطر دما، والناس تشاهده. وهم يزعمون أن هذه الدماء دماء الجن الذي قتله هذا الرجل بخنجره في ذلك المكان.

ومن عقائد أهالي السومال القديمة المتوارثة، بعث المرء بجسده وروحه بعد موته[1] لهذا يقومون بتقديم الطعام والملبس للموتى في قبورهم، وذبح الأضاحى عليها[2]، وتوزيع اللحوم على الفقراء، ويزعم أهالي السومال أن الطعام يصل إلى الموتى بوساطة هؤلاء الفقراء.

ولما كان لشيوخ القبائل، في الحياة الفطرية، سلطان قوي على أفراد قبائلهم، أصبح هؤلاء ينظرون إلى شيوخهم من خلال عقولهم البسيطة على أنهم قوم أوتوا قدرة سحرية خاصة فكانوا

---

(1) قارن هذا باعتقاد العرب في الجاهلية البعث والحياة بعد الموت (عبد المعيد خان ص١٤٩ وما يليها).

(2) ومن عادات العرب في الجاهلية، انهم كانوا إذا مات الرجل يشدون ناقته إلى قبره، ويعكسون رأسها إلى ذنبها، ويزعمون انهم إنما يفعلون ذلك، ليركبها صاحبها في المعاد ليحشر عليها، فلا يحتاج أن يمشي! (النوبرى: نهاية الأدب، طبعة دار الكتب٣ص١٢١.)

يعتقدون أن لشيخ القبيلة الورائي عينا سحرية نفاذة تجلب الخير إلى من تحب وتنتزع الخير عمن تكره وتسبب القحط وتزيله وتشفي من الداء وتسببه. وتلاحظ هذه الظاهرة في القبائل الإسلامية السومالية وتحولت سلطة السحرة الوثنيين القدامى إلى علماء المسلمين في السومال وتلقب هؤلاء بلقب السحرة القديم (وداد) ويقومون أحيانا ببعض أعمال السحر كما كان يفعل السحرة من قبل ولا يبيح أهالي السومال من المسلمين والمسيحيين على سواء أكل بطن الحيوان المذبوح ورأسه وأطراف أرجله إذ يعدونها نجسة وما ذلك إلا أثر قديم من آثار العقائد الكوشية الوثنية[١].

ومن بقايا الوثنية الواضحة في عبادة الأحباش ولاسيما قبائل الشمال فكرة العالم السفلى (وتسمية قبائل التيجري سب تحت) حيث تعيش أشباح الموتى إلى يوم الدين وقد يتجلى هذا العالم للإنسان في رؤاه وأحلامه وتقف أشباح هذا العالم بالمرصاد لكل رجل قتل أحد أفراد أقربائه وقصر في أداء واجبه نحوه كأن أهمل في أن يثار له أو بخل في أن يقدم إليه التضحية اللازمة فإذا قصر في شيء من ذلك استحالت روح قتيله نوعا من البوم يسمونه في التيجري (جان) يظل ينعق على قبره حتي يؤخذ بثأره أو يظفر برغباته[٢].

---

(١) Encyc.of lslam- Somaliland.

(٢) Encyc.of Religion and Ethics- Abyssinia.

قارن هذا باعتقاد العرب الجاهلين أن النفس طائر يصدح على قبر صاحبها الميت، وأنهم كانوا يقولون ليس من ميت بموت، أو قتيل يقتل، إلا خرج من رأسة هامة، فاذا كان قتل ولم يؤخذ بثأره، نادت الهامة على قبره: أسقوني ، أسقوني فاني صدية(بلوغ الارب حـ ٢ ص ٣١٣، عبد المعيد خان ص ٤٦)

ويشترك المسلمون والمسيحيون في الحبشة في عبادة مريم العذراء. وهي في بعض صورها صدى عبادة إلاهة وثنية معروفة: فمريم تعيش في جبال شاهقة وتظهر في أيام الربيع وفي شجرة الجميز التي تثمر ثمرا كثيرا وكانت هذه الشجرة تمثل الإله هاتور في عبادة المصريين القدماء وربما كانت هذه الشجرة هي صورة اللات التي عبدها العرب في الجاهلية[1] أو هي إلاهة الأرض (عستر) التي ذكرت في النقوش الحبشية القديمة.

ويعتقد المسيحيون والمسلمون على سواء تأثير الأرواح الشريرة كما يعتقد عبدة الأوثان من قديم هذه الأرواح تعيش في الظلام أو قريبا من المقابر وتجتمع حول الأبواب وتسكن البقاع المجدبة الجرداء وقد تحل في الحيوان كالضباع والذئاب والثعابين[2]. ومن هذه الأرواح ما يصيب المرء بالجنون ويسمونه (وادجني) أي ابن الشيطان ومنها ما ينقض على الأطفال فيقتلهم واسمه ليليث (كلمة عبرية معناها الليلية).

ويزعمون أن الأرواح تنصرف بإحراق جذع من شجرة الشيطان أو فرع منها وقد تنصرف بالرقى والتعاويذ التي يكتبونها ويقلدونها

---

[1] قارن هذه الفكرة بما كان يعتقده العرب من أن هناك بين النخل والناس قرابة وشبها، وربما كان ذلك قد جاء من أن النخلة تشبة الانسان من حيث امتياز ذكرها عن أنثاها، ومميزاتها المخصوصة باللقاح (عبد المعيد خان ص ٥١ وما يليها).

[2] قارن هذا بفكرة الجن وعلاقته بالحيوان عند العرب (عبد المعيد خان ص ٧٢ ومايليها).

أيـديهم وأعنـاقهم ويزعمـون أن هـذه الرقـى والتعاويـذ تفيـد فـي درء الأخطـار والـشفاء مـن الأمـراض الجـسمانية ونهـس الحيـات وخـدش النمار والضباع ونزول القحط وإغارة الجراد ونحو ذلك وفي العالم الإسلامي كثير من هذه العادات والتقاليد ينتشر في صورة مخففه بين الجهلة وبسطاء العقول وتروي القبائل التيجري حكايات عن تأثير النجوم والكواكب في الإنسان وربما كانت صورة من عبادة النجوم القديمة[1].

والأحبـاش يعتقـدون إصـابة العـين اعتقـادا عظيمـا فيـأكلون الطعـام تحـت الحجـب والأسـتار خوفـا مـن إصـابتها. ويـسمون مـن تصيب الناس عينه (بودا) وكان عقاب بودا قلع إحدى عينيه والآن يكتفون بضربه أو توبيخه ويقال أن هناك في القسطنطينية حالة تشبه بودا الحبشة عند الجواري السودانيات.

وقد سرت هذه العادة إلى سيدات هذه المدينة فإنهن حين يردن إظهار العطف على الأولاد يبصقن عليهم بصقا خفيفا قائلات: (تفـو تفـو عينـي لا تـصيبك) ولعـل هـذه العـادة انتقلـت مـن جـواري الحبـشة[2] ومـن عـادة كهنـة الوثنيـة حـين يريـدون مباركـة المـذنبين والتكفير عن ذنوبهم أن يبصقوا عليهم ولا تزال هذه العادة جارية بين

---

(1) Encyc.of Religion and Ethics- Abyssinia.

(2) رحلة صادق باشا ص ٢٠١- ٢٠٢ .

قبائل التيجري من المسلمين والمسيحيين[1] ويبحث الأحباش عن السارق بنوع من التنويم الذي يطلق عليه في أوروبا **Hypnotism** أو **Spiritism** ويسمونه المندل في بعض الجهات من الأقطار العربية[2].

هذه أمثلة من عقائد الأحباش القديمة التي تسربت إلى الإسلام في بلادهم وقد رأينا من هذه العقائد ما يقابله في سائر بلاد العالم الإسلامي.

٣

على أن هناك طائفة مثقفه من مسلمي الحبشة تفهموا الدين على وجهه الصحيح وتلقوا تعاليمه في مدارس خاصة أو علي يد أشياخ ثقات ومنهم كثير ينتقلون إلى بلاد العالم الإسلامي لتلقي العلم من مناهله ولايزال في الجامع الازهر رواق لمسلمي الحبشة يسمى رواق الجبرت[3]، كما كان لهم رواق بالمدينة المنورة ورواق بمكة[4].

والسواد الأعظم من مسلمي الحبشة شافعي المذهب وكثر فيهم الحنفية منذ القرن السادس عشر ولا يخفى أن بلاد الحبشة

---

(1) **Encyc.of Religion and Ethics- Abyssinia.**

(2) رحلة صادق باشا ص ١٧٢ – ١٧٣ .

(3) راجع معنى (جبرت) فى ص ١٥٦ من كتابنا هذا. قد أصبحت جيرت الان علما على مسلمى الحبشة جمعيا.

(4) الجبرتى جـ ١ ص ٣٨٩.

محاطة من قديم بجهات كانت تعد مراكز للتشيع والتصوف فكان التشيع منتشرا في اليمن منذ القرن الثالث الهجري ومن اليمن انتقلت آثار من الزيدية إلى بلاد السومال مع العرب الذين حديثا إليه ممن يشتغلون في الجندبة أو غيرها من الجرف وكانت سواحل السومال منذ العصر العباسي الثاني ملجأ للهاربين من أصحاب الفرق والنظرات التصوفية المختلفة الذين كانوا يلاقون من الدولة الإسلامية عنتا واضطهادا. وكانت الحبشة معبرا لدعاة الشيعة وغلاتهم منذ القرن الثالث عشر إلى إفريقية فقد كان دعاء الإسماعيلية يرسلون إلى بلاد اليمن أفواجا من أتباعهم لتلقينهم أساليب الدعوة ثم يشخصونهم إلى إفريقية لبث المذهب الإسماعيلي كل ذلك جعل الشعوب الإفريقية بوجه عام هدفا للمذاهب الدينية والصوفية المختلفة.

وللطرق الصوفية في بلاد الحبشة مكانة خاصة في نفوس المسلمين وأكثر أهالي السومال ينتمون إلى الطريقة القادرية[1].

وهي أكثر الطرق ثقافة وتمدنا في هذه البلاد وأفرادها لا يميلون إلى احتراف الزراعة أو الصناعة وإنما يقومون بمهنة التعليم وإلى جانب هذه الطريقة تعيش ثلاث طرق أخرى في السومال: الأحمدية اتباع الزعيم المتصوف أحمد بن إدريس الذي توفى

---

[1] نسبة إلى عبد القادر الجيلاني(٥٦١هـ) وقد قيل إنها أقدم الطرق الصوفية المنظمه.

بالعسير في النصف الأول من القرن التاسع عشر والصالحية وهم فرع متأخر من الأحمدية أسسها محمد صالح وكان مقامه بمكة وقد استطاع أحد تلاميذ محمد صالح من علماء السومال وهو محمد بن عبد الله حسان الذي لقب أخيرا بالمهدي أن يبوئ الصالحية مركزا قويا من قبائل السومال فأسسوا على ضفاف الأنهار جماعات زراعية منظمة وانبثوا بين القبائل واستغلوا النزاعات السياسية بينهم واتخذوا من نشر الدعوة الصالحية ذريعة إلى تمكين سلطانهم وتعزيز نفوذهم حتى استطاعوا في وقت قصير أن يضعوا أيديهم على المناطق الزراعية في تلك البقاع ثم الطريقة الرفاعية التي تسير على نهج السيد أحمد الرفاعي.

وكان بين القادرية والصالحية جدال وتنافس وقد أدى ذلك في بعض الأحيان إلى صراع دموي عنيف على أن هذا التنافس قد أدى من ناحية أخرى إلى قيام حركة علمية في منطقة السومال الساحلية فألف علماؤها باللغة العربية كتبا ورسائل ونظموا قصائد و أكثرها في المسائل الصوفية ومن أهم ما دونوه من رسائل التصوف تلك المجموعة التي جمعها الشيخ عبد الله بن يوسف أحد أهالي شيخال وطبعها في القاهرة وهي تتألف من خمس رسائل منها رسالة عنوانها "السكين الذابحة على الكلاب النابحة" وأخرى عنوانها "نصر المؤمنين على المردة الملحدين" وكلتاهما تتناولان الرد على الصالحية.

أما ما نظموه من القصائد العربية فأهمها ذلك الديوان الذي جمعه الشيخ قاسم بن محي الدين أحد أهالي براوة لعدة من شعراء السومال وفي هذا الديوان قصديتان من نظم الشيخ إدريس محمد البراوي (الذي قتل سنة ١٩٠٩على أثر النزاع الذي شجر بين القادرية والصالحية وكان قادريا متحمسا)[١].

ونظم الشيخ عبد الرحمن الزيلعي قصائد صوفيه يتوسل فيها بشيخه الأكبر عبد القادر الجيلاني وسماها "سراج العقول والسرائر في التوسل بالشيخ عبد القادر" وقد عثر على مخطوطة في براوة تشتمل على همزية البوصيري مترجمة إلى الشعر السواحلي.

علي أن هناك طرقا صوفية أخرى منتشرة في بلاد السومال أهمها الختمية والشاذلية واليوم ينتشر دعاة الطائفة السنوسية في بلاد الحبشة.

ولم يكن يجد الدعاة إلى أي مذهب ديني عناء كبير في التأثير في عقول تلك القبائل الإسلامية البسيطة. بل كثير ما استغلوا سذاجتهم وبساطة عقولهم ولعل فكرة "التمهدي" التي شاعت في إفريقية في القرن الماضي كانت وسيلة تذرع بها المستنيرون من أفراد القبائل ليفرضوا على قومهم السذج مبادئهم وأرائهم.

---

[١] نظم الشيخ إدريس أيضا خمس قصائد بالغة السومالية، وهو المؤلف الوحيد الذى كتب باللغة السومالية والحروف العربية. ويرد في في إحداها على أتباع محمد عبدالله حسان.

فقد رأينا كيف ظهر محمد أحمد متهمدي السودان واستطاع أن يبسط سلطانه الروحي والسياسي في بلاده وفي ذلك الوقت قام في السومال محمد بن حسان وكان مثقفا فصيح اللسان ماهرا في قرض الشعر العربي وتخلى عن الصالحية التي كان متحمسا لها بادئ الأمر وأعلن في سنة ١٨٩٩ أنه المهدي المنتظر واجتمع إليه خلق كثير: وأخذ في حث اتباعه على إذكاء حرب مقدسة على الأوربيين الذين كانوا قد احتلوا بلاده. ووقعت الحرب من الفريقين وأخذ الإنجليز يدبرون الحيل للقضاء على حركته فأوعزوا إلى محمد صالح شيخ الصالحية أن يكتب رسالة إلى علماء المسلمين وذوي الرأي من أهالي السومال يعلن فيها عداءه لمحمد بن عبد الله حسان وكان لهذه الرسالة ولظروف أخرى[1] أثر كبير في إضعاف شوكته ووقف نشاطه.

والواقع أن محمد بن عبد الله كان ذا دعوة وطنية دينية مخلصة فكان يرمي إلى توحيد القبائل تحت لواء الإسلام وطرد العدو الأجنبي من بلاده ولكنه وجد آخر المطاف أن من العسير أن يمضي في دعوته فأسلم إلى الهدوء.

على أن هناك بعض حركات هدامة قامت في بلاد الحبشة لا تريد الإصلاح ولا ترمي إلى هدف واضح ولكنها أشبه شيء بحركات

[1] راجع ص ٢١٦ من هذا الكتاب.

القرامطة التي ظهرت في القرن التاسع الميلادي من ذلك ما حكاه صادق باشا في رحلته من أنه ظهر في القرن الماضي رجل في شوقوله قرب غندار يسمى زكريا يدعي النبوة ويفسر القرآن كما يشاء ويغير قواعد الدين على النحو الذي يميل إليه الجهلة الذين اتبعوه فجعل الصيام إلى الظهر وأباح المسكرات والفسق والفجور بالنساء وبلغ عدد أتباعه أربعة ألآف[١].

وهناك طائفة من علماء الحبشة المسلمين ظهرت آثارهم في العالم الإسلامي بعيدا عن أوطانهم من ذلك فريق جبرت نزحوا إلى مصر والحجاز لتلقي العلم فطاب لهم العيش في هذه البلاد وانتجوا فيها ثمار أفكارهم ورحب بهم أصحاب هذه البلاد ولقوا الحظوة لدى ملوكها وعظمائها.

وتعد أسرة الجبرتي المؤرخ من أشهر علماء جبرت، روى الجبرتي نفسه أن أول من ارتحل من بلاده من هذه الأسرة في أوائل القرن العاشر الشيخ عبد الرحمن وهو الجد السابع للجبرتي المؤرخ قيل أنه قدم من طريق البحر إلى جده وانتقل إلى مكة فجاوربها وحج مرارا وذهب أيضا إلى المدينة المنورة فجاوز بها سنتين ولقى من لقى بالحرمين من الأشياخ وحضر إلى مصر فدخل الازهر وجاور بالرواق وتولى شيخا على الرواق وتكلم على طائفته وتزوج وولد له[٢] ونشأ

---

(١) ص ١٦٧.

(٢) الجبرتي جـ ١ ص ٣٩٢.

ابنه شمس الدين على نهج أبيه وتولى مشيخة الرواق كوالده وله كرامات ذكرها الجبرتي[1]. وفي القرن الثاني عشر عاش الشيخ حسن الجبرتي وكان شيخا على الرواق وولد عبد الرحمن سنة ١١٦٨ (١٧٥٤م) الذي اشتهر فيه بعد بكتابه في التاريخ ويقال أنه قتل في شبرا اثناء عودته إلى القاهرة سنة ١٢٣٧هـ (١٨٢٢).

ومن أهل جبرت الشيخ إسماعيل بن سودكين الجبرتي تلميذ ابن عربي المتصوف المعروف وكان يعتقد الملك الظاهر برقوق وأوصى عند موته بأن يدفن تحت قدمه بالصحراء[2].

ومنهم الشيخ على الجبرتي الذي كان يعتقد السلطان الأشرف قايتباي وارتحل إلى بحيرة إدكو فيها بين رشيد والأسكندرية وبنى هناك مسجدا عظيما وقف عليه عدة أماكن وقيعان وأنوال حياكة وبساتين ونخيل كثيرة وبنى مسجدا شرقي عمارة السلطان قايتباي ودفن به وقد خرب وانطمست معالمه قال الجبرتي: ومن كراماته التي أكرمه الله بها أنه يرى على قبره في بعض الليالي المظلمة نور مثل القنديل المستنير يراه سكان العمارة وغيرهم وهو أمر مشهور[3].

---

[1] نفس المرجع والصفحة.

[2] نفس المرجع ص ٣٨٩.

[3] الجبرتي جـ١ ص ٣٩٠ قارن هذا بما ذكره البغوى فى تفسيره عن عائشة أنها قالت : لما مات النجاشى، كنا نحدث أنه لايزال على قبره نور، وبما ذكرنا فى هذا الكتاب ص١٣٣ من أن أم أيمن عطشت يوما ، فأدلى عليها السماء دلو من برشاء أبيض وندى أن استخدام النور والبياض فى أمثال هذه الكرامات المنسوبة إلى الأحباش صدى للارتكاس اللونى أن صح التعبير.

ومنهم الفقية الأصول الجدلي فخر الدين أبو عمر وعثمان ابن على بن محجن البارعي الزيلعي قدم القاهرة في القرن الرابع عشر ودرس وأفتى وتشر الفقه ومات بها وقد شرح كنز الدقائق في كتاب سماه "تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق"[(١)].

٤

ولم يكن مستوى الأحباش الاجتماعي على جانب من الرقي حتى عهد قريب ومن بين سكان الحبشة كثير من القبائل يعيشون على الرعي ويكثرون من الترحال وقد يقطعون مسافات بعيدة وفيافي شاسعة في سبيل الحصول على أقواتهم. وكثيرا ما يلجئون إلى النهب وقطع الطريق ولقد اتسعت غارات البجة يوما حتي وصلت إلى القاهرة ويروى أنه في سنة **٣٢٥**هـ هربت عصابة من الحبشة وعلى رأسها شريح الحبشي إلى العراق وقطعوا الطريق فيما بين واسط وناحية الجبل والأهواز ونزلوا قرية من قرى أم المتوكل يقال لها ديري فنزلوا في خانها حيث قبض عليهم[(٢)] ولا أدل على ما كان عليه هؤلاء القوم من وحشية في القرن الخامس عشر مما يذكره المقريزي عن الحطى داود بن سيف أرعد من أنه رؤى يأكل كرش بقرة نيئا وما

[(١)] السيوطى حسن المحاضرة جـ١ ص ٢٢٢(طبعة القاهرة سنة ١٣٢١هـ)

[(٢)] طبرى جـ٣ س ١٦٥٧– ١٦٥٨

وقبل ذلك بأكثر من قرن ونصف ، أغار الأحباش على جدة ميناء مكة ونهبوها، وألقوا الرعب فى قلوب العرب، وأذا عوا بين الناس أنهم سيستولون على مكة ويخربون الكعبة(**Iones and Monro, p.45**)

فيه من بقايا الفرث يسيل على حنكه كما شوهد رجل منهم يأكل دجاجة وهي تصيح وهم عراة الأبدان لا يكادون يعرفون لبس المخيط بل يرتدون ويتزرون في أوساطهم[١].

ولكن مصر عملت كثيرا في سبيل تحضير هؤلاء القوم فأدخلت إليهم بعض النظم الإدارية والسياسية والدينية. كما أفادوا كثيرا من اتصالهم ببلاد العالم الإسلامي إما اتصالا مباشرا أو عن طريق التجار واللاجئين[٢].

ومن جهة أخرى لم تكن المؤثرات الحبشية في هذه الفترة من تاريخ الحبشة قوية فعالة في البلاد الإسلامية[٣] اللهم إلا إذا استثنينا آثار التبادل التجاري. فقد أدى ازدهار التجارة بين الحبشة والبلاد الإسلامية في هذه العهود إلى نقل كثير من حاصلات الحبشة وعبيدها إلى هذه البلاد.

فكانت مناطق الحبشة الساحلية تستورد القماش الحرير والكتان من مصر واليمن والعراق[٤] ومن أهم ما كانت تصدره

---

[١] إلمام ص ٥.

[٢] أنظر بعض آثار المصريين فى الحبشة فى ص ١٤٩، ١٨١ من كتابنا هذا يضاف إلى ذلك تأثر الفن الحبشى بالفن المعمارى المصرى (أنظر تاريخ الامه القبطيه جـ ٣ ص ١٦٥ تأليف بنشر وترجم إلى العربيه، طبعة الفجالة ١٩٠٦ وانظر : **Iones Monroe p.49**

[٣] مما لا مانع من ذكره هنا، أنه وجد على جدران قصر (قصير عمرة) فى شرق الاردن الذي يرجح أنه بنى بين سنتى ٧١١، ٧٥٠ م ربما كان مؤسسة هو الوليد بن عبد الملكن صورة للملوك الذين دا نوا بالطاعة، ومن بينهم صورة النجاشى ولانستطيع أن نستدل من ذلك على ان الحبشة كانت تابعة للوليد، إذان الوليد فى الغالب كان يقصد بهذه الصورة مجرد التباهى وإظهار عظمة الملوك.

[٤] صبح الاعشى جـ ٥ ص ٣٢٢.

الحبشة إلى بلاد اليمن البن الذي كان الأحباش يصدرونه إليها منذ القرن الرابع عشر الميلادي حيث انتقلت كلمة قهوة من معناها العربي القديم (وهو الخمر) إلى معنى شراب البن[1] وكان لهذا الشراب أثر كبير في حلقات الصوفية في اليمن وفي القرن السادس عشر أدخل هؤلاء الصوفية هذا الشراب إلى مصر في حلقات الذكر التي كانوا يعقدونها مع إخوانهم من أهل مكة والمدينة ثم انتشر الشراب في الشام وفارس وتركيا.

وكثر الرقيق المجلوب من الحبشة إلى البلاد الإسلامية كثرة عظيمة حتى رأينا منهم من يصبح له صولة ونفوذ في بعض هذه البلاد. فقد تمكن أحدهم كافور الإخشيدي أن يجلس على عرش مصر في القرن العاشر الميلادي.

وكان لعبيد الحبشة وإمائها مزايا عظيمة حببت الناس في اقتنائهم والحرص عليهم أضف إلى ذلك ما عرفت به الأمة الحبشية من صباحة وجمال ويقال أن كثيرا من الحبشيات قد هاجرن إلى السودان ولقين حظوة لدى أهالي هذه البلاد ومنهن يتألف أكثر بغايا السودان[2].

---

[1] القوة فى اللغة الخمر ثم تطور معناها فى القرن الرابع عشر، فأصبح يدل على شراب البن والكلمة الافرنجية **Coffee** مأخوذة من كافا اسم المنطقة الحبشيه التى اشتهرت بتصدير البن إلى الخارج ولا نعرف على وجه التحقيق الصلة اللفظية بين القهوة والكلمة الافرنجية **Coffee** ولا كيف تطور المعنى من القهوة التى بمعنى الخمر إلى القهوة بمعنى شراب البن.

[2] عبدالله حسين جـ١ ص ٢٨١.

على أنه كان لهؤلاء العبيد أثر في الشعر العربي فقد استرعت مزاياهم انتباه الشعراء فنظموا فيهم الأشعار[1]. والخبراء بهؤلاء العبيد يجعلونهم أجناسا ويضعون السحرتي والأمحري على رأس هذه الأجناس . لا تصافهما بالجمال ودماثة الخلق وفصاحة اللسان ونعومة الخد ورشاقة القد . ويفرقون بين الجنسين فى أن السحرتى اكثر شجاعة وامانة والسحرتية اكثر شدة وعنفا ، على حيث تفوق الأمحرية على السحرتية باللطف والظرف . ويقولون إن من أجناسهم كذلك جنس الداموت وبلين وقمروقتر وزيلع وإزاره . وفى بنات زيلع وإزاره يقول الشيخ شهاب الدين البزاغى من ابيات :

وخذ ما حلا من بنات الحبوش من جلب زيلع او إزاره وقال غيره فى شعر رقيق :

يـــا ســـائلى عـــن زيلـــع	وعـــن طريـــق الحبـــشة
صـــــحبتها وصـــــيفة	بحـــسنها مشربـــشه [2]
تـــــذكر ان اصـــــلها	مـــن فتيـــات الأنجـــشه
وعمهـــا الخـــال فيـــا	طـــوبى لمـــن قـــد خمـــشه
وخـــدها لـــو مـــر فيـــه	الـــوهم يومـــا خدشـــه

[1] تجد طائفة منها فى الجبرتي ج ١ ص ٣٩١، وفى الطراز المنقوش ورقة ٤٢ ومايليها.

[2] مشربشة أى واضعة على رأسها غطاء يشبه الشربوش.

ويقول الشيخ بن عبد البر بن الشحنة فى أمة أمحرية :

حبــشية ســاءلتها عــن جنــسها   فتبــسمت عــن درثغــر جــوهرى
فطفقت أسأل عن نعومة ما خفى   قالت فما تبغيه : جنسى أمحرى



ثبت بالمراجع العربية

نذكر فيما يلي المراجع التي أشرنا إليها أكثر من مرة في هذا الكتاب:

ابن إسحاق (+ ١٥١ هـ):

"سيرة ابن هشام" ثلاثة أجزاء، نشر فستنفلد، طبعة جوتنجن ١٨٥٩

ابن بطوطة (+ ٧٧٨ هـ):

"تحفة النظار من غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" المعروفة برحلة ابن بطوطة، مطبعة التقدم بمصر ١٣٣٢ هـ في جزءين.

ابن سعد (+ ٢٣٠ هـ):

"الطبقات الكبيرة" ٩ مجلدات نشره سخاو من ١٩٠٥ – ١٩٢١

ابن قتيبة (+ ٢٧٦ هـ):

"الشعر والشعراء" مطبعة ليدن ١٨٧٥م

أبو الفرج الأصفهاني (٣٦٥ هـ):

"الأغاني" ٢١ جزءا طبعه الساسي ١٣٢٣ هـ

الإلمام: أنظر المقريزي

برجشتراسر:

"التطور النحوي للغة العربية" محاضرات ألقاها في الجامعة ونشرها حمدي البكري في مصر ١٩٢٩

البغدادي (+ ١٠٩٣ هـ):

"خزانة الأدب" ٤ أجزاء طبعة بولاق ١٢٩٩ هـ

الجبرتي (+ ١٢٤٠ هـ):

"عجائب الآثار في التراجم والأخبار" المعروف بتاريخ الجبرتي ٤ أجزاء مطبعة الشرفية بالقاهرة ١٣٢٢ هـ

جويدي:

أنظر: Encyc. Of Islam- Abyssinia في المراجع الأفرنجية.

حامد عمار:

"علاقات الدولة المملوكية بالدول الإفريقية" نسخة خطية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول.

الحبشان: أنظر محمد الحفني القنائي.

الخازن (+ ٧٤١ هـ):

"تفسير الخازن" مطبعة بولاق ١٢٩٨، ١٣٠٠

الخيمي (الحسن بن أحمد):

Der Gesandtschaftsbericht des Hasan ben Ahmed El-Haimi.

نشرها بيزر في جزءين: الأول النص العربي نشره ١٨٩٤، وفي الثاني الترجمة الألمانية نشرها ١٨٩٨.

دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية):

المواد: بجة، البشارية، تكرو إلخ...

رفيق العظم بك:

"رحلة صادق باشا المؤيد إلى الحبشة، ترجمة رفيق العظم بك، مطبعة الجريدة بمصر ١٩٠٨

السخاوي (شمس الدين) (+ ٩٠٢ هـ).

"التبر المسبوك في ذيل السلوك" مطبعة بولاق ١٨٩٦

الطراز المنقوش: أنظر محمد بن عبد الباقي البخاري

عباس العقاد:

"داعي السماء: بلال بن رباح مؤذن الرسول" مصر ١٩٤٥

عبدالله حسين:

"السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية" مطبعة الرحمانية ١٩٣٥

عبد المعيد خان:

"الأساطير العربية قبل الإسلام" مطبعة لجنة للترجمة والنشر والتأليف ١٩٣٧.

عرب فقيه (+ ٩٥٠ هـ):

"فتوح الحبشة، الجزء الأول نشر رينيه باسيه ١٩٠٩

القلقشندي (+ ٨٢١ هـ):

"صبح الأعشى في كتابه الإنشا" الجزء الخامس طبعة دار الكتب ١٩١٥

لويس شيخو:

(أ) "النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية" جزآن طبعة بيروت ١٩١٢، ١٩١٩

(ب) شعراء النصرانية: الجزء الأول طبعة بيروت ١٨٩٠

محمد بن عبد الباقي البخاري (+ ٩٩١ هـ):

"الطراز المنفوش في محاسن الحبوش" نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٨٣

محمد الحفني القنائي:

"الجواهر الحسان بما جاء عن الله والرسول وعلماء التاريخ في الحبشان" المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٢٠هـ

المفضل بن أبي الفضائل (+ ٦٧٢ هـ):

"النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد" نشره بلوشيه مع ترجمة فرنسية في (patr. Or. T. xiv. Paris 1920)

المقريزي (+ ٨٤٥ هـ)

"الإلمام بمن في أرض الحبشة من ملوك الإسلام" طبعة بتافيا ١٨٩٠م

ياقوت:

"معجم البلدان" ثمانية أجزاء مطبعة السعادة ١٩٠٦

ثبت بالمراجع الأفرنجية

نذكر فيما يلي المراجع الأفرنجية التي أشرنا إليها أكثر من مرة في هذا الكتاب:

Arnold (T.w):
The preaching of Islam, London 1935
Axel moberg:
The book of the himyarites, lund 1924.
Brockelmann:
1) Gesch. d. Arab. Litter. B.I,Il. Weimar 1898, Berlin 1902
2) Id. (Suppl) B.I,Il. Leiden 1937, 1938.
Budge:
A History of Ethiopia, 2 vols. London 1938.
Cederquist:
Islam and Christianity in Abyssinia (Moslem World, VoI. Jj 1912).
Cih, (See Corpus)
Conti Rossini:
Expeditions et possessions des Habasat en Arabic (Journal Asiatique, Juill.Sept, 1921)
Corpus inscriptionum Semiticarum, paris Quarta, 4 fasc. Parisiis 1839- 1908,
Doughty:
Travels in Arabia Deserta, 2 vois, London 1927.
Encyc. Of Islam, Arts: Abyssinia, Luqmann, India, Kanem, Somaliland, Kahwa etc.
Encyc of Religion and Ethics, art. Abyssinia

Fell:
–Z D M G, b 35 leipzig 1881: Die christenverfolg ung in
sundarabien
Glaser:
Die Abessinier in Arabien und Africa, Wuenchen 1985
Hartman:
Die Arabische frage, Liipzig 1909
Jones and Monroe:
A History of Abyssinia, London 1935
Kammerer:
Essai sur Ihistoire Anlique d Abyssinie,Paris 1926
Littman:
269.–Gesch. D Aethiopischen Litteratur, s. 187
(Gesch. D. Christl. Litt. Des Or. Leipzig 1907.)
Loth:
ZDMG, B. 35, Leipzig 1881: Die Leute der Grube.
Murad Kamil.
(1) Translations from Arabic in Ethiopic Literature, Le Caire 1942. (Extrait du Bulletin de Ia Societe D Archeologie Copte, T. VII (1941)
(2) Gesch. D. Juden, Strassburg, 1937.
Noeldeke: Neue Beitrage zur semitischen
65, strassburg. 1910.– schaft, s.31 –Sprachwissen
R. Bell:
Origin of Islam in its Christian environment. London 1928.

فهرس عام



تصويب

ص	س	خطأ	صواب
٩	١٥	موضوع هذا البحث	موضوع الكتاب الأول من هذا البحث
٧٤	٦	سيلقون معهم	سيلقون منهم ترحيبا
١٦١	١	مع اليمن	مع أهالي جنوب بلاد العرب



محتويات الكتاب